

جواهر الأدب

يشتمل على مختارات نفيسة من المنظوم والمنثور
لمشاهير الشعراء وبلغاء الكتاب

الجزء الثالث

جمعه وتصحف العلامة ب. أ. هبتاني

بإعتناء
سليم إبراهيم صادر

طبعة خامسة منقحة

بيروت

مكتبة

« جميع الحقوق محفوظة »

المقدمة

هذا الجزء الثالث من هذه السلسلة القيمة توجه الى القاصين الموهوبين على اسلوب انيق يروي غلة المتأدبين ويسد ثلثة واسعة في الكتب الادبية المتداولة لهذا العهد بين ايدي الاحداث لما اشتمل عليه من غرر المعاني ودرر المباني في اغلب ابواب الانشاء مما يوسع في اذهان المتخرجين ملكة الكتابة ويثني فيهم سلامة الذوق وحسن الاختيار ويهد لافكارهم التوسع في جميع المواضيع الاجتماعية والادبية والاخلاقية الى ما هنالك مما يستخرجونه من مواده الغزيرة وفصوله السديدة ومقالاته الرائقة المختارة عن انفع الكتاب واشهر حملة الاقلام في كل عصر

ولا زلت في ان ابناء التحصيل قد عثروا في هذا السفر المفيد على بغيتهم المرصودة حتى اقبلوا عليه كما اقبلوا على شقيقه من قبله مما انساوا العناء الذي تجشعناه في سبيل وضعه على ذلك النمط المحكم . ولا نخل ارباب المعاهد والاساتذة الكرام الا مرتاحين الى الفصول الادبية العديدة التي اودعناها في باب الفضائل والنقائص مما تحلو متخبات الادب والتخرج عن اكثره ولا سيما التي بين ايدي التلامذة وقد التقطناها من مواطن حمة فتعلمنا تلك الدرر المشورة في اضعاف الكتب كل درة في عقدها حتى تألب منها ذلك المجموع الرائع . وانما غرضنا من ذلك ان نوفر للطالاب مواد التهذيب ونسبي في بصائرهم الافكار السامية والمبادئ العالية التي تصرهم مواقع الامور وتقيمهم العثرات في معتك العمل وتصونهم من الاختباط في دياجي الزلل وتقصيهم عن الشوائب الشائنة التي تملق في طباع الاعرار واخلاق القروا . ممن لم تكتحل ابصارهم بانوار المعارف والاداب الى ما هنالك من الفوائد الانيرة التي يحاقق بابناء العصر ان يتحلوا بها نيل الامجاد لبان الاجتماع . والله الرشيد الى مناهج الصواب ومناهج السداد

الباب الاول

في العلم والادب

الفصل الأول

في منافع العقل وأضرار الجهل

قَالَ بَعْضُ أَفْصَحَاءِ : أَلْعَقْلُ وَزِيرٌ رَشِيدٌ وَظَهِيرٌ ^(١) شَدِيدٌ .
مَنْ أَطَاعَهُ نَجَّاهُ وَمَنْ عَصَاهُ أَرْدَاهُ ^(٢)

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : لَمْ تَرَ عَيْنَايَ أَفْضَلَ مِنْ عَقْلٍ يَتَرَدَّى
بِهِ الرَّجُلُ . إِنْ أَنْكَسَرَ جَبْرُهُ ، وَإِنْ صُرِعَ أَنْعَشَهُ ، وَإِنْ ذَلَّ
أَعَزَّهُ ، وَإِنْ أَعْوَجَّ أَقَامَهُ ، وَإِنْ بَرَأَ أَقَالَهُ ، وَإِنْ أَفْتَمَرَ أَغْنَاهُ ، وَإِنْ
عَرِيَ كَسَاهُ ، وَإِنْ غَوَى أَرشَدَهُ ، وَإِنْ خَافَ أَمْنَهُ ، وَإِنْ حَزَنَ
أَفْرَحَهُ ، وَإِنْ أَقَامَ بَيْنَ أَظْهَرِ الْقَوْمِ ^(٣) اغْتَبَطُوا بِهِ ، وَإِنْ غَابَ
عَنْهُمْ أَسَفُوا عَلَيْهِ

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعَذِّبَ عَالِمًا فَاقْرَأْ

بِهِ جَاهِلًا . وَقَالَ آخِرُ : مُجَالَسَةُ الْجَاهِلِ مَرَضٌ لِلْعَاقِلِ .
 وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ قَتَيْبَةَ : لَا تَطْلُبْ حَاجَتَكَ إِلَى أَحَقِّ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ
 أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرَّكَ . فَسَكُونُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ ، وَبُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ ،
 وَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَمِرِ : الْأَحَقُّ ضَالٌّ مُضِلٌّ ، إِنْ أُوْنِسَ تَكَبَّرَ ، وَإِنْ
 أُوْحِشَ تَكَدَّرَ . مُجَالَسَتُهُ تَضُرُّ وَمُؤَالَاتُهُ تَنْفَعُ .

وَقَالَ آخِرُ : الْأَحَقُّ إِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ ، وَإِنْ حُدِثَ وَهَلَ ^(١) ،
 وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ رَزَلَ ، وَإِنْ حُجِلَ عَلَى بَاطِلٍ قَلَبَ . وَمِنْ
 عَلَامَاتِهِ الْقَضْبُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ وَإِفْشَاءُ السِّرِّ
 وَالْتِمَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَأَنْ لَا يَعْرِفَ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ .

وَقِيلَ : الْعَاقِلُ مَنْ دَادَ ^(٢) عَنْ مَرَاتِعِ ^(٣) الْهَوَى نَفْسَهُ
 وَكَفَّهَا عَنْ شَهَوَاتِ تَقَرُّبٍ إِلَيْهِ رَمْسَهُ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لِكُلِّ دَاوٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ ^(٤) لَهُ إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا
 وَقَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيُّ :
 إِتَّقِ الْأَحَقَّ وَأَحْذَرْ وَدَّهُ إِنَّمَا الْأَحَقُّ كَالثَّوْبِ الْخَلْقُ ^(٥)

(١) وهم وغلط (٢) دفع (٣) جمع مرتع وهو المرعى (٤) يقال استطب

لدائه دواء من فلان اذا سألته ان يصفه له (٥) البالي

كَلَّمَا رَفَعَتْ مِنْهُ جَانِبًا زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ وَهَنًا فَأَنْخَرَقَ
 أَوْ كَصَدْعٍ^(١) فِي زُجَاجٍ فَاحْشَرْ هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَزْتَبِقُ
 فَإِذَا عَاتَبْتَهُ كَيْ يَزْعُوي زَادَ شَرًّا وَتَمَادَى فِي الْحُمُقِ
 وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : إِذَا كَانَ الْعَقْلُ فِي النَّفْسِ اللَّيْمَةِ كَانَ
 يَمْتَزِلُهُ الشَّجَرَةُ الْكَرِيمَةُ فِي الْأَرْضِ الذَّمِيمَةِ يُنْتَفَعُ بِشَرِّهَا عَلَى
 خَبَثِ الْمُرْسِ . فَاجْتَنِبْ ثَمَرِ الْعَقْلِ وَإِنْ أَتَاكَ مِنْ لِيَامِ الْأَنْفُسِ
 قِيلَ لِأَنْوِشِرَوَانِ : أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالسَّعَادَةِ . قَالَ : أَنْفُسُهُمْ
 ذُنُوبًا . قِيلَ : فَمَنْ أَنْفَسَهُمْ ذُنُوبًا . قَالَ : أَتَمَّهُمْ عَقْلًا

الفصل الثاني

فِي دَلَالَةِ الْعَقْلِ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ . فَإِذَا
 أَرَادَ الْكَلَامَ تَفَكَّرَ . فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكٌ .
 وَقَلْبُ الْإِلَاحِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ . وَقَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : الْعَاقِلُ الْكَرِيمُ صَدِيقُ كُلِّ أَحَدٍ ، وَالْأَجَاهِلُ
 اللَّيْمُ عَدُوُّ كُلِّ أَحَدٍ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْحَكِيمِ أَنْ يَدَعَ الْإِنْسَانَ
مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَإِلَّا يُعَذِّبْ جَاهِلًا . كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ السُّفْنَ
فِي الْبَرِّ وَالْجَلَّ^(١) فِي الْبَحْرِ ، وَذَلِكَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ
وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : أَرْبَعٌ مِنْ خِصَالِ الْجَهْلِ : مَنْ غَضِبَ
عَلَى مَنْ لَا يُدْرِيهِ ، وَجَاسَ إِلَى مَنْ لَا يُدْرِيهِ^(٢) وَتَقَافَرَ^(٣) إِلَى
مَنْ لَا يُغْنِيهِ ، وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : الْجَاهِلُ يَظْلِمُ مَنْ خَالَطَهُ وَيَعْتَدِي عَلَى
مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَيَتَطَاوَلُ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ، وَيَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ تَمَيُّزٍ .
وَإِنْ رَأَى مَكْرَمَةً أَعْرَضَ عَنْهَا ، وَإِنْ عَرَضَتْ فِتْنَةٌ أَرَدَتْهُ^(٤)
وَتَهَوَّرَ فِيهَا

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : الْعَاقِلُ لَا تُبْطِرُهُ الْمَنْزِلَةُ السَّيِّئَةُ .
كَالْجَبَلِ لَا يَتَزَعَّزَعُ وَإِنْ أَشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ . وَالْجَاهِلُ تُبْطِرُهُ
أَدْنَى مَنْزِلَةٍ كَالْحَشِيشِ يُحَرِّكُهُ أَدْنَى رِيحٍ

وَقَالَ سَهْلٌ : أَلْقِلْ أَنْ تَسْتَفْنِي بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ
جَلَالُهُ . رَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : إِذَا عَقَلْتَ عَقْلَكَ^(٥) عَمَّا لَا يَنْبَغِي
فَأَنْتَ عَاقِلٌ . وَقَالَ آخَرُ : أَلْقِلْ بَقِي مَالِهِ سُلْطَانِهِ وَنَفْسَهُ بِمَالِهِ

(١) جمع الجبل وهي الآلة التي يجرها الثور محمولاً عليها الاثقال (٢) يقربه

(٣) تظاهر بالفرق (٤) اهلكته (٥) اني تباك وجاسك ومنعك

وَدِينَهُ بِنَفْسِهِ

وَقِيلَ لِمَلِيٍّ : صِفْ لَنَا الْمَاقِلَ . قَالَ : هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ
مَوْضِعَهُ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِمَعْرُوبِ بْنِ الْأَصَلِ : مَا بَلَغَكَ مِنْ عَقْلِكَ .
قَالَ مَا دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا خَرَجْتُ مِنْهُ . فَقَالَ : وَلَكِنِّي
مَا دَخَلْتُ فِي شَيْءٍ قَطُّ وَأَرِيدُ الْخُرُوجَ مِنْهُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : الْعَقْلُ النَّظَرُ فِي الْوَوَاقِبِ . وَقَالَ
آخَرُ : الْمَاقِلُ مَنْ لَهُ رَقِيبٌ عَلَى جَمِيعِ شَهَوَاتِهِ . وَقَالَ آخَرُ :
الْمَاقِلُ مَنْ عَقَلَ نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْمَحَارِمِ ^(١)

الفصل الثالث

في شرف العلم

قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءَ : أَفْضَلُ مَا أَمْتَنَ بِهِ الْحَقُّ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ
الْعِلْمُ ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْعَقْلَ وَيَشْحَذُ الذِّهْنَ وَيُضِيي الْقَلْبَ ، وَيُمَتِّعُ
فِي الْخُلُوعِ وَيُؤْنِسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَتَصِلُ لَذَّتُهُ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ
سَآمَةٍ وَلَا شَقَّةٍ

وَقَالَ عَائِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَقْلُ النَّاسِ قِيَمَةُ أَقْلِهِمْ عِلْمًا

(١) المحارم ما يحرم من كل شيء وما حرمه الله تعالى

وَقَالَ أَيْضاً : كَفَى يَا لِعِلْمٍ شَرَفًا أَنْ يَدَّيِّعَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ
وَيَفْرَحَ بِهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ . وَكَفَى يَا لَجَلٍّ ضَمَّةً أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ
مَنْ هُوَ فِيهِ ، وَيَغْضَبُ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَلِإِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ
وَالْجَلُّ يَهْدِمُ بَيْتَ الْإِزِّ وَالشَّرَفِ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : مَنْ خَلَا يَا لِعِلْمٍ لَمْ تُوحِشْهُ الْخَلْوَةُ ،
وَمَنْ تَسَلَّى يَا لِكُتُبٍ لَمْ تَقْتَهُ السَّلْوَةُ
وَمَا يُنْسَبُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

مَا أَتَقَرُّ إِلَّا لِأَهْلِ أَلِإِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمَنْ أَسْتَهْدَى ^(١) أَدِلًّا
وَقَدَّرَ كُلَّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ أَلِإِلْمِ أَعْدَاءُ
فَقُرْ يَعْلَمُ تَعْمَشُ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ أَلِإِلْمِ أَحْيَاءُ
وَقَالَ الْأَخْثَفُ بْنُ قَيْسٍ : كُلُّ عِزٍّ لَمْ يُوطَّدْ يَعْلَمُ فَإِلَى ذَلِكَ
مَا يَصِيرُ ^(٢)

وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ : أَعْلَمُ أَنْ لِلْعِلْمِ
عَبَقًا ^(٣) وَعَرَفًا ^(٤) يُنَادِي عَلَى صَاحِبِهِ ، وَتُورًا وَضِيَاءً يُشْرِقُ عَلَيْهِ

(١) طلب الهدى (٢) أي آخرته الدل (٣) البق انتشار الرائحة

(٤) العرف الريح الطيبة

وَيَذِلُّ عَلَيْهِ . كَتَّاجِرٍ مِّنْكَ لَا يَخْفَى مَكَانُهُ وَلَا تُجْهَلُ بِضَاعَتُهُ .
وَكَمَنْ يُمِشِي بِمَشْلٍ ^(١) فِي لَيْلٍ مُّذْلِهِمْ ^(٢) . وَالْعَالَمُ مَعَ هَذَا
مَحْبُوبٌ أَيْنَمَا كَانَ وَكَيْفَمَا كَانَ . لَا يَجِدُ إِلَّا مَنْ يَبِيلُ إِلَيْهِ وَيُؤَثِّرُ
قُرْبُهُ وَيَأْنَسُ بِهِ وَيَتَّاحُ بِمُدَانَاتِهِ ^(٣)

الفصل الرابع

في الخضوع على العلم .

قَالَ بُزْجَهْرُ : مَنِ الْعِلْمُ . أَلَا تَخْفَرُ شَيْئًا مِّنَ الْعِلْمِ . وَمَنِ
الْعِلْمُ . تَفْضِيلُ جَمِيعِ الْعِلْمِ .
وَقَالَ سُفْرَاطُ : تَعْلَمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَتَّأَلُوا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا
حَظًّا فَلَنْ يُذَمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذَمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ .
وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى تَعْلَمِ الْعِلْمِ وَتَعْيِهِ صَبَرَ عَلَى شَقَاءِ الْجَهْلِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَذْخِرْ غَيْرَ الْعُلُوِّ م . فَإِنَّهَا نِعَمَ الدَّخَائِرِ

فَلَمْزِهِ لَوْ رِيحَ الْبَقَا ء . مَعَ الْجَالَةِ كَانَ خَائِرِ

وَقَالَ آخَرُ

جَهْلُ الْفَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ ^(١) عَارٌ عَلَى الْإِيَّامِ .

(١) بتعديل (٢) شدد الظلام (٣) بمقارنته (٤) خفاؤه وسقوطه

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَا تَتَّبِعْ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِكَ
وَأَسْتَحْيَاكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي صَغَرِكَ . فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ خِدَاعِ
الْجَهْلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ . وَلَآنَ تَكُونُ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوْلَى مِنْ أَنْ
تَكُونُ شَيْخًا جَاهِلًا

ذَكَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ دَخَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ
يَتَكَلَّمُونَ فِي أَلْفِهِ . فَقَالَ . يَا عَمَّ مَا عِنْدَكَ فِي مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَغَلُونَا فِي الصَّغَرِ وَأَشْتَغَلْنَا فِي الْكِبَرِ .
فَقَالَ : لِمَ لَا تَتِمَّامُهُ الْيَوْمَ . قَالَ : أَوْ يَحْسُنُ بَيْنِي طَلَبُ الْعِلْمِ .
قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَآنَ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمِيشَ قَانِعًا
بِالْجَهْلِ . قَالَ . وَإِلَى مَتَى يَحْسُنُ لِي طَلَبُ الْعِلْمِ . قَالَ : مَا حَسُنْتَ
بِكَ الْحَيَاةُ

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي آفَاتِ الْعِلْمِ

قَالَ أَحَدُ النُّصَحَاءِ : مَنْ أَخَذَ مِنَ الْعِلْمِ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ
مَا تَعَدَّدَ سَانَ كَالْمُنَاصِ إِذَا امْتَنَعَ عَلَيْهِ الْعَيْدُ تَرَكَهُ ، ذَلَا يَرْجِعُ
إِلَّا خَائِبًا ، إِذْ لَيْسَ بِرَى الْعَيْدِ إِلَّا مُتَبِعًا . كَذَلِكَ الْعِلْمُ سَرَّاهُ صَغْبُ
وَقَالَ نَوْفَلُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ . يَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَلَّا يَحْضُرَ
فِي فَنٍ حَتَّى يَنْدَوَلَ مِنْ أَمْنِ اللَّهِ قَبْلَهُ عَلَى التَّرْتِيبِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ

وَأَنْ يُقَدِّمَ الْأَهَمَّ فالأهم بغير إخلالٍ في الترتيب ^(١) ، ^{وكان} مُعَلِّمًا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُخَيِّنَ إلقاءَ الدُّرْسِ وَتَقْوِيَةَ الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَلَا يُلْقِي عَلَيْهِمْ مَا لَا يُتَابِعُهُمْ مِنَ الْمَشْكَلَاتِ ، بَلْ يُدَرِّبُهُمْ وَيَأْخُذُهُمْ بِالْأَهْوَنِ فالأهون إلى أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى دَرَجَةِ التَّحْقِيقِ ، فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ بِهِمْ فِي غَوَامِضِ الْعِلْمِ وَيَخُوضُ بِهِمْ عُسَابَهُ الْآخِرَ .
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَدِمُوا الْوُصُولَ لِتَرْكِيبِهِمْ هَذِهِ الْأُصُولَ
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : إِنْ الْعُلُومَ تَوَافَرُ تَبْدُ ^(٢) عَنْ الْأَذْهَانِ .
فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا حُمَاةً وَالْأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : رُبَّمَا اسْتَقْبَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدُّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمُنَانِي عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ . فَلَا يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِأَلْدَرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ . فَلَا تَعْقِبُهُ الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا . وَهَذِهِ عَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : إِمَّا الضَّجْرُ مِنْ مُعَانَاةٍ ^(٣) الْحِفْظِ ، أَوْ طَوْلُ الْأَمَلِ فِي التَّوَقُّفِ ^(٤) عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ ، أَوْ فَسَادُ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ

كَانَ حِزْمَةً مِنَ خُطَبَاءِ الْأَنْبِيَاءِ رُعُلَاءَهُ زَمَانِهِ . ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْمَصَاحَةِ وَطَوْلِ السُّمْرِ . فَسَأَلَهُ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا : بِمِ نَاتِ الْأِمَامَ .

(١) تنفر (١١) متأساة وتحمل (٣) من توفر على الشيء إذا صرف همهته إليه

قَالَ : بِلِسَانِهِ سَوَّوْلٍ وَقَلْبِهِ عَمُولٍ ^(١)

الفصل السادس

في آداب المتعلم وأخلاقه

قَالَ الْخَلِيلُ : الْمَلُومُ أَقْبَلُ وَالْأَسْئَلَةُ مَقَاتِيحُهَا . وَقَالَ
 آخَرُ : مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعْ لِلْعِلْمِ لَمْ يَتَلَهَّ .
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا يَسْتَلْكِفُ الْمَرْءُ أَنْ يَتَعَلَّمَ
 مَا لَيْسَ عَنْدهُ . وَإِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فَلْيَقُلْ لَا أَعْلَمُ
 وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ : يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِضَ خَوَاطِرَكَ
 عَلَى الْعُلَمَاءِ وَعَلَى تَصَانِيفِهِمْ ، وَتَتَبَّعْتَ وَلَا تَعْجَلَ وَلَا تُعْجَبَ .
 فَمَعَ الْعُجْبِ الْمَنَارُ وَمَعَ الْإِسْتِبدَادِ الزَّلَلُ . وَمَنْ لَمْ يَغْرَقْ جَيْئُهُ
 إِلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُغْرَقْ ^(٢) فِي الْفَضِيلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَمِلْ أَلَمْ
 التَّعَلَّمَ . لَمْ يَذُقْ لَذَّةَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَكْذَحْ ^(٣) لَمْ يَفْلَحْ
 وَقَالَ أَحَدُ الْفَصَحَاءِ : التَّوَاضُّعُ وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ مِنْ أَحْسَنِ
 أَخْلَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ . لِأَنَّ التَّوَاضُّعَ عَطُوفٌ ^(٤) وَالْعُجْبَ مُنْقَرٌ .
 وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالْعُلَمَاءِ أَقْبَحُ . لِأَنَّ النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ

(١) القول الفاهم المدرك للامور (٢) لم تتدعروقه اي اصوله (٣) يكذب

ويحسد نفسه بالعقل (٤) اي يعطف الناس ويعلمهم الى صاحبه والعجب ينفرهم منه

وَقَالَ آخَرُ : كَلِمَى بِالرَّءِ جَهْلًا أَنْ يُتَجَبَّ بِرَأْيِهِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : قَلِمًا تَجِدُ بِالْعِلْمِ مُعْجِبًا وَمِمَّا أَذْرَكَ
 مُفْتِخِرًا إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ مُقَلًّا وَمُقَصِّرًا . فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِيهِ وَجْهٌ
 وَمِنْهُ مُسْتَكْتَرًا ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ بَدَلِ غَايَتِهِ وَالسَّجَرِ عَنْ إِذْرَاكِ نَهَايَتِهِ ،
 مَا يَصُدُّهُ عَنِ الْعُجْبِ بِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : مِنَ الْعِلْمِ أَلَّا تَتَكَلَّمَ فِي مَا لَا تَعْلَمُ
 بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمُ . فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَقْتَهُ .
 وَقَالَ أَحَدُ الْأَدَبَاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِالْعِلْمِ سَبِيلٌ فَلَا
 عَارَ عَلَى الرَّءِ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي جَهْلٍ بَعْضُهُ عَارٌ
 لَمْ يَقْبَحْ بِهِ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ فِي مَا لَيْسَ يَعْلَمُ

وَقَالَ آخَرُ : لَا تَصْرِفْ نَظْرَكَ إِلَى مَنْ دُونَكَ مِنَ الْجُهَالِ .
 بَلْ أَصْرِفْهُ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ عَوَاقِبَ
 الْعُجْبِ

وَاللَّهُ دَرُّ مَنْ قَالَ :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ أَمْرًا لَطِيفَ الطَّبَاعِ حَكِيمَ الْكَلِمِ
 يَمُوتُ وَمَا حَصَلَتْ نَفْسُهُ سِوَى عِلْمِهِ أَنَّهُ مَا عِلْمُ



الفصل السابع

في آداب العلماء وأخلاقهم

مِنْ آدَابِ الْعُلَمَاءِ أَلَّا يَخْلُوا بِتَعْلِيمِ مَا يُحْسِنُونَ ، وَلَا يَتِمُّوا
مِنْ إِفَادَةِ مَا يَعْلَمُونَ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ بِهِ ظُلْمٌ وَالنَّعْ إِثْمٌ . قَالَ خَالِدُ
ابْنُ صَفْوَانَ : إِنِّي لَا أَفْرَحُ بِإِفَادَتِي الْمَعْلَمِ أَكْثَرَ مِنْ فَرَحِي
بِاسْتِفَادَتِي مِنَ الْمَعْلَمِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَضُوعُوا الْحِكْمَةَ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا
فَتُظْلِمُوهَا ، وَلَا تَتَّبِعُوهَا أَهْلَهَا فَتُظْلِمُوكُمْ . وَكُونُوا كَالطَّيِّبِ الْحَادِقِ
يَضَعُ دَوَاهُ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُنْتَفَعُ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : لِيَحْذَرِ الْمَعْلَمُ أَنْ يُضَادَّ الْحَقُّ مُوَافَقَةً
لِرَأْيِهِ ، وَمَتَابَعَةً لِهَوَاهُ . فَإِنَّ ذَلَّةَ الْعَالَمِ كَالسَّفِينَةِ تَفْرَقُ وَيَفْرَقُ
مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : مَنْ نَصَبَ ^(١) نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا
فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ . وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِلِسَانِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعَالَمُ طَيِّبٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَالذُّنْيَا
 دَاوُهَا . فَإِذَا كَانَ الطَّيِّبُ يَطْلُبُ الدَّاءَ فَتَنِي يُبْرِئُ غَيْرَهُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَضَّلَاءِ : عِظْ نَفْسَكَ فَإِنْ أَتَمَّطْتَ فَعِظِ النَّاسَ
 وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ الْعِلْمِ وَقُوفُ الْعَالَمِ عِنْدَ عَلَيْهِ
 وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : شَرُّ النَّاسِ الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا
 وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ
 عُثُوبَةٌ لِأَهْلِ زَمَانِهِ . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : الْعَالَمُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ
 بِعَلِيهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْمَاءُ عَنِ الصَّفَا^(١)
 وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

يَا أَهْبَا الرَّجُلُ الْعِلْمَ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
 تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى^(٢)

كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
 وَزَالَ تَصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُثُولُنَا

أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ
 ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غَيْبِهَا فَإِذَا أَتَمَّتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
 فَبُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِأَمْوَالِكَ مِنْكَ وَيَنْمَعُ التَّعْلِيمُ
 لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَمَّاتَ عَظِيمٌ

(١) حي دفاة وهي الحمر الصلد الضخم لا ينبت (٢) المرض

الفصل الثامن

في الأدب

قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِأَبْنَيْهِ : يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ
وَرِيَاشُ^(١) السُّوقَةِ^(٢) ، وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ . فَعَلِمْتَهُ تَحِذُ نَفْسَكَ
حَيْثُ تُحِبُّ

وَقَالَ عَلِيٌّ : غَايَةُ الْأَدَبِ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ .
وَقِيلَ : مَنْ تَأَدَّبَ وَلَيْسَ لَهُ حَسَبُ الْحَقِّهِ الْأَدَبُ بِأَهْلِ الرُّتَبِ .
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ : الْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ صُورَةَ
عَقْلِكَ كَيْفَ شِئْتَ

وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : مَنْ سَاءَ أَدَبُهُ ضَاعَ حَسَبُهُ ، وَمَنْ قَلَّ
عَقْلُهُ ضَلَّ أَصْلُهُ . وَقِيلَ : حُسْنُ الْأَدَبِ يَسْتَرْقِيحُ النَّسَبِ .
وَقَالَ بُرْزُجْمَرُ : لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ قَاتَهُ
الْأَدَبُ ، وَأَيُّ شَيْءٍ قَاتَ مَنْ أَدْرَكَ الْأَدَبَ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ طَاهِرَ الْأَثْوَابِ كَثِيرَ الْأَدَابِ
حَسَنَ الْمَذْهَبِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ جَمِيعُ أَهْلِهِ وَوُلْدِهِ

(١) الرياش اللباس الفاخر (٢) السوقة الرعية من الناس

وَقَالَ بُرْجَمَرُ لِكِسْرَى وَعِنْدَهُ أَوْلَادُهُ : أَيُّ أَوْلَادِكَ أَحَبُّ
إِلَيْكَ . قَالَ : أَرْغَبُهُمْ فِي الْأَدَبِ وَأَجْزَعُهُمْ مِنَ الْمَارِ . وَأَنْظَرُهُمْ
إِلَى الطَّبَقَةِ الَّتِي قَوْفَهُمْ

وَدَخَلَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَلَى بْنِ عَبَّاسٍ فَأَقَمَدَهُ مَمَةً عَلَى السَّرِيرِ
وَأَقَمَدَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ تَحْتَهُ فَرَأَى سُوءَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهِ وَجُؤَمَةً^(١)
وُجُوهِهِمْ فَقَالَ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ نَظَرَ الشَّيْخِ^(٢) . إِلَى الْقَرِيمِ^(٣)
الْمُقْلِسِ . هَكَذَا الْأَدَبُ يُشْرِفُ الصَّغِيرَ عَلَى الْكَبِيرِ وَيَذْفَعُ الْمُلُوكَ
عَلَى الْمَوْتَى . وَيُقْعِدُ الْعَمِيدَ عَلَى الْأَسْرِ

الفصل التاسع

في طريقة التاديب

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ : يَنْبَغِي لِلْوَالِدِ أَلَّا يَسْهُوَ عَنْ تَأْدِيبِ
وَلَدِهِ . وَذَلِكَ بِأَنْ يُحَسِّنَ عِنْدَهُ الْحَسَنَ وَيُقْبَحَ فِي عَيْنَيْهِ الْقَبِيحَ
وَلِيُحِثَّهُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الْعَادَاتِ . وَلِيُحْضَهُ عَلَى
تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَيُدْرِبَهُ^(٤) عَلَى ذَلِكَ

(١) مصدر جهمه اذا استقبله بوجه كرهه (٢) الشيخيل (٣) المديون

(٤) ويعوده

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا تَقْسِرُوا ^(١) أَوْلَادَكُمْ عَلَى
أَدَائِكُمْ فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنْ خَيْرَ الْأَبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ
الْحَنَانُ ^(٢) إِلَى التَّضَرُّعِ . وَخَيْرَ الْأَبْنَاءِ لِلْأَبَاءِ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ التَّضَعُّيرُ
إِلَى الْمُتَوَقُّفِ ^(٣)

وَقَالَ آخَرُ : مِنْ مَحَاسِنِ التَّأْدِيبِ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَدَّبُ
رَفِيقًا ^(٤) فِي مَوَاضِعِ الرِّفْقِ شَدِيدًا فِي مَوَاطِنِ ^(٥) الشَّدَقَةِ .
فَتَهْبِئَةِ التَّأْدِيبُونَ وَيَحْتَرِمُوهُ وَيُحِبُّوهُ جَهْدَهُمْ وَيَدْعَوْنَ ^(٦) لَهُ
جَمِيلًا خَالِدًا . وَلِيَحْتَرِزَ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ ثِقِيلًا فَيَمْلُوهُ وَيَبْذُوا
كَلَامَهُ وَيَذَرُوهُ . وَلِيَحْتَرِسَ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ أَمَانُهُمْ يَظْهَرَ الْعُجْبِ
وَالْعِيْلَاءِ فَيَسْتَخْشِقُوا بِهِ . وَلِيَحْذَرَ مِنْ أَنْ تَسْتَفِزَّهُ الْهَيْدَةُ إِلَى
سَلْقِهِمْ ^(٧) بِقَوَارِصِ ^(٨) لِسَانِهِ فَيَتَجَرَّأُوا عَلَيْهِ وَيَقْتُوهُ وَتَذْهَبَ
مَهَابَتُهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ

وَأَوْصَى عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ مُؤَدَّبَ وَلَدِهِ فَقَالَ : لِيَكُنْ أَوَّلُ
إِصْلَاحِكَ لَوْلَدِي إِصْلَاحَكَ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّ عُيُوبَهُمْ مَعْقُودَةٌ

(١) لا تكسروا (٢) الرحمة ورقة القلب (٣) الصبيان (٤) لطيفاً

(٥) مواضع (٦) يحفظوا (٧) من سلقه اذا آذاه (٨) جمع قارصة وهي الكلام

الذي ينقص ويؤذي

يَمِينِكَ . فَأَلْحَسْنُ عَنْدَهُمْ مَا صَنَعْتَ ، وَالْقَبِيحُ مَا تَرَكْتَ . عَلَيْهِمْ
كِتَابُ اللَّهِ ، وَلَا يُلْجَأُ فِيهِ فَيْتْرُ كَوْهٍ ، وَلَا تَتْرُكُهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ .
وَرَوَيْهِمْ ^(١) مِنْ الْحَدِيثِ أَشْرَفُهُ ، وَمِنْ الشَّيْءِ أَعَفُّهُ . وَلَا تُخْرِجُهُمْ
مِنْ عِلْمٍ إِلَى آخَرٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ ^(٢) ، فَإِنْ أَرَادِحَاكَ الْكَلَامُ فِي
السَّنَعِ مَشْغَلَةٌ لِقَوْمٍ . وَعَلَيْهِمْ سُنَنُ ^(٣) الصُّلَحَاءِ ، وَجَنِبُهُمْ مُحَادَثَةُ
السُّفَهَاءِ ، وَرَوَيْهِمْ سِرَّ الْحُكَمَاءِ ، وَهَدَيْهِمْ بِيْ وَأَدْبَهُمْ دُونِي .
وَكُنْ لَّهُمْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يُعْجَلُ بِالذَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ .
وَيَاكَ أَنْ تَتَّكِلَ عَلَى عُذْرٍ مَنِي لَكَ وَقَدْ أَتَكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مِنْكَ
وَأَوْصَى الرَّشِيدُ مُؤَدِّبَ وَلَدِهِ الْأَمِينِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ نُهْجَةً نَفْسِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ : فَصَيَّرَ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً ^(٤)
وَطَاعَتَكَ عَلَيْهِ وَاجِبَةً . فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ ، وَعَرَفَهُ الْأَنْثَارَ ، وَرَوَاهُ الْأَشْمَارَ ، وَعَلِمَهُ السَّنَنَ ،
وَبَصَرَهُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ ، وَأَمَنَّهُ الضَّحْكَ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ . وَلَا تَمُرْ
بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُنْتَمٍ فِيهَا فَايْدَةً تُقَيِّدُهُ إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ
تُخْرِقَهُ ^(٥) فَحَبِيتَ ذِهْنَهُ . وَلَا تَمْنِ ^(٦) فِي مَسَامَحَتِهِ فَيَسْتَخْلِي الْفَرَاغَ
وَيَأْلَفُهُ . وَقَوْمُهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالرَّقِيقِ وَالْمَلَايِنَةِ ، فَإِنْ أَبَاهُمَا

(١) من رواه اذا حمله على روايته اي نقله (٢) يتقنوه (٣) سير وطرائق

(٤) يقال بسطت يده عليه اذا سلب عليه (٥) تدهشه (٦) تبالغ وتبعد

فَمَلِكٌ بِالشِّدَّةِ وَالنَّظْمَةِ^(١)

حُكْمِي أَنْ النُّصُورَ بَثَّ إِلَى مَنْ فِي الْحَبْسِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ
يَقُولُ لَهُمْ : مَا أَشَدُّ مَا مَرَّ بِكُمْ فِي هَذَا الْحَبْسِ . فَقَالُوا : مَا
قَعَدْنَا مِنْ تَأْدِيبٍ بَيْنَنَا

أَلْفَصْلُ الْعَاثِرُ

فِي التَّأْدِيبِ بِالزَّمَانِ

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ، وَيَتَعَلَّبُ الْأَيَّامُ
عِظَةً . وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : لَا تَدْعُ الْأَيَّامُ جَاهِلًا إِلَّا أَدَبَتْهُ
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَا أَكْثَرَ الْعِبرَ^(٢) لِمَنْ نَظَرَ ، وَأَنْفَعَهَا
لِمَنْ أَعْتَبَرَ^(٣)

وَقَالَ لَيْدٌ :

وَفِي غَايِرِ الْأَيَّامِ مَا يَعْظُ الْفَتَى وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَمْ تَعْظُهُ التَّجَارِبُ
وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ : كَفَى بِالذَّهْرِ مُخْبِرًا بِمَا مَضَى عَمَّا بَقِيَ .
وَكَفَى عِبْرًا لِأَيُّ الْأَلْبَابِ مَا جَرُّوا
وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ

كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرْءِ أَيَّامُ ذَهْرِهِ تَرُوحُ^(٤) لَهُ بِالْوَاعِظَاتِ وَتَتَعَدَّى

(١) الشدة (٢) جمع العبرة وهي العظة يتعظ بها (٣) اتعظ (٤) تذهب

إليه في الرواح أي الشيء ضد تتعدي

قِيلَ لِأَحَدِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَدَبَكَ . قَالَ : مَا أَدَبَنِي أَحَدٌ .
رَأَيْتُ الْجَهْلَ قَبِيحًا فَأَجْتَنَبْتُهُ

لَمَّا قَتَلَ عَايِرُ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَزَلَ فِي دَارِهِ وَقَعَدَ عَلَى
فَرَسِهِ ، دَخَلَ عَلَيْهِ بِنْتُ مَرْوَانَ فَقَالَتْ : يَا عَايِرُ : إِنَّ دَهْرًا أَتَزَلُّ
مَرْوَانَ عَنْ فَرَسِهِ ، وَأَقْعِدَكَ عَلَيْهِ ، لَمَّا أَبْلَغَ فِي عِظَتِكَ

الفصل الحادي عشر

في آداب المجالسة

قَالَ بَنُ عَبَّاسٍ : لِيَجْلِسَ عَلَيَّ ثَلَاثُ : أَنْ أَرُمُقَةً ^(١) يَطْرُقَ فِي
إِذَا أَقْبَلَ ، وَأَوْسَعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ ، وَأَصْنَعِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : لِكُلِّ شَيْءٍ مَحَلٌّ وَمَحَلُّ الْعَقْلِ مَجَالِسَةُ
النَّاسِ بِأَدَبٍ وَهَشَاةٍ وَأُطْفِئِ وَسَلَامَةً ذَوْقٍ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَتَعَيْنُ عَلَى الْجَلِيسِ أَنْ يُرَاعِيَ الْفَاطَةَ
وَتَكُونَ عَلَى حَذَرٍ مِنْ أَنْ يَغْتَرَّ لِسَانُهُ . خُصُوصًا إِذَا كَانَ جَلِيسُهُ
ذَاهِبِيَّةً . فَقَدْ قِيلَ : رُبَّ كَلِمَةٍ سَابَتْ نِعْمَةً

قِيلَ : إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ السَّفَّاحَ كَانَ يُحَدِّثُ يَوْمًا أَبَا بَكْرٍ

الْهَذِي . وَإِذَا بِالرَّيحِ قَدْ عَصَفَتْ فَأَزَمَتْ طَسْطًا مِنْ سَطْحٍ إِلَى
الْجَلْسِ ، فَأَزْنَعَ ^(١) مَنْ حَضَرَ وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْهَذِي ، وَلَمْ تَرَلْ عَيْنُهُ
مُطَابَقَةً ^(٢) لِمَنِ السَّفَاحُ . فَقَالَ : مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ يَا هَذِي .
فَقَالَ : مَا جَمَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ قَلْبَيْنِ فِي صَدْرِهِ ، وَإِنَّمَا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ .
فَلَمَّا غَمَرَهُ النُّورُ بِمَحَادَثَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِحَادِثٍ
مَحَالٌ ^(٣) . فَلَوْ أَوَقَلَّتِ الْخَضِرَاءُ ^(٤) عَلَى الْغُبَرَاءِ ^(٥) مَا أَحْسَسْتُ
بِهَا ، وَلَا وَجَعْتُ ^(٦) لَهَا . فَقَالَ السَّفَاحُ : لَيْتَ بَقِيْتُ لَكَ لِأَزْفَعَنَّ
مَكَانَكَ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِإِلَاحِ جَزِيلٍ وَصَلَةِ كَبِيرَةٍ .

الفصل الثاني عشر

في آداب الحديث والإسراع

قَالَتِ الْحُكَمَا : يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ لَا يُقْبَلَ بِحَدِيثِهِ عَلَى
مَنْ لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قِيلَ : إِنَّ نَشَاطَ الْمُتَكَلِّمِ بِقَدْرِ إِقْبَالِ
السَّامِعِ . وَيَتَمَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَ أَلْهُتَمِعَ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ . وَلَا
يَبْتَدِئُ ^(١) كَلَامًا لَا يَلِيقُ بِالْجَلْسِ . فَقَدْ قِيلَ : لِكُلِّ مَقَامٍ
مَسْأَلٌ ، وَحَيْرُ الْقَوْلِ مَا وَافَقَ الْحَالَ

(١) فزع (٢) موافقة (٣) طريق (٤) السماء (٥) الارض (٦) من وجع له اذا

وقى له وغم بسببه (٧) يتنى ويخزع

وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : مَنْ لَمْ يَنْشَطْ ^(١) إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِكَ
فَأَزَفَ عَنْهُ مَوْثِقَةُ الْإِسْتِمَاعِ . وَقِيلَ : لَا تُطْعِمَ طَعَامَكَ مَنْ
لَا يَشْتَهِيهِ . وَفِي كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : الْإِسْتِمَاعُ بِالْعَيْنِ ، فَإِذَا
رَأَيْتَ عَيْنَ مَنْ تُحَدِّثُهُ مُقْبِلَةً عَلَى غَيْرِكَ فَأَصْرِفْ حَدِيثَكَ إِلَى
غَيْرِهِ . وَقَالَ آخَرُ : مِنَ السُّنَّةِ إِذَا حَدَّثْتَ الْقَوْمَ أَنْ لَا تُثْمِلَ عَلَى
وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ نَصيباً
وَقَالَ آخَرُ : إِذَا أُعِيدَ الْحَدِيثُ ذَهَبَ ضَوْؤُهُ وَرَوْنُفُهُ .
وَقِيلَ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قُلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَطْلُ فَيُفْلَ
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَمِيدِ : مَنْ لَمْ يُحْسِنِ أَنْ يَسْكُتْ لَمْ يُحْسِنِ
أَنْ يَسْمَعَ ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنِ أَنْ يَسْمَعَ لَمْ يُحْسِنِ أَنْ يَسْأَلَ ، وَمَنْ
لَمْ يُحْسِنِ أَنْ يَسْأَلَ لَمْ يُحْسِنِ أَنْ يَقُولَ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ .
كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْحَدِيثِ ، لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ
أَحْرَصُ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ ، وَاحْذَرْ أَنْ تُسْرِعَ فِي الْقَوْلِ فِي
مَا يَجِبُ عَنْهُ الرُّجُوعُ بِالْفِعْلِ . حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ إِلَى فِعْلِ
مَا لَمْ تَقُلْ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى قَوْلِ مَا لَمْ تَفْعَلْ
وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لِلسَّائِلِ عَلَى السَّامِعِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ :

(١) من نشط اذا طالبت نفسه

جَمْعُ الْبَالِ ، وَحُسْنُ الْإِسْتِمَاعِ ، وَالْكَيْفَانُ لِمَا يَشْتَفِي الْكَيْفَانُ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ أَلَّا تُتَابَعَ أَحَدًا
عَلَى كَلَامِهِ ، وَإِذَا سُئِلَ غَيْرُكَ فَلَا تُجِبْ عَنْهُ ، وَإِذَا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ
فَلَا تُنَازِعْهُ إِيَّاهُ وَلَا تَقْحَمْ عَلَيْهِ فِيهِ ، وَلَا تَرَوْهُ أَنْكَ تَعْلَمُهُ . وَإِذَا
كَلِمَتُ صَاحِبِكَ فَأَخَذْتَهُ حُجَّتَكَ فَحَسِّنْ مَخْرَجَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَا
تُظْهِرِ الظَّفَرَ بِهِ

وَأَوْجَبَتِ الْأَدَبَاءُ عَلَى الْمُسْتَمِعِ أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ
أَمْتِكَلِمٍ مَا كَانَ مَرًّا بِسَمْعِهِ أَوْ لَا أَلَّا يَقْطَعَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُهُ بَلَى
يَسْكُتُ إِلَى أَنْ يَسْتَوْعِبَ ^(١) مِنْهُ الْقَوْلَ . وَعَدُّوا ذَلِكَ مِنْ بَابِ
الْأَدَبِ وَلَكِنَّهُ إِذَا صَبَرَ وَسَكَتَ اسْتِفَادَ مِنْ ذَلِكَ زِيَادَةً فَإِنْدَهُ لَمْ
تَكُنْ فِي حِفْظِهِ

وَذَكَرَ أَعْرَابِيُّ رَجُلًا يَسُوءُ الْأَدَبَ فَقَالَ : إِنْ حَدَّثْتَهُ
سَابَقْتُ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِيثِ ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ أَخَذْتُ فِي التَّرَهَاتِ ^(٢)



(١) يستوفي (٢) جمع ترهة وهي الباطل والكذب والتخليط

أَفْضَلُ الثَّلَاثِ عَشَرَ

فِي آدَابِ الْبَيَادَةِ

قَالَ أَحَدُ الْأَدَبَاءِ : إِذَا مَرَضَ صَدِيقُكَ فَعُدَّهُ مِرَارًا ، وَحَدِّثْهُ بِحَدِيثِ بُشَجْمَةٍ وَيُتَوَرِّيه عَلَى مُقَاسَاةِ أَوْجَاعِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ مَا يُزْجَعُهُ وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ سَمَاعُهُ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَرِيدَهُ هَمًّا وَقَلَقًا ، فَتَكُونَ عِيَادَتُكَ لَهُ وَبَالًا ^(١) عَلَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تُطِلْ عِيَادَتَكَ ^(٢) لِلْمَرِيضِ إِذَا شَقَّتْ ^(٣) عَلَيْهِ مُجَالَسَتُكَ لَهُ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ مَعَهُ فِي حِينَ يُزْجَعُهُ الْكَلَامُ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : لَا تُطِلْ الْجُلُوسَ عِنْدَ الْمَرِيضِ فَأَلْمَلِيلُ يُعَادُ وَالصَّبِيحُ يُزَارُ

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : الْتِفْلَاهُ أَشَدُّ عَلَى الْمَرَضَى مِنْ أَمْرَاضِهِمْ يَجِئُونَ فِي غَيْرِ وَقْتٍ ، وَيُطِيلُونَ الْجُلُوسَ

إِعْتَلَّ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ الْكَاتِبُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ يَعُودُهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى السَّلَامِ عَلَيْهِ وَالْدُّعَاءَ لَهُ ، وَيَخْتَفِ فِي الْجُلُوسِ ، ثُمَّ يَلْقَى حَاجِبَهُ فَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ

(١) الوبال الشدة والثقل والوخامة (٢) العيادة الزيارة في المرض (٣) صعبت

وَمَا أَكَلَهُ وَمَشَرَبَهُ وَمَتَابِهِ ، وَكَانَ غَيْرُهُ يُطِيلُ الْجُلُوسَ . فَلَمَّا أَفَاقَ
الْقَضْلُ مِنْ عَلَيْهِ قَالَ : مَا عَادَنِي فِي عَلَيِّ هَذِهِ إِلَّا إِسْمَاعِيلُ
ابْنُ صَيْحٍ .

وَلَمَّا مَرَضَ الْأَعْمَشُ أَبْرَمَهُ النَّاسُ بِالسُّوَالِ عَنْ حَالِهِ ، فَكَتَبَ
قِصَّتَهُ فِي كِتَابٍ وَجَعَلَهُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَإِذَا سَأَلَهُ أَحَدٌ قَالَ : عِنْدَكَ
الْقِصَّةُ فِي الْكِتَابِ فَأَقْرَأْهَا

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ ،
فَسَأَلَهُ عَنْ عِلَّتِهِ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ مَاتَ فُلَانٌ وَمَاتَ
فُلَانٌ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِذَا عُدْتَ الْمَرْضَى فَلَا تَنْعَ (١) لَهُمُ الْمَوْتَى ،
وَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِنَا فَلَا تُعِدْ إِلَيْنَا

الفصل الرابع عشر

في آداب التضييف

مِنْ آدَابِ الْمُضَيِّفِ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنْ
يُحَدِّثَهُمْ بِمَا يَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ ، وَلَا يَتَأَمَّ قَبْلَهُمْ ، وَلَا يَشْكُو
الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ ، وَيَيْتَشُّ عِنْدَ قُدُومِهِمْ ، وَيَتَأَلَّمُ عِنْدَ وِدَائِهِمْ ،
وَلَا يَغْضَبُ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ ، وَلَا يُنْقِصُ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ ،

(١) من نعاها له إذا أخبره بموته

وَلَا يَمْسُ وَجْهَهُ ، وَلَا يُظْهِرُ نَكَدًا ^(١) ، وَلَا يَتَهَرَّ ^(٢) أَحَدًا ، وَلَا
يَشْتَهُ بِحَضَرَتِهِمْ ، بَلْ يُدْخِلُ عَلَى قُلُوبِهِمِ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا أَمَكَّنَ .
وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَهُمْ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْمُحَادَثَةِ وَغَرِيبِ
الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَبِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ
الطَّرَفِ ^(٣) . إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَإِذَا قُدِّمَ لَهُمُ الطَّامُ فَلَا
يَنْتَظِرُ مَنْ لَا يَخْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ تُضْنِي ^(٤) :
سِرَاجٌ لَا يُضِيئُ ، وَرَسُولٌ بَطِيءٌ ، وَمَانِدَةٌ يَنْتَظِرُ لَهَا مَنْ يَجِيءُ
وَقَالَتِ الْعَرَبُ : قَامَ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ^(٥) ،
وَإِطَاةُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَضَاجِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ
وَيَخْصُبُ عِنْدِي وَالزَّمَانُ جَدِيدُ
وَمَا الْخِصْبُ إِلَّا ضِيَافُ أَنْ تَكْثُرَ الْقَرَى ^(٦)
وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ
وَقَالَ آخَرُ يَفْتَحُرُ بِحَسَنِ ضِيَافَتِهِ :

بَسْتَرْسِلُ الضَّيْفُ أَنْسَاءَ فِي مَنَازِلِنَا فَايَسَ يَتَامُ خَلْقُ أَتِنَا الضَّيْفُ

(١) عمرًا وضيقًا (٢) يزجر ويمنع (٣) جمع طرفة وهي الملحة والعريب

المستحسن المعجب (٤) تثقل أي تحمل حملًا ثنيلاً (٥) أي عند أول شيء

(٦) ما قدم للضيف

الباب الثاني

في الفضائل والفاصل

الفصل الأول

في التواضع والكبر

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ قَلَّ صَوَابُهُ وَكَثُرَ
إِعْجَابُهُ ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ ذُو عُسْرٍ يَخْطُرُ ^(١) فِي رِذَاءِ كِبَرِهِ
وَقَالَ سُفْيَانُ : السَّفَاهَةُ ^(٢) إِذَا تَعَلَّمُوا تَكَبَّرُوا ، وَإِذَا تَمَوَّلُوا
اسْتَطَالُوا ^(٣) . وَالْكَرَامُ إِذَا تَعَلَّمُوا تَوَاضَعُوا ، وَإِذَا افْتَقَرُوا
اسْتَطَالُوا ^(٤)

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَا يُدْرِكُ حَاجَةً :
مَنْ اسْتَكْبَرَ عِلْمَهُ ، وَلَسِيَ ذَنْبَهُ ، وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَشَدُّ النَّاسِ لِلْعِلْمِ ادِّعَاءَ أَقْلَهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِ عِلْمًا
وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : مَنْ كَانَتْ وَلَايَتُهُ فَوْقَ قَدْرِهِ

(١) يهتد ويتبحر (٢) الاندال (٣) تكبروا (٤) ترفعوا وتعالوا

تَكَبَّرَ لَهَا ، وَمَنْ كَانَتْ وَلَايَتُهُ دُونَ قَدْرِهِ تَوَاضَعَ لَهَا

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِتَّضَعَ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَى وَأَكْظِمَ^(١) الْفَيْظَ وَلَا تَبْدِ الصُّجْرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذَخْرًا إِنَّهُ يَلْقَى أَفْضَلَ شَيْءٍ يُدْخِرُ
وَأَحْمِلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَلِّكَ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ تَاهَ فِي وَلَايَتِهِ ذَلٌّ فِي عَزْلِهِ ،
وَذُلٌّ الْعَزَلِ يُضْحِكُ مِنْ تِيهِ أَوْلَايَاةٍ . وَقِيلَ : مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى
النَّاسِ ذَلٌّ . وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءَ : أَسْبَابُ الْكِبَرِ عُلُوُّ أَيْدٍ ، وَتَفَوُّدُ
الْأَمْرِ ، وَقَلَّةُ مُخَالَطَةِ^(٢) الْأَكْفَاءِ^(٣) . وَأَسْبَابُ الْإِعْجَابِ كَثْرَةُ
مَدْحِ الْمُتَمَرِّبِينَ ، وَإِطْرَاءُ^(٤) الْمُتَمَلِّينَ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ بَرَى مِنْ ثَلَاثٍ نَالَ ثَلَاثًا : مَنْ
بَرَى^(٥) مِنَ الشَّرَفِ^(٦) نَالَ الْبُخْلَ ، وَمَنْ بَرَى مِنَ الْبُخْلِ نَالَ
الشَّرَفَ ، وَمَنْ بَرَى مِنَ الْكِبَرِ نَالَ الْكَرَامَةَ . وَقَالَ بَنُ الْقُتَيْبِ :
الْإِفْرَاطُ فِي التَّوَاضُعِ يُوجِبُ الْمَذَلَّةَ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْمُوَاسَّاتِ
يُوجِبُ الْمَهَانَةَ . وَقَالَ آخَرُ : مِنَ التَّوَاضُعِ مَا يَضَعُ^(٧)

(١) ردّ واحبس (٢) مباشرة (٣) النظراء. والامثال (٤) الاطراء. المدح

بإبلغ ما عندك (٥) سلم وتخلص (٦) تجاوز الحد والاعتدال (٧) يذل

الفصل الثاني

في الصدق والكذب

قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : الْكَذِبُ جِاعٌ كُلُّ شَرٍّ ، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ . لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ ، وَخُبْرُ نَتَائِجِهِ . لِأَنَّهُ يُنْتِجُ النَّيْمَةَ ، وَالنَّيْمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ ، وَالْبَغْضَاءُ تَوَلُّوهُ إِلَى الْعَدَاوَةِ ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : مَنْ اسْتَحْلَى رِضَاعَ الْكَذِبِ عَسِرَ فِطَامُهُ وَقَالَ أَحَدُ الْأَدَبَاءِ : الْكَذُوبُ مُتَمِّمٌ وَإِنْ صَدَقَتْ لَهْجَتُهُ ^(١) وَوَضَحَتْ حُجَّتُهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لِأَن يَضَعِيَ الصِّدْقُ وَقَلْمًا يَفْعَلُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي الْكَذِبُ وَقَلْمًا يَفْعَلُ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ : إِذَا اتَّسَمَ الْمَرْءُ بِأَلْكَذِبِ لُسِبَتْ إِلَيْهِ شَوَارِدُ الْكَذِبِ الْمَجْهُولَةِ ، وَأُضِيفَتْ إِلَى أَكَاذِيهِ زِيَادَاتٌ مُفْتَعَلَةٌ ^(٢) . حَتَّى يَصِيرَ الْكَاذِبُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ مَعَرَّةٍ ^(٣) الْكَذِبِ عَنْهُ ، وَمَضَرَّةٍ الْكَذِبِ عَلَيْهِ

وَقَالَ آخَرُ : تَعَرَّوْا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ أَلْهَكَّةَ ، فَإِنْ

(١) اللهجة اللسان (٢) مزورة ومختلفة (٣) المعرة الميب والاذى

فِيهِ النَّجَاةُ . وَتَجَبُّوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ النَّجَاةُ ، فَإِنَّ فِيهِ
الْهَلَكَةَ

وَقَالَ أَحَدُ الْفَلَاسِفَةِ : إِيَّاكَ وَحِكَايَةُ مَا يُسْتَعَدُّ فَيَجِدَ عَدُوَّكَ
سَبِيلًا إِلَى تَكْذِيبِكَ ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْعَاقِلِ أَنْ يُحَدِّثَ بِمَا لَا
يُسْتَطَاعُ تَكْذِيبُهُ

وَقَالَ حَكِيمٌ : مَنْ عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَذِبَ لَمْ يُصَدِّقِ الصَّادِقَ .
فِي مَا يَقُولُهُ . وَقَالَ آخَرُ : تَزْرَعُ سَمَكَ عَنْ سَمَاعِ الْكَذِبِ كَمَا
تُزْرَعُ لِسَانَكَ عَنِ التَّقْوَى بِهِ

الفصل الثالث

فِي الرِّثَاءِ

حَقِيقَةُ الرِّثَاءِ اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَاخْتِلَافُ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى سَخْفِ الْعَقْلِ .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ عُرْوَةَ : لِأَنْ يَكُونَ لِي نِصْفُ وَجْهِهِ وَنِصْفُ
لِسَانِهِ ، عَلَى ^(١) مَا فِيهِمَا مِنْ قُبْحِ النِّظَرِ وَسُوءِ الْخَبَرِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَنْ أَكُونَ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ وَذَا قَوْلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ

وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : مَنْ أَلْتَمَسَ أَرْبَعًا يَأْزِيعَ أَلْتَمَسَ مَا لَا
يَكُونُ . مَنْ أَلْتَمَسَ الْجَزَاءَ بِالرِّثَاءِ ، وَمَوَدَّةَ النَّاسِ بِالْغِلَاطَةِ ،
وَوَفَاءَ الْأَخْوَانِ بِغَيْرِ وَفَاءٍ ، وَالْعِلْمَ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ
وَقَالَ الْأَحْفَتُ بْنُ قَيْسٍ : لَا صِدْقَ لِمُتَلَوِّنٍ ، وَلَا وَفَاءَ
لِكَذُوبٍ ، وَلَا رَاحَةَ لِحُسُودٍ ، وَلَا مَرْوَةَ لِدَنِيٍّ ، وَلَا زَعَامَةً ^(١)
لِسَيِّئِ الْخُلُقِ .

وَقَالَ آخَرُ : الْمُتَزَيِّنُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ كَلَامٌ تَوْنِي زُورٍ . فَهُوَ
بِرِثَائِهِ مَخْرُومٌ الْأَجْرُ مَذْمُومُ الذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ لَا يَقْصِدُ وَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَى فَيُوجِرُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَنْفَعِي رِثَاؤُهُ عَلَى النَّاسِ فَيُحْمَدُ بِهِ
وَقَالَ الْتَهَامِيُّ :

تَوْبُ الرِّثَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا أَكْتَسَيْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عَارٍ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّئُ الْعَبْدِيُّ :

إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمَ

الفصل الرابع

فِي ذِمَّةِ الْغَدَاةِ وَالْأَتْلِقِ

قَالَ بَعْضُ الْبَلَاءِ : الْأَتْلِقُ خُدْعَةٌ لَا يَرْضِيهَا عَاقِلٌ ، وَلَا يَتَخَدَّعُ بِهَا مُعَيَّرٌ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْدَاءُ الرَّجُلِ قَدْ يَكُونُونَ أَنْفَعَ مِنْ إِخْوَانِهِ . لِأَنَّهُمْ يَهْدُونَهُ إِلَى عُيُوبِهِ فَيَجَنَّبُهَا ، وَيَخَافُ شِمَاتَهُمْ فَيَضْبُطُ نَفْسَهُ ، وَيَتَحَرَّرُ مِنْ ذَوَالِهَا بِعَايَةِ طَوْلِقِهِ ^(١)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِي مَا لَمْ تَأْتِهِ فَأَحْذَرْ أَنْ يَكْفُرَ بِنِعْمَتِكَ فِي مَا أَتَيْتَهُ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ رَفَعَكَ فَوْقَ قَدْرِكَ فَأَتَقِهِ

وَقَالَ آخَرُ : إِنْ أَلْمَزْتَهُنَّ بِبُخْلِهِنَّ الْأَتْلِقِ خَدِيعَةٌ . فَإِذَا وَجَدُوهُ مَقْشُورًا فِي الْعُقُولِ الضَّعِيفَةِ أَغْرَزُوا أَرْبَابَهَا وَجَعَلُوا ذَلِكَ ذَرِيعَةً إِلَى الْإِسْتِزَاءِ بِهِمْ

وَقَالَ عَلِيُّ : مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنْ الْجَمِيلِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْكَ ذَلِكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنَ الْقَبِيحِ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْكَ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : عَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ وَلَيْسَ فِيهِ

(١) الطول والسعة والقدرة

كَيْفَ يَفْرَحُ. وَعَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الشَّرُّ وَهُوَ فِيهِ كَيْفَ يَغْضَبُ
وَقَالَ آخَرُ: إِذَا أَعْجَبَكَ مَا تَوَاصَفَهُ النَّاسُ مِنْ مَحَابِبِكَ
فَانْظُرْ فِي مَا بَطَنَ مِنْ مَسَاوِيكَ. وَلَتَكُنْ مَعْرِفَتُكَ بِنَفْسِكَ أَوْثَقَ
عِنْدَكَ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ لَكَ

وَقَالَ بَنُ الْقُفْعِ: قَابِلُ الْمَدْحِ كَادِحٌ نَفْسِهِ. وَقَالَ آخَرُ: مَنْ
رَضِيَ أَنْ يُمَدِّحَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ أَمَكَّنَ السَّائِرَ مِنْهُ

وَقَالَ الْأَسْكَندَرُ: انْتَقَمْتُ بِأَعْدَائِي أَكْثَرَ مِمَّا انْتَقَمْتُ
بِأَصْدِقَائِي. لِأَنَّ أَعْدَائِي كَانُوا يُعَيِّرُونَنِي وَيَكْشِفُونَ لِي عُيُوبِي
وَيُبْهِنُونَنِي بِذَلِكَ عَلَى الْخَطَا فَاستدركُهُ. وَكَانَ أَصْدِقَائِي مُرْتَبُونَ
لِي الْخَطَا وَيُشْجِعُونَنِي عَلَيْهِ

وَلِلَّهِ ذُرِّيُّ حَيَانَ الْأَنْدُلُسِيِّ إِذْ أَنْشَدَ
عِدَائِي لَهُمْ فَضْلُ عَلِيٍّ وَمِنَّةٌ فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ بِخَوَاعِنِ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَأَكْتَسَبْتُ الْمَالِيَا
جَاءَ رَجُلٌ الْأَنْدَلِيُّ فَقَالَ لَهُ: أَنَا عَبْدُكَ. فَقَالَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا
يَنْسِبُ نَفْسَهُ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ. فَإِنَّهُ مَا قَدْ كَذِبَ لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا
مَقْتُونٌ^(١) أَوْ مَا قُونٌ^(٢)

الفصل الخامس

في السَّيِّئَةِ وَالنَّيِّبَةِ وَالنَّيِّبَةِ

قَالَ بَعْضُ الْفَضَلَاءِ : النَّيِّبَةُ دَنَاءَةٌ وَالسَّيِّئَةُ رَدَاءَةٌ ، وَهِيَ
رَأْسُ الْقَذْرِ وَأَسُّ الشَّرِّ . فَتَجَنَّبْ سُبُلَهُمَا وَتَحَرَّزْ مِنْ أَهْلِهِمَا
وَقَالَ آخَرُ : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا
لَا يَعْلَمُونَ ، وَمَنْ تَتَّبَعَ مَسَاوِيَّ الْبِئَادِ قَدْ نَحَلْتُمْ ^(١) عِرْضَهُ
وَقَالَ آخَرُ : إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَنْتَابُ النَّاسَ فَأَجْهَدْ جَهْدَكَ أَنْ
لَا يَعْرِفَكَ ، فَإِنْ أَشْقَى النَّاسَ بِهِ مَعَارِفُهُ . وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ :
الْأَشْرَارُ يَتَّبِعُونَ مَسَاوِيَّ النَّاسِ وَيَتْرَكُونَ مَحَاسِنَهُمْ ، كَمَا يَتَّبِعُ
الذَّبَابُ الْمَوَاضِعَ الْفَاسِدَةَ مِنَ الْجَسَدِ وَيَتْرَكُ الصَّحِيحَةَ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاسِيْنَ تَسْلَقُ ^(٢) مَسَامِعُهُ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ
وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لَوْلَدِهِ : لِيَكُنْ أَبْغَضُ رَعِيَّتِكَ إِلَيْكَ
أَشَدَّهُمْ كَشْفًا لِمَا يَبِىرُ النَّاسِ . فَإِنَّ لِلنَّاسِ مَعَايِبَ أَنْتَ أَحَقُّ
بِسِتْرِهَا . وَأَنْتَ إِنَّمَا تَحْكُمُ بِمَا ظَهَرَ لَكَ . وَاللَّهُ يَحْكُمُ فِي مَا غَابَ

(١) اي اعطاهم اياه من غير عوض (٢) يأذن يستمع وتسلق توذى

عَنْكَ ، وَأَكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتُرِ الْعَوْرَةَ يَسْتُرِ اللَّهُ
عَلَيْكَ مَا تُحِبُّ مَثَرَهُ . وَلَا تُصْغِرْ إِلَى صَدِيقٍ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ
غَاشٍ وَإِنْ قَالَ قَوْلَ نَصِيحٍ .

وَقَالَ أَرِسْطُو طَالِيسُ : النَّيْمَةُ تُهْدِي إِلَى الْقُلُوبِ الْبَغْضَاءَ .
وَمَنْ نَزَلَ إِلَيْكَ نَزَلَ عَنْكَ . وَقَالَ الْمُهْدِيُّ : مَا السَّاعِي بِأَعْظَمِ
عَوْرَةٍ وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَابِلِ سَمَائَةٍ . وَلَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ السَّاعِي
إِلَيْكَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا تَشْفِ غِيْظُهُ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا تُعَاقِبْ لَهُ عَدُوَّهُ
لئَلَّا يَشْتَبِهَ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : السَّمَايَةُ إِلَى كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ مَهْلِكَةٌ ،
فَكَمْ دَمٍ أَرَأَيْتُمْ سَعَى سَاعٍ ، وَكَمْ حَرِيمٍ أَسْتَبِيحَ بَنِيْمَةٍ تَمَامٍ ،
وَكَمْ مِنْ صَفِيٍّ تَقَاطَعَا ، وَكَمْ مِنْ إِنْثَيْنِ تَهَاجَرَا ، وَكَمْ مِنْ
زَوْجَيْنِ تَتَارَقَا .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَهْتَكَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا
فَيَهْتِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا
وَلَا تَبْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَمَّا فِيكَ

وَأَنْشَدَ آخَرُ :

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
وَقَالَ الْأِسْكَندَرُ لِرَجُلٍ سَعَى إِلَيْهِ بِرَجُلٍ : أَتُحِبُّ أَنْ نَقْبَلَ
مِنْكَ مَا تَقُولُ فِيهِ عَلَى أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ . قَالَ : لَا .
قَالَ : فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكْفُ عَنْكَ الشَّرُّ

وَعَاتَبَ مُعَاوِيَةَ الْأَخْنَفَ فِي شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ فَأَنْكَرَهُ . فَقَالَ
لَهُ مُعَاوِيَةُ : بَلِّغْنِي عَنْكَ الْثِقَّةُ . فَقَالَ : كَلَّا إِنَّ الثِّقَّةَ لَا يُبْلَغُ مُكْرُوهًا
وَسَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَلْوَةَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِذَا شِئْتُمْ
فَقُومُوا . فَلَمَّا تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِلْكَلامِ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ . إِيَّاكَ أَنْ
تُدْحِي قَانَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ ، أَوْ تَكْذِبُنِي فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِلْكَذُوبِ
أَوْ تَسْعَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ فَإِنَّ السَّعَايَةَ مِنْ أَفْطَحِ الْجَرَائِمِ

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَفْعُ فِي ^(١) قَالَ :
أَنْتَ إِذَا عَلَيَّ أَكْرَمَ مِنْ نَفْسِي

• • • • •

الفصل السادس

في القناعة

قَالَ الْحُكَمَاءُ : الْغِنَى مِنَ اسْتَمْنَى بِاللهِ وَالْفَقِيرُ مَنْ افْتَقَرَ
إِلَى النَّاسِ . وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ : سُرُورُ الدُّنْيَا أَنْ تَقْنَعَ بِمَا رَزَقَتْ ،
وَعَمَلُهَا أَنْ تَتَمَّ بِمَا لَمْ تُرَزَقْ

وَقَالَ عَائِي : مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ وَبَدُنُهُ .
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ الْغِنَى
فَاعْلَمْ : فِي الْقَنَاعَةِ فَإِنَّهَا مَالٌ لَا يَنْفَدُ . وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعِ فَإِنَّهُ قَهْرٌ حَاضِرٌ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ
وَقَالَ بَعْضُ الْفُلاَّه : قَلِيلٌ يَكْفِي ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْنِي ^(١)
وَقِيلَ : لَا تَحْمِلَنَّ عَلَى يَوْمِكَ مِمَّ غَدَاكَ فَصَبَّ كُلَّ يَوْمٍ هُمَةٌ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

ذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَرِيداً فَلَا تَكُنْ عَلَى حَايَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا
وَقَالَ أَبُو شَرَارٍ : إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا تَذُمَّ فَلَا تَذَنْ مَا بِهِ
نَهْتُمْ . وَفِي ذَا الْمَنَى ذَلَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَالِمٌ .

(١) اطمانه حوله مله اي مـ رـ بـ الحـي والـالـمـ

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ الْمُنِجِمُ :

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفَرًّا^(١) لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنْ جِهَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُنْسِكُ وَهُوَ طَائِرٌ^(٢) فَرِيَسَتَهُ لِأَكْلِهَا سِوَاهُ

وَقَالَ عَلِيٌّ : أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْقَوْلِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .
وَقِيلَ : مَنْ لَزِمَ الطَّمَعَ عَدِمَ الْوَدَعَ

وَضَمَّنَ الْأَبَشِيهِيُّ بَيْتًا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَيَا مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَأَقْبَى الْعُمَرَاءِ فِي قِيلٍ وَقَالَ
وَأَتَمَّبَ نَفْسَهُ فِي مَا سَبَقَنِي وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
هَبِ الدُّنْيَا تُقَادُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا طَاوَعْتَ حِرْصَكَ كُنْتَ عَبْدًا لِكُلِّ دَنِيَّةٍ تُدْعَى إِلَيْهَا
قِيلَ لِلْإِسْكَانْدَرِ : مَا سُرُورُ الدُّنْيَا . قَالَ : أَلِرِّضَى بِمَا رُزِقَتْ
مِنْهَا . قِيلَ : فَأَغْنِمَهَا . قَالَ : أَلِحِرْصُ عَائِيهَا

وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا بَالُ الشَّيْخِ أَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنَ الشَّابِّ .
قَالَ : لِأَنَّهُ ذَاقَ مِنْ طَعْمِ الدُّنْيَا مَا لَمْ يَذُقْهُ الشَّابُّ

(١) الوفور من المال الكثير الرابع (٢) الطاووي الجائع الذي لم يأكل شيئاً

الفصل الثامن

في فضل الغنى على الفقر

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَحْفَظُ مَالَهُ لِيَصُونَ بِوَعْرَضِهِ
وَيَحْمِي بِهِ مُرُوءَتَهُ ، وَيَصِلَ بِهِ رَحْمَهُ ، وَيَسْتَنِي بِهِ عَنِ لِقَامِ النَّاسِ
وَقَالَ عَلِيٌّ : الْفَقْرُ ، الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ حَفِظَ
دُنْيَاهُ حَفِظَ الْآكَرَمِينَ : دِينَهُ وَعِرْضَهُ
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : لَأَنْ تَذَرَ ^(١) وَرَثَتَكَ أَغْنِيََا خَيْرٌ مِنْ أَنْ
تَذَرَهُمْ عَالَةً ^(٢) يَتَكَفَّفُونَ ^(٣) النَّاسَ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَتَانِ آخَرُ :

فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى بِهَا
عَلَى الْخَرِّ ذِي الْإِفْلَالِ وَنَسْمُ هَوَانٍ ^(٤)
إِذَا قَالَ لَمْ يُسْمَعْ لِحُسْنِ مَقَالِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانٍ
وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ أَكَلْتُ الْحُظْلَ وَذُقْتُ الصَّبْرَ

(١) ترك (٢) العالة جمع العالة وهو المفتقر (٣) تكفف رجل الناس اذا

مد كفه اليهم بالمسئلة (٤) الوسم اثر الكي والعلامة

فَلَمْ أَرَشَيْناً أَمْرٍ مِنَ الْفَقْرِ . فَإِنْ أَفْتَرَزْتَ فَلَا تُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ
 كَيْ لَا يَتَقَصُّوكَ ^(١) . وَلَكِنْ أَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ . قَنَّ ذَا
 الَّذِي سَأَلَ اللَّهُ فَلَمْ يُعْطِهِ ، أَوْ دَعَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، أَوْ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ فَلَمْ
 يَكْشِفْ مَا بِهِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

الْفَقْرُ يُزْرِئُ بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ وَيَجْعَلُهُ
 غَرِيباً فِي بَلَدِيهِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا رَسْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَفَلَبْتُهُ وَمَا رَسَنِي الْفَقْرُ فَفَلَبَنِي .
 إِنْ سَتَرْتُهُ أَهْلَكَنِي ، وَإِنْ أَدْعَتْهُ فَضَحَنِي

وَقَالَ آخَرُ : طَلَبْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ لَهَا أَرْوَاحَ مَنْ
 تَرَكَ مَا لَا يَغْنِيهَا ، وَتَوَحَّشْتُ لِي الْبَرِّيَّةَ فَلَمْ أَرْ وَحْشَةً أَمْرٍ مِنْ
 قَرِينِ السُّوءِ ، وَشَهِدْتُ الزُّخُوفَ ^(٢) ، غَايَبْتُ الْأَقْرَانَ فَأَمَّ أَرَا
 قِرْنَا أَنْ لَبَّ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُرَاءِ الْأَوْ ، وَظَنَنْتُ إِلَى كُلِّ مَا يَذِلُّ
 الْقَوِيَّ وَيَكْسِرُهُ فَأَمَّ أَرَشَيْناً أَذِلَّ لَهُ وَلَا أَكْسَرَ مِنْ الْفَاقَةِ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

الْمَالُ يَمْنَعُ سَقْفًا لَا عِادَةَ لَهُ وَالْفَقْرُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْإِنْسَانِ دَالًا رَفِ

(١) "قَنَّ" صَدَّ ، وَ "بَابُ الْإِنْفِاسِ" (٢) جَمْعُ الرَّحْبِ وَهُوَ شَيْءٌ خَفِيَ إِلَى الْعَدْرِ

وَقَالَ آخَرُ :

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَمَلَّتْ
وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ أَلْتِي فِي كَيْسِهِ
إِنْ أَلْتَنِي إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْخَطَا
أَمَّا الْفَقِيرُ فَإِنْ تَكَلَّمَ صَادِقًا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً

وَقَالَ ابْنُ الْأَخْفَرِ :

يُمْسِي الْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ ضِدُّهُ
وَتَرَاهُ مَمْنُوتًا وَلَيْسَ بِمُذْنِبٍ
حَتَّى الْكِلَابُ إِذَا رَأَتْ ذَا بَرْقٍ
وَإِذَا رَأَتْ يَوْمًا فَقِيرًا عَارِيًا

وَقَالَ آخَرُ :

جُرُوحُ الْأَسَاكِلِ مَا لَهَا طَلِيبُ
وَحُبُّكَ أَنْ الْمَرْءُ فِي حَالٍ قَهْرٍ
وَعَيْشُ الْفَقْرِ بِأَنْفَرِ لَيْسَ يَطِيبُ
تُجَنَّبُهُ الْأَقْوَامُ وَهُوَ كَيْبُ

الفصل التاسع

في العث على حفظ المال وأنهى عن التبذير

قالت الحكماء : التبذير إنفاق المال في غير حق وبذله على وجه لا تقتضيه الحكمة
وقال المتلّس :

لحفظ المال خيرٌ من فناه وسير في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد
وقال أبو بكر : إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام
في يوم واحد . وقال أحد العلماء : ما وقع تبذير في كثير إلا
هدمه ، ولا دخل تدبير في قليل إلا كثره ونمره^(١)

وقال معاوية لولده يزيد : إذا أعطيت ما لك في غير الحق
يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تعطيه منه . وقال سمرط :
لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك بكتابه

وقال آخر : التبذير يعني الأسير ، والتبذير يدمر الكثير .
وقيل : ربما عرقب المدبر بالافلاس وصر بأهله مثلثة بين

النَّاسِ . وَقِيلَ : اُسْرَفُ فِي الْاِثْنَاكَ يُفْسِدُ مِنْ اَنْفُسِ بِمُقْدَارِ
 مَا يُصْلِحُ مِنَ الْعَمَلِ . وَقِيلَ : يُوشِكُ مَنْ اَتَقَى سَرَفًا اَنْ يَمُوتَ
 اَسْفًا . وَقَالَ اَفْلَاطُونُ : رَأْسُ الْعَمَلِ الْاِقْتِصَادُ فِي الْاِثْنَاكَ مِنْ
 غَيْرِ بُخْلِ . وَقِيلَ : يَذْبَحِي لِلْعَاقِلِ اَنْ يَكْسِبَ بِبَعْضِ مَالِهِ
 الْمَحْمَدَةَ وَيَصُونَ بِبَعْضِهِ وَجْهَهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

اَتَقَى بِمُقْدَارِ مَا اُسْتَفَذْتَ وَلَا تُسْرِفْ وَعِشْ فِيهِ عَيْشُ مُقْتَصِدِ
 مَنْ كَانَ فِي مَا اُسْتَفَادَ مُقْتَصِدًا لَمْ يَفْتَقِرْ بَعْدَهَا اِلَى اَحَدٍ
 وَقَالَ حَكِيمٌ : اِنْ فِي صَلاَحِ الْاَمْوَالِ سَلَامَةٌ اَلَّذِينَ ، وَجَالِ
 اَلْوَجْهِ ، وَبَقَاءِ اَلْعِزِّ ، وَصَوْنِ اَلْعِرْضِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اِصْلَاحُكَ
 مَا فِي يَدِكَ اَسَامُ مِنْ طَلَبِكَ مَا فِي اَيْدِي النَّاسِ

قِيلَ لِاَفْلَاطُونُ : لِمَ تَذْخِرُ الْمَالَ وَاَنْتَ شَيْخٌ . فَقَالَ : لِأَنْ
 يَمُوتَ الْاِنْسَانُ وَيُخْلَفَ مَالًا لِمَدْوَمٍ خَيْرٌ مِنْ اَنْ يَحْتَاجَ اِلَى
 اَصْدِقَائِهِ فِي حَيَاتِهِ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : لِمَ حَفِظْتَ اَلْفَلَاسِفَةَ مَا فِي
 اَيْدِيهِمْ . فَقَالَ : لِئَلَّا يُقِيمُوا اَنْفُسَهُمُ الْمَتَامَ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّونَهُ .
 فَهَذَا عَلِمُوا اَنْ لَا اِتِّكَالَ عَلَى مَا فِي اَيْدِي النَّاسِ

وَقِيلَ لِابْنِ زَيْيَادٍ : لِمَ تُحِبُّ الدَّرَاهِمَ وَهِيَ تُذْنِبُكَ مِنَ
 اَلذَّنْبِ . فَقَالَ : هِيَ وَاِنْ اَذْنَبَتْ مِنْهَا فَقَدْ اَغْنَتْ عَنِّي

وَأَتَى قَوْمُ قَيْسَ بْنِ عُبَادَةَ يَسْأَلُونَهُ حِمَالَةً ^(١) فَصَادَفُوهُ فِي حَانِطٍ لَهُ يُتَبَّعُ مَا يَسْفُطُ مِنَ الْأَنْمَارِ فَعَزَلَ جِدَّهُ وَرَدَّيَهُ . فَصَامُوا حَتَّى فَرَغَ ، فَكَلِمُوهُ فِي ذَلِكَ فَبَذَلَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : صَنِيعُكَ هَذَا مُنَافٍ ^(٢) لِتَرْقِيحٍ ^(٣) عَيْشِكَ . فَقَالَ : يَا رَأَيْتُمْ مِنْ فِعْلِي أَمْكَنَنِي أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتَكُمْ

وَلِمَ حِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْأِمْسَاكِ فِي الْمَطَاءِ فَقَالَ : إِنَّا لَا نُعْطِي تَبَذِيرًا وَلَا تُمْسِكَ تَقْتِيرًا ، وَإِنَّمَا نَحْنُ خَزَائِنُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَأَمْنَاوُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَإِذَا شَاءَ أَعْطَيْنَا وَإِذَا كَرِهَ أَمْنَيْنَا . وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصْدُقُ وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ مَا جَبَهْنَا ^(٤) قَائِلًا وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا

الفصل العاشر

في النهي عن السؤال

قَالَ شَرِيحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلرِّقِّ ^(٥) ، فَإِنْ قَضَاهَا الْمَسْئُولُ مِنْهُ اسْتَعْبَدَهُ بِهَا ، وَإِنْ رَدَّهُ عَنْهَا رَجَعَ كِلَاهُمَا ذَلِيلًا ، هَذَا بِذَلِّ الْبُخْلِ وَذَلِكَ بِذَلِّ الرَّدِّ

(١) الحالة الكمالة والدية والفرامة يحماها قوم عن قوم (٢) مبان ومخالف

(٣) رقيق المال أو العيش أصله وقام عليه . والعيش ما يعاش به (٤) جبهه

ضرب جبهته أو رده عن حاجته (٥) من رق العبد إذا صار رقيقاً

وَكَانَ لُثْمَانُ يَقُولُ لَوْلَدِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّا كَ وَالسُّوَالُ ، فَإِنَّهُ
يُذْهِبُ مَاءَ الْحَيَاءِ مِنَ الْوَجْهِ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا اسْتِخْطَافُ النَّاسِ بِكَ
وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحِبَّهُ ^(١) فَيَحْتَضِبَ
بِهَا عَلَى ظَهْرِهِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَيَسْأَلُهُ ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَحْتِجْ إِلَى مَنْ شِئْتَ
تَكُنْ أَسِيرَهُ . وَاسْتَنْفِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ . وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ
شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ . وَقَالَ بَنُ عَبَّاسٍ : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ
اللَّهِ إِذَا سَأَلَهُ . وَأَبْعَدُ مَا يَكُونُ مِنَ الْخَلْقِ إِذَا سَأَلَهُمْ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْتَرِ :

أَعَاذِلَ لَيْسَ الْبُخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْفَقْرَ شَرَّ سَبِيلٍ
لَمُوتِ الْفَقْرِ خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لَأَفْتَى وَلِلْبُخْلِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ بَخِيلٍ
لَعَمْرِكَ مَا شَيْءٌ لَوْجَهَكَ قِيَمَةٌ فَلَا تَلْقَ إِنْسَانًا بِوَجْهِ ذَلِيلٍ
وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : أَفْضَلُ مِنَ السُّوَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ
قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا السَّقَمُ الَّذِي لَا يَبْرَأُ مِنْهُ ، وَالْجُرْحُ الَّذِي
لَا يَنْدَمِلُ . قَالَ : حَاجَةُ الْكَرِيمِ إِلَى الْإِلَهِ .

الفصل الحادي عشر

في الحسد

قَالَ أَكْثَرُ بَنِي صَيْفِيٍّ : مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ يَمْضِرُهُ نَفْسِهِ .
 وَقَالَ آخَرُ : مِنْ صَنَعَ الْهَمَّةَ الْحَسَدُ لِلصَّدِيقِ عَلَى النِّعْمَةِ .
 وَقَالَ الْبَاجِظُ : مَنْ أَدْلَلَ أَنْ تَحْطَ عَنْ الْحَاسِدِ نِصْفَ
 عِقَابِهِ ، لِأَنَّ أَلَمَ جِسْمِهِ قَدْ كَفَاكَ مَوْتَهُ شَطْرَ غِيْظِكَ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : لَا يَفْقِدُ الْحَسَدُ إِلَّا مَنْ فَقَدَ الْخَيْرَ
 أَجْمَعَ . فَمَنْبَعُ الْحَسَدِ مَقَرُّ النِّعْمَةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :
 وَحِذَا كُلِّ فَضِيلَةٍ حُسَادُهَا

وَقَالَ أَبُو حَسَنٍ التُّهَامِيُّ :

إِنِّي لَأَرْحَمُ حَاسِدِيَّ لِحَرِّ مَا ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنْ الْأَوْغَارِ (١)
 نَظَرُوا صَنِيعَ اللَّهِ فِي قَبُورِهِمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبِهِمْ فِي نَارٍ
 وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَا كَانَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَجَدَ
 لَهَا حَاسِدًا . فَلَوْ كَانَ الرَّجُلُ أَقْوَمَ مِنَ الْفِدْحِ (٢) مَا عَدِمَ غَايِرًا (٣)

(١) جمع وغربني الحسد والدائرة (٢) الفدح السهم قبل ان يراش وينصل

(٣) طاعنا وذاما

وَقَالَ أَحَدُ الْمُقَلَّاءِ : جُودُ الرَّجُلِ يُحِبُّهُ إِلَى أَعْدَائِهِ . وَبُخْلُهُ
يُبْغِضُهُ إِلَى أَوْلِيَّائِهِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ النَّاسَ فِي فَضْلِهِ
وَقَالَ أَحَدُ الْمُفْضَلَاءِ : الْمَرْغُوفُ خِصَالُ ثَلَاثٍ : تَعْجِيْلُهُ
وَتَسْوِيقُهُ وَتَسْتِيرُهُ . فَمَنْ أَخْلَى بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَقَدْ بَخَسَ الْمَرْغُوفَ
حَقَّهُ وَسَقَطَ عَنْهُ الشُّكْرُ

وَقَالَ آخَرُ : أَحْيِ مَرْغُوفَكَ بِإِمَاتَةِ ذِكْرِهِ وَعِظْمَةِ بِالتَّصْنِيعِ
لَهُ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ الْبَطِيَّةِ جَهْدُ الْمَقِلِّ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكْ ذَانْدِي فَأَنْتَ إِذَا وَالْمُقْتِرُونَ سَوَاءُ
عَلَى أَنْ فِي الْأَمْوَالِ يَوْمًا تَبَاعَةٌ (١) عَلَى أَهْلِهَا وَالْمُقْتِرُونَ بَرَاءُ
وَكُتِبَ كِسْرَى إِلَى هِرْمِزَ : اسْتَغْلِلْ كَثِيرَ مَا تُعْطِي ، وَاسْتَكَثِرْ
قَلِيلَ مَا تَأْخُذُ . فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ الْكَرِيمِ (٢) فِي مَا يُعْطِي ، وَقُرَّةَ
عَيْنِ الْأَلِيمِ فِي مَا يَأْخُذُ . وَلَا تَجْعَلِ السَّجِيحَ لَكَ مُبِينًا ، وَلَا
الْكَذَّابَ أَدِيًّا . فَإِنَّهُ لَا إِعَانَةَ مَعَ شَحٍّ ، وَلَا أَمَانَةَ مَعَ كَذِبٍ .
رَقَالَ عَلِيٌّ . لَا تَسْتَحْيِرْ مِنْ عَطَاءِ الْفَاحِشِ . فَالْجَرِمَانِ أَقْلُ مِنْهُ
رَقَالَ أَحَدُ أَهْلِ جَوَادٍ : خَرُّ النَّوَالِ مَا وَصَلَ قَبْلَ السُّوَالِ
وَقَالَ الْإِسْلَامِيُّ : مَنْ لَمْ يَبْصُرْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ فَصْنُ

(١) إمامة الدنيا يدور الجوراء من الشر عقيب ناله (٢) أي حرم

وَتَبَّكَ عَنْ رَدِّهِ . وَقِيلَ : مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا لَكَ لَا يَسَعُ
 النَّاسَ كُلَّهُمْ ، فَتَوَخَّ بِهَ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَيْكَ ، وَأَنْ كَرَّامَتِكَ لَا تَسَعُ
 الْمُفْلِينَ ، فَأَخْصَصْ بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَنْ تَمَسَّهُ الْحَاجَةُ
 إِلَيْكَ . وَالْإِعْطَاءُ بَعْدَ الْمَنَعِ أَجْمَلُ مِنَ الْمَنَعِ بَعْدَ الْإِنْعَامِ .
 وَقَالَ الْحَجَّاجُ : لَا يَمْلِكُ أَحَدُكُمْ الْمَعْرُوفَ فَإِنْ صَاحِبَهُ يُعَوِّضُ
 خَيْرًا مِنْهُ إِمَّا شُكْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا تَوَابًا فِي الْآخِرَةِ
 وَقَالَ السَّيِّبِيُّ :

وَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي أَوْرَى وَجْهِ مُخْسِنٍ
 وَأَيِّنْ كَفِّ فِيهِمْ كَفٌّ مُنِمْ
 وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةٍ وَأَعْظَمَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ .
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَحَاكَ نَوْمٌ حِدَ صَرْتِ إِلَى الْفَنَنِ كُلُّ غِيٍّ فِي الْقَلْبِ جَلِيلُ
 وَلَيْسَ الَّذِي إِذَا دَوَّى نَفْسُ أَلَمَتْ عَشِيَّةً يَهْرِي أَوْ عَدَاةً يُبِيلُ

الفصل الثالث عشر

في شكر النعمة والمكافاة على المعروف

قال المغيرة بن شعبه: أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من
شكرك. فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت
وقالت الحكماء: من أنكر الضيعة استوجب القطيعة.
ومن من^(١) يعرفه سقط شكره. ومن أعجب بعمله
حبط^(٢) أجره

وقال الحسن: كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم
منها. فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها
وقيل: الشكر ثلاث منازل: ضمير القلب، ونشر اللسان،
ومكافاة اليد. كما قال الشاعر:

أفادتكم أنعماء ميني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
وقال آخر يشكر من وإلى إحسانه إليه:

كلما قلت أعتق الشكر ربي صيرتني لك المكارم عبدا
فأحي عمر الزمان حتى أودي شكر إحسانك الذي لا يودي

(١) من عليه عدل ما نمله من الصنائع مثل ان يقول اطيبتك رفعت لك

(٢) بطل

وَقَالَ آخِرُ :

أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا أَوْجُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأَسْرَها
فَلَا شُكْرَ نِكَ مَا حَيْتُ وَإِنْ أُمْتُ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظِي فِي قَبْرِهَا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : الشُّكْرُ أَفْضَلُ مِنَ النِّعَمِ لِأَنَّهُ يَبْقَى
وَالنِّعَمُ تَفْنَى . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَرْوُفًا
فَكَافِيُوهُ . فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَأَدْعُوا لَهُ
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ وَأَجَادَ :

سَأَشْكُرُ لَا أَنِّي أَجَازِيكَ مُنِمًا

بِشُكْرِي وَلَكِنْ كَيْ يَدُومَ لَكَ الشُّكْرُ
وَأَذْكُرُ أَيَّامًا لَدَيَّ أَصْطَنَّتْهَا

وَأَخِرُ مَا يَبْقَى عَلَى الشَّاكِرِ الذِّكْرُ
وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : إِذَا قَصُرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمُكَافَاةِ فَلْيَطْلُ
لِسَانَكَ بِالشُّكْرِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَمْسِكُوا الْمَرْوْفَ عَنِ ثَلَاثَةٍ : النَّعَمِ .
فَإِنَّهُ يَمْتَرِازُ الْأَرْضَ السَّيْخَةَ ^(١) . وَالْفَاحِشَ فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ الَّذِي
صَنَعَتْ إِلَيْهِ إِنَّمَا هَرَّ لِمَخَافَةِ فُحْشِهِ . وَالْأَلْحَقَ فَإِنَّهُ لَا يَنْزِفُ قَدْرَ
مَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ

(١) الأرض السبخة التي لم تحث ولم تسم

وُسَيْلَ بَعْضِ الْهَكَاهِ: مَا أَضْيَعُ الْأَشْيَاءَ . قَالَ: الْمَطَرُ الْجُودُ^(١)
 فِي أَرْضٍ سَبِيحَةٍ لَا يَجِفُّ ثَرَاها وَلَا يَبْتُتُ مَرْعَاهَا ، وَسِرَاجٌ يُوقَدُ
 فِي الشَّمْسِ ، وَصَنِيعَةٌ تُسَدَّى إِلَى مَنْ لَا يَشُدُّ

الفصل الرابع عشر

فِي السَّيِّئِ وَالْعَمَلِ وَعَوَاقِبِ الْقَرَاغِ

قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءَ : لَا تَمُضْ يَوْمَكَ فِي غَيْرِ مَنَفَعَةٍ ، وَلَا
 تُضِعْ مَالَكَ فِي غَيْرِ صَنِيعَةٍ . فَالْعَمْرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ يَنْفَدَ فِي غَيْرِ
 الْمَنَافِعِ ، وَالْمَالُ أَقْلُ مِنْ أَنْ يُصْرَنَ فِي غَيْرِ الصَّنَائِعِ ، وَالْعَاقِلُ
 أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُفْنِيَ أَيَّامَهُ فِي مَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ وَخَيْرُهُ ، وَيُنْفَقَ
 أَمْوَالُهُ فِي مَا لَا يَخْصُلُ لَهُ ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ

وَقَالَ بُرْذُجَمُّ^(٢) : إِنْ يَكُنِ الْعَمَلُ مَبْذُورًا^(٣) فَأَتَمَرَاغٌ مَفْسَدَةٌ

وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِفِ :

بَعُثْتُ بِالْهَيْلَةِ الْمَلْبَا فَلَمْ أَرَهَا نَالَ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّحْبِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُجَّاجِ : إِنْ أَلِهَ تَمَانِي جَلَّ طَلَبُ الرِّزْقِ مَقْصُورًا

عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِ . وَأَهْلُ التَّحْصِيلِ وَالنَّظَرِ يَطْلُبُونَهُ بِأَحْسَرِ وُجُوهِ
مِنَ التَّصَرُّفِ وَالتَّحَرُّزِ . وَأَهْلُ الْعَزْزِ وَالْكَسَلِ يَطْلُبُونَهُ بِأَقْبَحِ
وُجُوهِهِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْإِتْكَالِ وَالْخِلَابَةِ ^(١) وَالْإِحْتِيَالِ

وَقَالَ بَعْضُ أَلْبَنَاءِ : إِذَا عَمِلَ الْمَرْءُ وَلَمْ يُدْرِكْ حَاجَةً فَحَسْبُهُ
نَفْعًا أَنَّهُ يَسَامُ مِنْ عَوَاقِبِ التَّوَارِيهِ الَّتِي هِيَ أَسْوَأُ مِنْ مَنَابِتِ ^(٢)
الْخَبِيَةِ . وَقَالَ آخَرُ : الْعَمَلُ تُرْسٌ يَبْقَى سِهَامُ الْبَلَاءِ ، وَالْجِدُّ سَيْفٌ
يَقْطَعُ أَعْنَاقَ الشَّقَاءِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا

نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

دَرَبِي أَنْزَلَ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْبَلَى

فَصَبُّ الْعَلَى فِي الْأَصْعَبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ

تُرِيدِينَ إِذْرَاكَ أَلْمَاسِي رَخِيصَةً

وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

وَقَالَ آخَرُ :

إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِغْ تَعَبًا

أَوْ فَارِضَ بِالذَّلِّ وَاتَّخِذْ رَاحَةً أَلْبَدَنَ

الفصل الخامس عشر

في ذم العجز والتواني

قال بعض العلماء : التواني هو الكسل وتضييع الحزم^(١) ،
وعدم القيام على مصالح النفس ، وترك السبب^(٢) والاحتياط
والإحالة على القادير . وهذا من أقبح الأفعال
وقال الأحنف : إياك والكسل والضجر . فإنك إن كسلت
لم تؤد حقاً ، وإن ضجرت لم تصير على حق
وقال علي : لهب الشوق أخف مَحْمَلاً مِنْ مُقَاسَاةِ الْمَلَالَةِ
وَدَلَّ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ النَّجْوَرَ خَائِبٌ . وطويل الأمل
مغرور . زفايسد الرأي مُصَابٌ . وقال علي : مَنْ أَطَاعَ النَّوَائِي
ضَيَعَ الْحَقُوقَ . وَمِنَ الْعَجْزِ طَالِبُ مَانَاتٍ بِمَا لَا يُمَكِّنُ اسْتِدْرَاكُهُ ،
وَتَرَكَ مَا أُمَكَّنَ بِمَا تُحْمَلُ مَرَاتِبُهُ

وقال الشاعر :

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ لَا تَتَّبِعْ بِهِ عَجْزَةً فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْزٍ يَسْعُدُورُ

(١) الحزم ضبط الاء والهاء (٢) السبب اذا طلب اسباب

وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَّلَاءِ : مَنْ دَامَ كَسَلُهُ خَابَ أَمَلُهُ . وَمِنْ التَّوْفِيقِ
بُغْضُ التَّوَانِي . وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : أَحَدَزْ مُجَالَسَةَ الْعَاجِزِ .
فَإِنَّ مَنْ سَكَنَ إِلَى عَاجِزٍ أَعْدَاهُ مِنْ عَجْزِهِ ، وَأَمَدَّهُ مِنْ جَزَعِهِ ،
وَعَوَّدَهُ قِلَّةَ الصَّبْرِ ، وَنَسَاهُ مَا فِي الْعَوَاقِبِ . وَلَيْسَ لِلْعَجْزِ ضِدٌّ
إِلَّا الْحَزَمُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَكُونَنَّ فِي الْأُمُورِ هَيُوبًا^(١) فَإِلَى خِيَبَةٍ يَصِيرُ الْمُهَيَّبُ
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ^٢ : الْعَاجِزُ هُوَ الْقَلِيلُ الْحِيلَةَ ، الْمُلَازِمُ لِلْأَمَانِي
الْمُسْتَحِيلَةَ . وَقِيلَ : مَنْ لَزِمَ الرُّقَادَ عَدِمَ الْمُرَادَ

وَقَالَ عَلِيٌّ^٣ : التَّوَانِي مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . وَيَا لَعَجْزٍ وَالْكَسَلِ
تَوَلَّدَتِ الْفَاقَةُ وَأَنْجَبَتِ الْهَلَكَةُ . وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ لَمْ يَجِدْ وَأَفْضَى
إِلَى الْفَسَادِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُهَلَّبٍ : مَا يَسْرُنِي أَنِّي كُنَيْتُ أَمْرَ
الدُّنْيَا كُلَّهُ لَيْلًا أَتَعَوَّدُ الضُّجْرَ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : مَا لَزِمَ أَحَدٌ الدَّعَاةَ^(٤) إِلَّا دَلٌّ . وَحُبُّ
الْهُوَيْنَا^(٥) يُكْسِبُ الدَّلَّ ، وَحُبُّ الْكِفَايَةِ مِفْتَاحُ الْعَجْزِ



(١) المهيب الذي يخاف الناس (٢) الراحة (٣) الرفق والسكينة

الفصل السادس عشر

في

إِنَّ الْحَيَاءَ فِي الْإِنْسَانِ قَدْ يَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : أَحَدُهَا حَيَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ بِإِسْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَالْكَفِّ عَنْ زَوَاجِرِهِ ^(١) . وَالثَّانِي حَيَاؤُهُ مِنَ النَّاسِ فَيَكُونُ بِدَفْعِ الْأَذَى وَتَرْكِ الْقَبِيحِ . وَالثَّالِثُ حَيَاؤُهُ مِنْ نَفْسِهِ فَيَكُونُ بِالنَّفْذِ وَصِيَانَةِ الْخَلَوَاتِ ^(٢) .

قَالَ عَمْرُو بْنُ بَخْرٍ الْجَاهِظُ : الْحَيَاءُ لِبَاسٌ سَابِغٌ وَحِجَابٌ وَاقٍ وَسِتْرٌ مِنَ الْعَيْبِ ، وَأَخُو الْعَقَافِ ، وَحَلِيفُ الدِّينِ ، وَرَقِيبُ الْبَصْمَةِ ، وَعَيْنُ كَالْتَّةِ تَذُودُ ^(٣) عَنْ إِيْتَانِ الْفَحْشَاءِ ، وَتَنْهِي عَنْ أَرْتِكَابِ الْأَرْجَاسِ ^(٤) ، وَسَبَبٌ إِلَى كُلِّ جَمِيلٍ

وَقَالَ أَحَدُ الْأَنْبَاءِ : لِيَكُنْ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِحْيَاؤِكَ مِنْ غَيْرِهَا . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمَلًا اسْتَحْيَى رَبَّهُ فِي الْمَلَانِيَةِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ

وَقَالَ كُتُبٌ : اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ فِي سَرَائِرِكُمْ كَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ النَّاسِ فِي غَلَائِكُمْ . رَفَعَهُ أَحَدُ الْمُتَلَاءِ : عَلَيْكَ يَا لِحَاءُ

(١) نواهيه وهي الأمور التي ينهي عنها (٢) الوحدات (٣) تدفع (٤) الما

وَأَلَّا نَفْعَ^(١) . فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْفَصَاحَةِ اجْتَنَبْتَ الْخُسَاسَةَ ،
وَأِنْ أَنْفَتَ مِنَ الْغَلْبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ أَحَدٌ فِي رُتْبَةٍ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ :
طَلَبُوا أَلَدَمَ فِي وُجُوهِ الصَّبِيَّانِ : فَإِنْ بَدَأَ فِي وُجُوهِهِمُ الْحَيَاءُ ،
وَلَا فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِمْ . وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : الْحَيَاءُ فِي الصَّبِيِّ
خَيْرٌ مِنَ الْخَوْفِ ، لِأَنَّ الْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْعَقْلِ وَالْخَوْفَ يَدُلُّ
عَلَى الْجُبْنِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْفَصَحَاءِ : سِمَةُ الْخَيْرِ الدُّعَةُ^(٢) وَالْحَيَاءُ ، وَسِمَةُ
الشَّرِّ الْإِتْحَةُ وَالْبَذَاءُ . وَكَفَى بِالْحَيَاءِ خَيْرًا أَنْ يَكُونَ عَلَى الْخَيْرِ
دَلِيلًا ، وَكَفَى بِالْإِتْحَةِ وَالْبَذَاءِ شَرًّا أَنْ يَكُونَا إِلَى الشَّرِّ سَبِيلًا
وَقَالَ سِوَارُ ابْنِ الْمَضَرِبِ :

وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَعْتُهَا جَعَلْتُهَا لِأَنِّي أَخْفَيْتُ عَنْوَانًا^(٣)
إِنِّي كَأَنِّي أَبَى مِنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَنَسَطُ الْعُتُومِ عُرْيَانًا

الْفَصْلُ السَّابِعُ عَشَرَ

فِي الْعِلْمِ

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : التَّشْمِي طَرَفٌ مِنَ الْعَجْزِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِهِ
لَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الظَّالِمِ إِلَّا سِتْرٌ رَقِيقٌ وَحِجَابٌ ضَعِيفٌ . وَلَآنُ
يُثْنَى عَلَيْكَ بِسَمَةِ الصَّدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُذَمَّ بِضَيْفِهِ

وَقَالَ بَنِي الْأُدْبَارِ : الشَّيْءُ تُوْغِرُ الصُّدُورَ وَتُكْسِبُ الْأَعْدَاءَ
وَتَدُلُّ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ لَمْ يُقَلِّ الْعَثْرَةَ (١)
سَلِبَ الْبُذْرَ . وَقَالَ قَبِيْبُ بْنُ شَبَّةَ : مَنْ سَمِعَ الْكَلِمَةَ يَكْرُهَا
فَسَكَتَ عَنْهَا أَنْفَطَعَ ضَرْهَا عَنْهُ

وَقَالَ الْمُؤَمِّلُ الْمُحَارِبِيُّ :

وَكَيْفَ مِنْ لَيْمٍ وَدَّ أَنْ يَكُونَ
وَلَا تَعْمَدَنَّ مِنْهُمْ أَلَيْمٌ تَكْرُمًا
أَضْرَأُ مِنْ شَرِّهِ حِينَ يَشْتُمُ
وَقَالَ أَبُو حَا

إِذَا أَنْتَ جَاذَرْتَ السَّيِّئَةَ كَمَا حَزَى

وَأَنْتَ مَبِيهٌ مِلْهُ عَرُ ذِي حِلْمٍ

وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ : الْقَوُّ يَفْسِدُ مِنَ اللَّيْمِ يَقْدِرُ مَا يُصْلِحُ
مِنَ الْكَرِيمِ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : مِنْ أَحْسَنِ الْمَكَارِمِ عَفْوُ
الْمُقْتَدِرِ . وَمِنْ أَمْثَالِ الرَّبِّ : أَحْلَمَ سَدُّ

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : وَجَدْتُ الْإِحْتِمَالَ أَنْفَعَ لِي مِنَ الرِّجَالِ .
وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : مَنْ غَابَتْهُ الْحِدَّةُ فَلَا تَنْتَرِ بِمَوَدَّتِهِ . وَقَالَ أَحَدُ
الْعَمَلَاءِ : أَحْتِمَالُ السَّفِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْخَلْقِ بِأَخْلَاقِهِ ، وَالْإِغْضَاءُ عَنْ
الْجَاهِلِ خَيْرٌ مِنْ مُشَاكَاتِهِ
وَقَالَ بَعْضُ السَّمَرَاءِ :

وَفِي أَحْلَمِ رَدْعٌ لِّلْسَفِيهِ عَنِ الْأَذَى

رَبِّي الْخُرْقُ إِعْرَاقٌ ^(١) فَلَا تَلُكْ أَخْرَقًا
وَقَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : أَحْسَنُ مَا يَكُونُ الصَّفْحُ عَمَّنْ عَظُمَ
جُرْمُهُ ^(٢) وَقُلْ شَفَعَاؤُهُ وَلَمْ يَجِدْ نَاصِرًا

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : إِيَّاكُمْ وَرَأْيَ الْأَوْعَادِ . أَلَا : وَمَا رَأْيُ
الْأَوْعَادِ . قَالَ : أَلَيْتَ يَدُونَ الصَّنْعَ وَالْعَفْوَ عَادًا
وَقَالَ سَالِمٌ الْبَشْكُرِيُّ :

إِذَا مَا غَفَرْتُ الذَّنْبَ يَزِمَا إِصْحَابِ فَلَسْتُ مُبْدِئًا مَا حَبِثَ لَهُ ذِكْرًا
لَسْتُ إِذَا مَا حَالَ ^(٣) عَنْ حِفْظِ وُدِّهِ وَعِنْدِي لَهُ سِرٌّ مُذِيحًا لَهُ سِرًّا

لحرق ضد الرنق واعراء التي اولعه به ووضعه عليه (٢) ذنبه (٣) تحول وانصرف

وَأَتَى الْهَادِي بِرَجُلٍ قَلَّ مَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ ، فَجَعَلَ يَقْرَعُهُ
وَيَتَوَعَّدُهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ إِقْرَارِي يُلْزِمُنِي ذَنْبًا لَمْ
أَفْعَلْهُ ، وَيُلْحِقُ بِي جُرْمًا لَمْ أَفْعَلْ عَلَيْهِ . وَإِنْكَارِي رَدٌّ عَلَيْكَ
وَمُعَارَضَةٌ لَكَ ، وَلِكِنِّي أَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتُ تَبْغِي بِالْعِقَابِ تَشْفِيًا فَلَا تَرْتَدِّنِي عِنْدَ التَّجَاوُزِ فِي الْأَجْرِ
فَقَالَ لَهُ : اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ مُتَتَذِرٍ بِحَقِّ أَوْ بَاطِلٍ ، مَا أَمْضَى
لِسَانَكَ وَأَثْبَتَ جَنَانَكَ . وَعَفَى عَنْهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ

وَكَانَ الْأَحْنَفُ ابْنُ قَيْسٍ مَشْهُورًا بَيْنَ النَّاسِ بِالْحِلْمِ وَبِذَلِكَ
سَادَ عَشِيرَتَهُ . فَقِيلَ لَهُ : مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ الْحِلْمَ . فَقَالَ : مِنْ قَيْسِ
ابْنِ عَاصِمٍ . كُنَّا نَخْتَلِفُ ^(١) إِلَيْهِ فِي الْحِلْمِ كَمَا يُخْتَلَفُ إِلَى الْفُقَهَاءِ
فِي الْفِقْهِ . وَلَقَدْ حَضَرْتُ عِنْدَهُ يَوْمًا وَقَدْ أَتَوْهُ بِأَخٍ لَهُ قَدْ قَتَلَ
ابْنَهُ فَجَاؤُوا بِهِ مَكْتُوفًا . فَقَالَ : ذَعَرْتُمْ ^(٢) أَخِي أَطْلِمُوهُ وَأَحْمِلُوا
إِلَى أُمِّ وَلَدِي دِيَّتَهُ ^(٣) فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ قَوْمِنَا . ثُمَّ أَسَأَ يَقُولُ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَصْغِيرًا وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْكِ وَلَمْ تُرْدِي
كِلَاهُمَا خَافَ مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

(١) تَرَدَّد (٢) خَوْفَم (٣) الدِّيةُ حَتَّى الْقَتِيلِ وَهُوَ مَالٌ يُعْطَى وَلِيِّ الْقَتِيلِ

أَفْضَلُ الثَّامِنِ عَشَرَ

فِي مَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَايِهَا

قَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : حُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمَوَدَّةَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمُبَاعَدَةَ ، وَالْإِنْسَاطُ ^(١) يُوجِبُ الْمَوَانَسَةَ ، وَالْإِنْقِبَاضُ ^(٢) يُوجِبُ الْوَحْشَةَ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : بِالتَّائِي تَسْهُلُ الْمَطْلَبُ ، وَيُحْسِنُ الْمَعَاشِرَةَ نَدُومُ الْمَحَبَّةِ ، وَيَخْفُضُ الْجَانِبِ ^(٣) تَأْسُ النَّفْسِ ، وَبِسَعَةِ خُلُقِ الْمَرْءِ يَطِيبُ عَيْشُهُ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : مَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ طَابَ فِرَاقُهُ ، وَمَنْ حَسُنَتْ خِصَالُهُ طَابَ وَصَالُهُ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ ضَاقَ خُلُقُهُ مَلَأَتْهُ أَهْلُهُ وَمِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ : مَنْ كَثُرَ هُمُهُ سَقَمَ بَدَنُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ . وَمَنْ لَاحَى ^(٤) الرِّجَالَ سَقَطَتْ مُرْوَتُهُ وَذَهَبَتْ كَرَامَتُهُ . وَأَفْضَلُ إِيْمَانٍ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : سَعَةُ الْأَخْلَاقِ تَفْتَحُ كُنُوزَ الْأَرْزَاقِ ،

(١) الادلال (٢) خلاف الانساط (٣) خنصر الجانب اللطف والتواضع

(٤) نازع وخاصم

وَتَكْثُرُ الْأَصْفِيَاءُ وَتُقَلِّلُ الْأَعْدَاءَ ، وَتُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ ، وَتُبْسِلُ
أَسْنَى الرِّغَائِبِ وَأَعَزَّ الْمَطَالِبِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءَ : مَنْ ضَاقَ صَدْرُهُ انْتَسَعَ لِسَانُهُ ، وَمَنْ
كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ^(١) ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءَ : مِنْ أَكْبَرِ الشُّوَابِ وَأَفْحَشِ الْمَغَائِبِ
أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ بِذِي أَلْسَانٍ شَرِّسٍ ^(٢) الطَّبَاعِ خَشِينِ الْجَانِبِ ^(٣)

سَيِّئِ الْأَدَابِ . تَأْخُذُهُ فَوْزَةُ الْغَضَبِ ^(٤) لِأَقَلِّ إِسَاءَةٍ ، وَتَبْدُرُ
مِنْهُ بَوَادِرُ ^(٥) الْحِدَّةِ لِأَذْنَى إِهَانَةٍ

وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءَ : دَمَاءَةُ الْأَخْلَاقِ تُخِيدُ مِنَ الصُّدُورِ
جَذْوَةً ^(٦) الْأَحْقَادِ ، وَتُرِيْلُ الْإِحْنَ ^(٧) وَالْحَزَازَاتِ ^(٨) . وَشَرَّاسَةُ

الطَّبَاعِ تُضَرِّمُ الْفِتْنَ وَتُوْقِدُ الشُّرُورَ ، وَتُورِثُ الْمَهَالِكَ وَتُعْقِبُ
النَّدَمَ ، وَتَقْفِدُ السَّكِينَةَ وَتُعْرِضُ لِلشُّخْرِيَّةِ ، وَتَحْطُ مِنْ مَقَامِ

الْأَدَبَاءِ وَتُلْجِمُهُمْ بِزَمْرَةِ السُّفَهَاءِ الْفَوَغَاءِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَوْ أَنِّي خَيْرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

(١) خطاه (٢) الثرس السبي الخلق الشديد الخلاف (٣) الحشن الجانب

الصعب الذي لا يطاق (٤) فورة الغضب حدثه (٥) بددت منه بوادى غضب والبوادر

جمع نادرة وهي ما يبدد من الحدة في الغضب (٦) حمرة (٧) الاحقاد (٨) الحزازات

من الحزارة وهي وجع في القاب من عيظ او اذى

الفصل التاسع عشر

في الدَّوَاةِ وَالْبَغْضَاءِ وَمُدْرَاةِ أَهْلِ الشَّرِّ

قَالَ عَلِيٌّ : عَدَاوَةُ الضُّفَاءِ لِلْأَقْوِيَاءِ ، وَالسُّفَهَاءِ لِلْحُكَمَاءِ ،
وَالْأَشْرَارِ لِلْأَخْيَارِ ، طَبِيعٌ لَا يُسْتَطَاعُ تَغْيِيرُهُ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَلْعَدُوُّ عَدُوَانٍ : عَدُوٌّ ظَلَمْتَهُ فَجَنِّتَ بِظُلْمِكَ
إِيَّاهُ عَدَاوَتَهُ . وَآخَرُ ظَلَمَكَ فَجَنَى بِظُلْمِهِ إِيَّاكَ عَدَاوَتَكَ . فَإِنْ
نَابَتْكَ نَائِبَةٌ تَضْطَرُّكَ إِلَى أَحَدِيهَا ، فَكُنْ بِمَنْ ظَلَمَكَ أَوْثَقَ مِنْكَ
بِمَنْ ظَلَمْتَهُ . وَقِيلَ : لَا سَبِيلَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ

وَقَالَ أَحَدُ الْعَمَلَاءِ : مِنْ الْغُزْمِ أَنْ لَا يَخْتَرِ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ
وَإِنْ كَانَ ذَلِيلًا ، وَلَا يَنْقُلَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا . فَكَمْ بُذِعُوا
سَهْدَ فَيْلًا وَمَنْعَ الرَّقَادِ مَلِكًا جَلِيلًا

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَحْفَرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخَاصَمَةٍ إِنَّ الدُّبَابَةَ أَذَمَّتْ مُقَلَّةَ الْأَسَدِ
وَقَالَ حَكِيمٌ : كُونُوا مِنَ الرَّجُلِ الدَّغِلِ ^(١) أَخَوْفَ مِنَ
الْكَاشِحِ ^(٢) الْمَلِينِ . فَإِنَّ مُدْرَاةَ أَهْلِ الْعِلَالِ الظَّاهِرَةِ أَهْوَنُ

(١) الدغل الذي يخفي العداوة (٢) الكاشح الذي يتباعد عنك ويوليكَ كشمه

مِنْ مُدَاوَاةٍ مَا خَفِيَ وَبَطَنَ
 وَقَالَ أَحَدُ الْقُلَاءِ : لَا تَسْتَصْرِ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ ،
 لِأَنَّكَ إِنْ ظَهَرْتَ بِهِ لَمْ تُحَدِّثْ وَإِنْ ظَفِرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرْ ، وَالضَّعِيفُ
 الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ
 الْمُتَعَتِّرِ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

دَعِ كُلَّ مَا يَدْعُو إِلَى فِتْنَةٍ وَسَلِّمْ النَّاسَ تَعِشْ سَالِمًا
 وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : لَا تُعَادِيَنَّ أَحَدًا فَإِنَّكَ لَا تَخْلُو مِنْ
 عِدَاوَةِ جَاهِلٍ أَوْ عَاقِلٍ ، فَالْحَذَرُ مِنْ حِكْمَةِ الْعَاقِلِ وَجَهْلِ الْجَاهِلِ
 وَقَالَ آخَرُ : شَرُّ النَّاسِ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ
 وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : إِذَا أَحْدَثَ لَكَ الْعَدُوُّ صَدَاقَةً لِعِلَّةِ
 أَنْجَاتِكَ ، فَمَعَ ذَهَابِ الْعِلَّةِ رُجُوعُ الْعِدَاوَةِ ، كَأَلَاءِ تُسَخِّنُهُ
 فَإِذَا أَمْسَكَتَ عَنْهُ عَادَ إِلَى أَصْلِهِ بَارِدًا
 وَقَالَ دُرَيْدُ :

وَلَا تَنْخِضِ الضَّعِيفَةُ حَيْثُ كَانَتْ وَلَا النَّظْرُ الْمَرِيضُ مِنَ الصَّحِيحِ



الفصل المشرون

في المودة والأخوة

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : الْمَوَدَّةُ وَالْأُخُوَّةُ سَبَبُ التَّأَلُّفِ ،
وَالتَّأَلُّفُ سَبَبُ الْقُوَّةِ ، وَالْقُوَّةُ حِصْنٌ مَنِيعٌ وَرُكْنٌ شَدِيدٌ .
وَبِهَا يَنْتَعِ الضَّيْمُ ، وَتُنَالُ الرِّغَابُ ، وَتَنْجَحُ الْمَقَاصِدُ
وَقَالَ زِيَادٌ : خَيْرُ مَا أَكْتَسَبَ الْمَرْءُ الْإِخْوَانُ . فَإِنَّهُمْ مَعُونَةٌ
عَلَى حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَتَوَابِ الْحِدَاثِ ، وَعَوْنٌ فِي السَّرَاءِ
وَالضَّرَاءِ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَيْسَ عِنْدِي أَلَدٌ مِنْ صَدِيقٍ
أَطْرَحَ مَعَهُ مَوْثُونَةً أَلْتَحَظُّ (١) . وَقَالَ بْنُ الْمُقَفَّعِ : الْأَخُ نَسِيبُ
الْجِسْمِ وَالصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا بِإِخْوَانِهِ كَمَا تُقْبَضُ الْكَفُّ بِالْمِقْصَمِ (٢)
وَلَا خَيْرَ فِي الْكَفِّ مَقْطُوعَةً وَلَا خَيْرَ فِي السَّاعِدِ الْأَجْذَمِ (٣)
وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَى عَلِيٍّ :
عَلَيْكَ يَا إِخْوَانِ الصَّفَاءُ فَإِنَّهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَجَدَّتْهُمْ (٤) وَظُهُورُ

(١) التصون والاحتراز (٢) المصم موضع السوار من الساعد أو اليد

(٣) المقطوع اليد أو الذاهب الاتامل (٤) استجنت بهم

وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفُ خَلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرٌ
 وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَرَ فِي طَلَبِ
 الْإِخْوَانِ ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ
 وَقَالَ بْنُ عَائِشَةَ الْفَرَّاشِيُّ : مُجَالَسَةُ الْإِخْوَانِ مَسْلَاةٌ لِلْأَحْزَانِ
 وَقَالَ أَحَدُ الْفَصَحَاءِ : الصَّدِيقُ الْحَمِيمُ عُدَّةٌ فِي الْبَلَايَا ،
 وَغُدَّةٌ فِي الْمَحَنِّ ، وَبَلَسَمٌ فِي النَّوَابِ ، وَمَرَهْمٌ فِي
 الشَّدَائِدِ .

وَقَالَ آخَرُ : لَا تُسَاعُ^(١) مَرَادَةُ الْأَوْقَاتِ إِلَّا بِحَلَاوَةِ
 الْإِخْوَانِ الْثِقَاتِ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِرْفَةَ :

هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمِّي مِنَ الذَّنْبِ صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ
 نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جَسَمَيْنِ قُسِمَتْ فَجَسْمَانِنَا جِسْمَانٍ وَأَرْوَحُ وَاحِدٌ
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ : الْغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَيْبٌ
 وَقَالَ بْنُ الْمُعْتَرِّ : مَنْ اتَّخَذَ إِخْوَانًا كَانُوا لَهُ أَعْوَانًا

أَقْصَلُ الْحَادِي وَالْمَشْرُونِ

فِي اخْتِيَارِ الْأَصْدِقَاءِ وَمُصَاحَبَةِ إِخْوَانِ الصَّلَاحِ

أَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادَهُ قَالَ : يَا بَنِي عَاشِرُوا النَّاسَ
أَحْسَنَ عَشْرَةٍ يَحِثُّ إِنْ غَيْبْتُمْ حَضَرُوا إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ قُضِيتُمْ بَكَوْا
عَلَيْكُمْ . يَا بَنِي إِنْ أَلْقَوْبَ جُنُودَ مُجَنَّدَةٍ تَتَلَاخِظُ بِالْمُودَةِ وَتَتَنَاجَى^(١)
بِهَا وَكَذَلِكَ هِيَ فِي الْبُخْصِ . فَإِذَا أَحْبَبْتُمْ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرِهِ
سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَرْجُوهُ . وَإِذَا أَبْغَضْتُمْ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ سَبَقِ
مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَأَحْذَرُوهُ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ : أَخٌ يُغْلِصُ لَكَ وَدَّهُ ،
وَيَبْذُلُ لَكَ رِفْدَهُ^(٢) ، وَيَسْتَفْرِغُ فِي مُهِمَّتِكَ^(٣) جَهْدَهُ . وَأَخٌ يَقْتَصِرُ
بِكَ عَلَى حُسْنِ نِيَّتِهِ دُونَ رِفْدِهِ وَمَعُونَتِهِ . وَأَخٌ يُجَاوِلُكَ بِإِسَانِهِ
وَيَسْتَغْلِلُ عَنْكَ بِشَانِهِ وَيُوسِعُكَ مِنْ كَذِبِهِ وَأَيْمَانِهِ

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : وَلَا خَيْرَ فِي صَحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِنْ
الْحَقِّ مِثْلَ مَا تَرَى لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : شَرُّ الْإِخْوَانِ الْوَاصِلُ
فِي الرِّخَاءِ الْمَاجِرُ عِنْدَ الشَّدَةِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاةِ : إِحْذَرِ مِنَ الْكَرِيمِ إِذَا أَهْتَتْ ، وَاللَّئِيمِ

(١) تتحدث وتلتصق (٢) عطاءه (٣) المهم الامر الشديد

إِذَا أَكْرَمْتَهُ ، وَالْمَاقِلَ إِذَا أَحْرَجْتَهُ ، وَالْأَحْقَقَّ إِذَا مَا زَحَحْتَهُ ،
وَالْفَاجِرَ إِذَا عَاشَرْتَهُ . وَقَالَ آخَرُ : الصَّدِيقُ النَّصُوحُ مَنْ بَصْرَكَ
مَوَاضِعَ رُشْدِكَ وَعَوَاقِبَ غَيْكِ

وَقَالَ الْجَاحِظُ : لَا تُجَالِسِ الْحَقْمَى فَإِنَّهُ يَعلقُ بِكَ مِنْ
مُجَالَسَتِهِمْ يَوْمًا مِنَ الْفَسَادِ مَا لَا يَعلقُ بِكَ مِنْ مُجَالَسَةِ الْمُقْلَاءِ
دَهْرًا مِنَ الصَّلَاحِ . فَإِنَّ الْفَسَادَ أَشَدُّ النِّجَامَا بِالطَّبَائِعِ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ وَجَهِتُ كَانَ الْإِلْهُمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وَإِذَا صَبَوْتُ^(١) إِلَى الدَّمَامِ شَرِبْتُ مِنْ

أَخْلَاقِهِ وَسَكِرْتُ مِنْ آدَابِهِ
وَرَأَاهُ يُصْنِي لِلْحَدِيثِ بِطَرَفِهِ وَيَقْلِيهِ وَلَمَلُهُ أَدْرَى بِهِ
وَأَنْشَدَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ :

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ لِمِلَّةٍ
يُجْبِكَ وَإِنْ تَنْصَبَ إِلَى السَّيْفِ يَنْصَبِ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ : أَصْطَفِ مِنَ الْإِخْوَانِ ذَا الدِّينِ وَالْحَسَبِ
وَالرَّأْيِ وَالْأَدَبِ . فَإِنَّهُ رَدَّهُ^(٢) لَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ ، وَرَكْنُ عِنْدَ
نَائِبَتِكَ ، وَأَنْسُ عِنْدَ وَحْشَتِكَ

الفصل الثاني والعشرون

في مِثَابَةِ الصِّدِّيقِ وَأَسْتِيقَاءِ مَوَدَّتِهِ

قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةٌ مَا انْقَطَعَتْ .
لَأَنَّهُمْ إِذَا جَذَبُوهَا أَرْسَلُوهَا وَإِذَا أَرْسَلُوهَا جَذَبْتُهَا . وَقَالَ عَلِيٌّ : لَا
تَقْطَعُ أَخَاكَ عَلَى أَرْيَابٍ وَلَا تَهْجُرُهُ دُونَ اسْتِيتَابٍ .
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ أَمْرًا تَكْرَهُهُ أَوْ
خَلَّةً لَا تُحِبُّهَا فَلَا تَقْطَعْ حَبْلَهُ وَلَا تَصْرُمْ ^(١) وَدَّهِ . وَلَكِنْ دَاوِ
كَلِمَةً ^(٢) وَأَسْتُرْ عَوْرَتَهُ وَأَنْبِئِهِ وَأَبْرَأْ مِنْ عَمَلِهِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدٌّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَنُ عَبَّاسٍ :

يَا صَدِيقِي الَّذِي بَدَّلْتُ لَهُ الْوُدَّ وَأَنْزَلْتُهُ عَلَى أَحْسَانِي
إِنَّ عَيْنًا قَذَبْتُهَا ^(٣) لَتُرَاعِيكَ عَلَى مَا يَبْهًا مِنَ الْأَقْدَاءِ ^(٤)
مَا لَهَا حَاجَةٌ إِلَيْكَ وَلَكِنْ هِيَ مَمْنُونَةٌ بِحَبْلِ الْوَفَاءِ

(١) تقطع (٢) جرحه (٣) يقال قذى عنه إذا التى فيها القذى (٤) جمع

القذى وهي التراب المدقق

وَقَالَ الْأَخْفَفُ : مِنْ حَقِّ الصَّدِيقِ أَنْ يَتَحَمَّلَ مِنْ صَدِيقِهِ
ثَلَاثًا : ظَلَمَ الْغَضَبِ ، وَظَلَمَ الدَّالَّةِ ، وَظَلَمَ الْهَفْوَةِ
وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : يَمَّا يَجِبُ عَلَى الصَّدِيقِ لِصَدِيقِهِ الْأَغْصَاهُ
عَنْ زَلَّاتِهِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ . فَإِنْ رَجَعَ وَأَعْتَبَ ^(١) . وَإِلَّا عَاتَبَهُ
بِلَا إِكْتَارٍ . فَإِنْ كَثُرَ الْعِتَابُ مَدْرَجَةٌ ^(٢) لِلْقَطِيعَةِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَعَيْنُ الْبُغْضِ تُبْرِزُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ الْحُبِّ لَا تَجِدُ الْعُيُوبَا
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا رَأَيْتُ أَنْحِرَافًا مِنْ أَخِي ثِقَّةً
صَاقَتْ عَلَيَّ بِرَحْبٍ ^(٣) الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدَدْتُ بِوَجْهِ كَيْ أَكْفَيْهِ
فَالْعَيْنُ غَضْبَى وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

دَارِ الصَّدِيقَ إِذَا أَسْتَمَاطَ تَغِيظًا فَالْقَيْظُ يُخْرِجُ كَامِنَ الْأَحْقَادِ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ

قَالَ بَعْضُ الْفَضَلَاءِ : يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ
الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيِّبِي بِأَظْلَمِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّغَاءِ : فِي مُعَاقِبَةِ الظَّالِمِ أَعْظَمُ تَمْزِيَةٍ لِلْمَظْلُومِ .
وَأَبْلَغُ تَحْذِيرٍ لِلظَّالِمِ مِنْ إِثْرَالِ الْعُتُوبَةِ وَإِنْ تَنَفَّسَتْ ^(١) مُدَّتُهُ
وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ : إِذَا ظَلَمْتَ مَنْ دُونَكَ عَاقَبَكَ مَنْ
فَوْقَكَ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ كَثُرَ ظُلْمُهُ وَاعْتَدَاؤُهُ قَرُبَ هَلَاكُهُ
وَفَنَائُهُ ، وَمَنْ طَالَ تَعَدِّيهِ كَثُرَتْ أَعَادِيهِ

وَجَاءَ فِي الْأَمْثَالِ : مَنْ حَفَرَ حَفِيرًا لِأَخِيهِ كَانَ حَقُّهُ فِيهِ .
وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْمُدَوَّانِ أَعْبَدَ فِي رَأْسِهِ . وَقِيلَ : الظُّلْمُ مَرَّتُهُ
وَحَيْمٌ . وَشُرُّ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ ظُلْمُ الْعِبَادِ
وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ إِلَى عَامِلٍ لَهُ : إِذَا دَعَنَكَ قُدْرَتُكَ
إِلَى ظُلْمِ النَّاسِ فَأَذْكُرْ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

نَامَتْ عُيُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَفَاضِلِ : دَعْوَتَانِ أَرْجُو إِحْدَاهُمَا وَأَخَافُ
الْأُخْرَى : دَعْوَةُ مَظْلُومٍ أَعْنَتْهُ ، وَضَعِيفٍ ظَلَمَتْهُ

وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ : لَا يَتَّبِعِي الْإِمَامَ أَنْ يَكُونَ جَارِئاً وَمَنْ
عِنْدِهِ يُلْتَمَسُ الْعَدْلُ ، وَلَا لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ سَفِيهًا وَمَنْ عِنْدِهِ
يُلْتَمَسُ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ

وَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ : الْمَلِكُ إِذَا كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعْيَتِهِ
كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتَلِعُهُ مِنْ قَوَاعِدِ بُيَاتِهِ
وَقَالَ غَيْرُهُ : الْمَلِكَةُ تَخْصِبُ بِالسَّخَاءِ ، وَتَعْمُرُ بِالْعَدْلِ ،
وَتَثْبُتُ بِالْعَقْلِ ، وَتُحْرَسُ بِالشَّجَاعَةِ ، وَتُسَاسُ بِالرِّئَاسَةِ

وَقَالَ بْنُ الرُّومِيِّ :

وَإِنَّ الظَّالِمَ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّبِيهِ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ :

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجِدْ

دَا عِمَهُ قَلِيلَةٌ لَا يَظْلِمُ

الفصل الرابع والعشرون

في الاعتدال

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ لِلْإِسْكَندَرِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ عَلَيْكَ بِالْإِعْتِدَالِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ غَيْبٌ وَالنَّقْصَانُ عَجْزٌ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ الْعَدْلَ مَاخُوذٌ مِنَ الْإِعْتِدَالِ . فَمَا جَاوَزَ الْإِعْتِدَالَ فَهُوَ خُرُوجٌ عَنِ الْعَدْلِ . وَلَسْتَ تَجِدُ فَسَادًا إِلَّا وَسْبَهُ الْخُرُوجُ فِيهِ مِنْ حَالِ الْعَدْلِ إِلَى مَا لَيْسَ بِعَدْلٍ مِنْ حَالَتِهِ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَانِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : خَيْرُ الْأُمُورِ التَّمْطُّ الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْعَالِي وَبِهِ يَلْحَقُ النَّالِي . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَحْسَنُ الْأَحْوَالِ حَالُ يُغْنِيكَ بِهَا مِنْ دُونِكَ وَلَا يُجْعِرُكَ مَعَهَا مِنْ فَوْقَكَ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاةِ : مَا جَاوَزَ الْحَدَّ لَا يُسَمَّى فَضِيلَةً . كَالشُّجَاعِ إِذَا زَادَ عَلَى حَدِّ الشُّجَاعَةِ نُسِبَ إِلَى التَّهَوُّرِ ^(١) . وَالسَّخِيخِ إِذَا زَادَ عَلَى حَدِّ السَّخَاءِ نُسِبَ إِلَى التَّبَذِيرِ

(١) التهور الوقوع في الامر بقلة مبالاة والوقوع في هلكة

وَقَالَ حَكِيمٌ : إِيَّاكَ وَمُقَارَقَةَ الْإِعْتِدَالِ . فَإِنَّ الْمُسْرِفَ مِثْلُ
الْمُقَصِّرِ فِي الْخُرُوجِ عَنْ الْحَدِّ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَلَيْكَ يَا وَسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكِبْ ذُلُولًا^(١) وَلَا صَعْبًا
وَقَالَ الْجَرِييُّ :
وَخَيْرُ حَالٍ أَلْقَى فِي الْقَوْلِ أَقْصَدُهَا^(٢)

بَيْنَ السَّيْلَيْنِ لَا عِيَّ وَلَا هَذَرُ

الفصل الخامس والعشرون

في الثاني والجملة والرفق والغضب

قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : مَعَ الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ وَمَعَ التَّأَنِّي السَّلَامَةُ .
وَقَالَ آخَرُ : مَنْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْتَنِعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ فَهُوَ
خَلِيقٌ أَنْ لَا يَنْزِلَ بِهِ مَكْرُوهٌ : اللَّجَاجُ^(٣) وَالْعَجَلَةُ وَالتَّوَانِي
وَالْعُجْبُ . فَثَمَرَةُ اللَّجَاجِ الْحَيْرَةُ . وَثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ . وَثَمَرَةُ
التَّوَانِي الذِّلَّةُ . وَثَمَرَةُ الْعُجْبِ الْبَغْضَةُ

(١) البعير الذلول ضد الصعب (٢) اعد لها والعدل التوسط (٣) التادي في

العناد الى الفعل المزجور عنه

وَقَالَ بَعْضُ الْمُعَلَّاءِ : إِذَا لَمْ يُدْرِكِ الظُّفْرُ بِالرِّفْقِ وَالثَّانِي
فِيهَا يُدْرِكُ

وَقَالَ أَفْلَاطُونُ الْحَكِيمُ : لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ وَاطْلُبْ
تَجْوِيدَهُ . فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمِّ قَرَعٍ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى
إِتْقَانِهِ وَجُودَتِهِ

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَطْلُبُ أَمْرًا بِالْعَلَاةِ ^(١) وَهُوَ يَقْدِرُ
عَلَيْهِ بِالْحُجَّةِ ، وَلِمَنْ يَطْلُبُهُ بِخُرْقٍ ^(٢) وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِرِفْقٍ :
وَقِيلَ : مَنْ أَسْرَعَ فِي الْجَوَابِ حَادَّ عَنِ الصَّوَابِ

وَقَالَ بَهْرَامُ جُورُ : يَتَّبِعُنِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يُضِيعَ الثَّبْتُ ^(٣) عِنْدَمَا
يَقُولُ وَيَفْعَلُ . فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَنِ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنَ الرُّجُوعِ عَنِ
الْكَلَامِ . وَالْعَطِيَّةُ بَعْدَ الْمَنَعِ خَيْرٌ مِنَ الْمَنَعِ بَعْدَ الْعَطِيَّةِ ، وَالْإِقْدَامُ
عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ الثَّانِي خَيْرٌ مِنَ الْأَمْسَاكِ عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُعَلَّاءِ : إِيَّاكَ وَالْحِجَلَةَ فَإِنَّهَا تُكْنَى أُمُّ النَّدَامَةِ .
لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ ، وَيُجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ ، وَيَعْزِمُ
قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ ، وَيَشْطَعُ قَبْلَ أَنْ يُتَدَبَّرَ ، وَيَخْذُلُ قَبْلَ أَنْ يُجَرَّبَ ،
وَيَذُمُّ قَبْلَ أَنْ يُخْبَرَ . وَلَنْ تَصْحَبَ هَذِهِ الصِّفَةُ أَحَدًا إِلَّا صَحِبَ
النَّدَامَةَ وَجَانَبَ السَّلَامَةَ

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : أَنَا^(١) فِي عَوَاقِبِهَا دَرَكٌ^(٢) خَيْرٌ مِنْ عَجَلَةٍ
فِي عَوَاقِبِهَا قَوْتُ^(٣) . وَقِيلَ : الرِّفْقُ مُفْتَاخُ الرِّزْقِ
وَكُتِبَ عَلَى سَيْفٍ : أَلْتَأْتِي فِي مَا لَا يُخَافُ فِيهِ الْقَوْتُ
أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ إِلَى إِدْرَاكِ الْأَمَلِ .

أَفْصَلُ السَّامِ وَالْمَشْرُونِ

فِي التَّنْزِيهِ عَنْ اسْتِجَاعِ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ بِهِ

قَالَ عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ : ثَرَّةٌ سَمِعَكَ عَنْ اسْتِجَاعِ الْخَنَى^(٤) كَمَا تَنَزَّرُ
لِسَانَكَ عَنْ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ السَّامِعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ رَجُلًا مُتَرَفِعًا عَنِ الْبَذَاءَةِ :
عَيْيُ عَنْ الْفَحْشَاءِ^(٥) أَمَّا لِسَانُهُ فَعَفٌ وَأَمَّا طَرْفُهُ فَكَلِيلٌ
وَقَالَ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ :

إِذَا أَلْعَدُّ عَصَانِي خَافَ حَدَّ يَدَيِ

وَعَرَضُهُ آمِنٌ مِنْ هَاجِرَاتِ^(٦) فِيمِي

جَعَلْتُ سَمْعِي عَلَى قَوْلِ الْخَنَى حَرَمًا فَأَيُّ فَاِحْشَةٍ تَدْنُو إِلَى حَرَمِي

(١) الأناة الرفق (٢) الدرك اللحاق والبلوغ والادراك (٣) النسوت ذهاب

الامر وعدم ادراكه وهو ضد البرك (٤) الخنى الفحش في الكلام (٥) القبح

والاعتداء في القول (٦) المهاجرات الفضائح وكلمات فيها فحش

وَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

أَحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَانَ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقَرَأَ^(١)
سَلِيمَ دَوَاعِي الصَّدْرِ^(٢) لَا بِاسْطَا أَدَى

وَلَا مَانِعًا خَيْرًا وَلَا قَانِلًا هُجْرًا^(٣)

إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُخْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرًا
وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :
وَكَلِمَةٍ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ^(٤) سَمِعْتُ قُلْتُ مُرِّي فَأَنْفُذْنِي^(٥)

وَعَابُوهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَعْنِنِي وَلَمْ يَغْرِقْ لَهَا يَوْمًا جَيْدِي
وَقِيلَ لِيُزْجُمْهَر : مَنْ أَعْقَلَ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ لَمْ يَجْعَلْ
سَمْعُهُ غَرَضًا لِسَمَاعِ الْفَحْشَاءِ وَكَانَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّنَافُلُ

الْفَصْلُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْكَلَامِ وَالصَّنْتِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْزَمِ الصَّنْتَ إِلَّا عَنْ حَقٍّ تَوْضِيحُهُ أَوْ بَاطِلِ
تَدْحِضُهُ^(٦) أَوْ حِكْمَةٍ تَنْشُرُهَا ، أَوْ نِعْمَةٍ تَذَكِّرُهَا
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّغَاءِ : أَحْسِنِ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ

(١) من وقرت أذنه إذا ثقلت أو ذهب سمعه كله (٢) دواعي الصدر همومه

(٣) المعبر التبيح من الكلام (٤) الجرم الذنب (٥) من نفذه إذا جاز عنه

(٦) تبطله

أَوْ يُتْلَفَ نَفْسَكَ . فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يَقْصُرُ
عَنِ الصَّوَابِ وَيُسْرِعُ إِلَى الْجَوَابِ
وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : السُّكُوتُ عَمَّا يَنْبَغِيكَ خَيْرٌ مِنْ
الْكَلَامِ فِي مَا يَضُرُّكَ ، وَالسُّكُوتُ عَمَّا لَا يَضُرُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ
فِي مَا لَا يَنْبَغِيكَ

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

تَكَلَّمَ وَسَدِدَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَادٌ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّيِّدِ سَدَادٌ
وَقَالَ بَطْلِيمُوسُ : أَفْرَحَ بِمَا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ مِنْ الْخَطَا أَكْثَرَ مِنْ
فَرَحِكَ بِمَا نَطَقْتَ بِهِ مِنَ الصَّوَابِ

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ
فَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامٍ مِنْهُمْ فَوْقَكَ فَيَسْتَفْلُوكَ ، وَلَا بِكَلَامٍ مِنْ
هُمْ دُونَكَ فَيَزِدُّوكَ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً وَأَكْثَرُهُمْ عَنَاءً مَنْ
لَهُ لِسَانٌ مُطْلَقٌ وَقَلْبٌ مُطْبَقٌ ^(١) . فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْكُتَ وَلَا
يُحْسِنَ أَنْ يَتَكَلَّمَ . وَعَنِ الْحَدِيثِ : أَنْتَ سَالِمٌ مَا سَكَتَ ، فَإِذَا
تَكَلَّمْتَ فَلَكَ أَوْ عَلَيْكَ

وَقَالَ آخَرُ: رَبُّ أَلَسِنَةٍ كَالسُّيُوفِ تَقْطَعُ أَعْنَاقَ أَصْحَابِهَا.
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ أَعْجَبَ بِقَوْلِهِ كَثُرَ زَلَلُهُ وَقَلَّ سَامِعُوهُ.
وَلَيْسَ لِكَثْرَةِ الْهَذَرِ نَفْعٌ يُوَازِي ^(١) ضَرَّهُ.

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ: لَأَنْ أَرَى لِعَقْلِ الرَّجُلِ فَضْلًا عَلَى لِسَانِهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى لِّلْسَانِهِ فَضْلًا عَلَى عَقْلِهِ
وَقَالَ آخَرُ: الْكَلَامُ فِي الْخَيْرِ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّنْتِ،
وَالصَّنْتُ فِي الشَّرِّ كُلِّهِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلَامِ.

وَأَجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ
وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا: يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ مَنَا بِكَلِمَةٍ تُدَوِّنُ
عَنْهُ عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ ^(٢). قَالَ مَلِكُ الصِّينِ: أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ
أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ. وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ
بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ ^(٣).
وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ: أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكْتَنِي، وَإِذَا لَمْ
أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكْتَهَا. وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ: مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ
بِهِ قَطُّ وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا.

(١) يتقابل (٢) أي على الباقي منه (٣) اهلكته

أَلْفَصْلُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

فِي كِتْمَانِ السِّرِّ

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْمَاصِ : الصَّدُورُ خَزَائِنُ الْأَسْرَارِ وَالشِّفَاهُ أَقْلَامُهَا وَالْأَلْسُنُ مِفَاتِيحُهَا . فَلْيَحْفَظْ كُلُّ أَمْرٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : مِنْ عَجَائِبِ الْأُمُورِ أَنَّ الْأَمْوَالَ كُلَّمَا كَثُرَتْ خَزَائِنُهَا كَانَ أَوْثَقَ لَهَا . وَأَمَّا الْأَسْرَادُ فَإِنَّهَا كُلَّمَا كَثُرَتْ خَزَائِنُهَا كَانَ أَضْيَعَ لَهَا

وَقَالَ أَنُوشِرَوَانُ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ :
الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ وَالسَّلَامَةُ مِنَ السُّطُوتِ . وَقِيلَ : أَضْعَفُ النَّاسِ مَنْ ضَعُفَ عَنْ كِتْمَانِ سِرِّهِ ، وَأَقْوَاهُمْ مَنْ قَوِيَ عَلَى غَضَبِهِ ، وَأَصْبَرُهُمْ مَنْ سَتَرَ فَاغْتَهُ ، وَأَغْنَاهُمْ مَنْ قَنَعَ بِمَا تَسَّرَ لَهُ
وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : الْحَازِمُ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ عَنْ صَدِيقِهِ عَاقِبَةٌ أَنْ تَتَقَلَّ صِدَاقَتُهُ فَيُذَيِّعَ سِرَّهُ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِأَبْنَيْهِ : يَا بُنَيَّ كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ ، ضَمِينًا بِالْأَسْرَارِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ . فَإِنَّ أَحَدَ جُودِ الْمَرْءِ الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ الْبَرِّ وَالْبُخْلُ بِمَكْتُومِ السِّرِّ

وَقَالَ عَلِيٌّ : سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ
 وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءَ : ثَلَاثَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْكُلُومِ : إِفْشَاءُ السِّرِّ
 وَغَيْبَةُ الْأَحْرَارِ ، وَإِسَاءَةُ الْأَجْوَارِ
 وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : مَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى أَحَدٍ
 قَطُّ فَأَفْشَاهُ فَلَمْ تُهْ إِيَّكَ إِذْ كَانَ صَدْرِي بِهِ أَضِيقَ
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثِي وَأَفْشَيْتُهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
 فَإِنْ عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الْكُلُومُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءَ : إِظْهَارُ الرَّجُلِ سِرِّ غَيْرِهِ أَقْحُ مِنْ
 إِظْهَارِ سِرِّ نَفْسِهِ . لِأَنَّهُ يَبُوءُ ^(١) بِأَحَدِي وَصَمْتِي ^(٢) : الْخِيَانَةُ إِنْ
 كَانَ مُوْتَمِئاً . وَالْثَمِيمَةُ إِنْ كَانَ مُسْتَوْدِعاً

الْفَصْلُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْمَشُورَةِ

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءَ : يَدْبِغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُضَيِّفَ إِلَى رَأْيِهِ رَأْيَ
 الْعُقَلَاءِ ، وَيَجْمَعُ إِلَى عَقْلِهِ عُقُولَ الْحُكَمَاءِ . فَإِنَّ الرِّأْيَ الْفَقْدَ رُبَّمَا زَلَّ ،
 وَإِنَّ الْعَقْلَ الْفَرْدَ رُبَّمَا ضَلَّ

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : لَأَنْ أَخْطِئُ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ أَحَبَّ
إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ فَقَدْ قَالَتْ
الْحُكَمَاءُ : الْخَطَأُ مَعَ الْإِسْتِشَارَةِ أَحَدٌ مِنَ الصَّوَابِ مَعَ الْإِسْتِبْدَادِ
وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بُزْدٍ : الْمَشَاوِرُ بَيْنَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا
صَوَابٍ فَيَقُوزُ بِشَرِّهِ أَوْ خَطَأٍ فَيُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ

وُسِّلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْعَقْلِ وَأَيُّهَا
أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ . فَقَالَ : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةٌ : مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ ،
وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ ، وَحُسْنُ التَّنَبُّثِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةٌ :
الْإِسْتِبْدَادُ ، وَالتَّهَوُّنُ ، وَالْعَجَلَةُ

أَوْصَى رَجُلٌ ابْنَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَدَارَ
بَيْنَهُمْ تَدْيِيرٌ فَلَا تُعْجَلْ بِالْجَوَابِ قَبْلَ أَنْ تُعْرِفَ مَا عِنْدَهُمْ وَلَا
تَتَكَبَّرَ عَنْ مُتَابَعَتِهِمْ إِذَا ظَهَرَ لَكَ الْحَقُّ . فَإِنَّ الْمَتَابَعَةَ عَلَى الصَّوَابِ
أَحْسَنُ مِنَ الْإِسْتِبْدَاءِ بِالْخَطَا . وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ إِصَابَتَكَ الرَّأْيِ
بَعْدَ خَطَا الْقَوْمِ أَحَدُ لَكَ مِنْ إِصَابَتِكَ قَبْلَ كَلَامِهِمْ . فَإِنَّهُ
لَا يُعْرِفُ فَضْلُ رَأْيِكَ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِمَا عِنْدَهُمْ . فَمِنْدَ
ذَلِكَ يَسْتَتِينُ الْقَوْلُ السَّيِّدُ مِنَ السَّفِيهِ ، وَالرَّأْيُ الرَّشِيدُ مِنَ
الْكَرِيِّهِ . وَمَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْأَرَآءِ عَلِمَ مَوَاضِعَ الْخَطَا

أَفْصَلُ الثَّلَاثُونَ

فِي الْإِنْتِصَاحِ وَالْإِتِّعَاطِ

قَالَتِ الْحُكَمَاةُ : النَّصِيحَةُ مُرَّةٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَوَّلُو الْعَزْمِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ : مَنْ أَوْجَرَكَ ^(١) الْمُرُّ لَتَبَرَأَ أَشْفَقُ عَلَيْكَ
مَنْ أَوْجَرَكَ الْحُلُو لَتَسْقَمَ
وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ : مَنْ لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَةً أَصْحَابِهِ عَادَ ضَرَرُهُ
عَلَيْهِ . كَأَلَمْ يَرْضَ الَّذِي يَتْرُكُ مَا يَصِفُ لَهُ الطَّيِّبُ وَيَعْمِدُ ^(٢) يَلَا
يَشْتَبِيهِ فِيهِكَ
وَلِلَّهِ دَرٌّ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْزِنَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
فَالدَّرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَقِي مَا حَاطَ قِيَمَتُهُ هَوَانُ النَّاقِصِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : مَنْ أَحَبَّكَ نَهَاكَ وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَغْرَاكَ
وَقَالَ لُثْمَانُ : الْمَوْعِظَةُ تَشْقَى عَلَى السَّيْفِ كَمَا يَشْقَى صُعُودُ
الْوَعْرِ ^(٣) عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ . وَقَالَ بَنُ شَبْرَمَةَ : إِذَا كَانَ الْبَدَنُ
سَقِيمًا لَمْ يَنْفَعَهُ الطَّعَامُ وَلَا الشَّرَابُ . وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مُغْرَمًا يَحِبُّ
الدُّنْيَا لَمْ تَنْجَعْ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ

(١) من أوجره الدواء إذا صبه في فمه (٢) يقصد (٣) الوعر ضد السهل

شَاوَرُ الْمُأْمُونِ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ فَكَانَ الرَّأْيُ مُخَالَفًا لِهُوَى
 الْمُأْمُونِ . فَقَالَ يَحْيَى : مَا أَحَدٌ بَالَعَ فِي نَصِيحَةِ الْمُلُوكِ إِلَّا
 اسْتَشْشَوْهُ . قَالَ : وَلَمْ يَأْ يَحْيَى . قَالَ : لَصَرْفُهُ لَهُمْ عَمَّا يُجِبُونَ إِلَى
 مَا لَعَلَّهُمْ يَكْرَهُونَ فِي الْوَقْتِ . وَالْهُوَى إِلَهٌ مَعْبُودٌ

أَفْصَلُ الْحَادِي وَالْثَلَاثُونَ

فِي الصَّبْرِ وَالتَّائِبِي فِي الشَّدَةِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : أَفْضَلُ الْعُدَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الشَّدَةِ .
 وَقَالَ بْنُ مُبَارَكٍ : الْمُصِيبَةُ وَاحِدَةٌ فَإِذَا جَزَعَ صَاحِبُهَا فَمَا أَثْنَانِ .
 لِأَنَّ إِحْدَاهُمَا الْمُصِيبَةُ بَيْنِيهَا ، وَالثَّانِيَّةَ ذَهَابُ أَجْرِهِ . وَهُوَ أَعْظَمُ
 مِنَ الْمُصِيبَةِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَلَيْكَ يَا صَبْرٍ فِي مَا قَدْ مُنِيتَ ^(١) بِهِ

فَالصَّبْرُ يُذْهِبُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حَرَجٍ ^(٢)

كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ لَيْلِي الدَّهْرِ مُظْلِمَةٌ

قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صُبْحٌ مِنَ الْقَرَجِ

وَأَنْشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَلَمَّا لَأَغْضِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى

وَأَلْبَسُ قُوتَ الصَّبْرِ أَيْضًا أَبْلَجًا ^(١)

وَلَمَّا لَأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيْقٌ

عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَنْفَرَجَا ^(٢)

وَكَمْ مِنْ فِتْيَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ

أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا أَلْفَتِي

ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْخُرْجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ ^(٣) حَلَقَاتُهَا ^(٤)

فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا نَالَكَ الدَّهْرُ بِالْحَادِيَاتِ فَكُنْ رَابِطَ الْجَاسِ صَغْبَ الشَّكِيمَةِ

وَلَا تُهِنِ النَّفْسَ عِنْدَ الْخُطُوبِ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ لِلنَّفْسِ قِيَمَةٌ

فَوَاللَّهِ مَا لَقِيَ الشَّامِتُونَ بِأَحْسَنَ مِنْ صَبْرِ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ

(١) مترقاً مضيقاً (٢) يتكشف (٣) تمكنت (٤) دوائرها

الباب الثالث

في الحكم والمواعظ والنصائح

قَالَ الرَّشِيدُ لِنَصُورِ بْنِ عَمَّارٍ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ هَلْ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ . قَالَ : لَا . قَالَ : إِنْ
 أَرَدْتَ إِلَّا نَبِيًّا ، إِلَى مَنْ تُحِبُّ فَأَفْعَلْ
 الْحِكْمَةُ صَالَةُ الْمُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا يَمْنٌ سَمِيمًا وَلَا يُبَالِي مِنْ أَيْ
 وَعَاءٍ خَرَجَتْ . . لَا يَطْلُبُ الرَّجُلُ حِكْمَةً إِلَّا بِحِكْمَةٍ عِنْدَهُ
 مَنْ بَلَغَ أَشَدَّهُ ^(١) لَاقَى مِنَ الْعَيْشِ أَشَدَّهُ
 خِيَارُ ^(٢) شُبَّانِكُمُ الْمُتَشَبِّهُونَ بِشُيُوخِكُمْ . وَشِرَارُ شُيُوخِكُمْ
 الْمُتَشَبِّهُونَ بِشُبَّانِكُمْ
 أَفْضَلُ الْبِرِّ الرَّحْمَةُ . وَرَأْسُ الْمَوْدَّةِ إِلَّا سِتْرُ سَالٍ ^(٣) . وَرَأْسُ
 الْعُفُوقِ مَكَاتِمَةُ الْأَذِينِ ^(٤) . وَرَأْسُ الْأَعْقَلِ إِلَّا صَابَةُ بِالظَّنِّ
 عَلَيْكُمْ بِثَلَاثٍ : جَالِسُوا الْكِبَرَاءَ ، وَخَالِطُوا الْحُكَمَاءَ ،
 وَسَائِلُوا الْعُلَمَاءَ . . . مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ

(١) يقال بلغ فلان أشده أي قوته وهو ما بين ثمانين عشرة إلى ثلاثين سنة

(٢) أفضل (٣) الانبساط والاستئناس (٤) الادنون اقرب العشرة نسبا

قِيلَ لِحَكِيمٍ : مَنْ أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا . قَالَ : مَنْ كَانَ سَفَرُهُ
فِي ابْتِنَاءِ الْأَخِ الصَّالِحِ .

لَيْسَ فِي الْخُطُوطِ تَقْدِيرُ لِحَقٍّ وَلَا تَمْيِيزُ لِمُسْتَحَقٍّ . وَإِنَّمَا
هِيَ كَالسَّحَابِ الَّذِي يُمْسِكُ عَنْ مَنَابِتِ الْأَشْجَارِ إِلَى مَنَابِضِ^(١)
الْحَارِ وَيَتْرُكُ حَيْثُ صَادَفَ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ . . . فَإِنْ صَادَفَ
أَرْضًا طَيِّبَةً نَفَعَ ، وَإِنْ صَادَفَ أَرْضًا خَيْثَةً ضَرَّ . وَكَذَلِكَ الْخَطُّ ،
إِنْ صَادَفَ نَفْسًا شَرِيفَةً نَفَعَ وَكَانَ نِعْمَةً عَامَّةً ، وَإِنْ صَادَفَ نَفْسًا
دَنِيئَةً ضَرَّ وَكَانَ نِقْمَةً طَائِمَةً^(٢)

لَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْوَفَاةُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَبْكُونَ
حَوْلَهُ . فَقَالَ : جَادَ عَلَيْكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ بِالْبُكَاءِ .
وَتَرَكَ لَكُمْ جَمِيعَ مَا جَمَعَ وَتَرَكَتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ
هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ

أَكْرَمُ الشَّيْءِ أَرْعَاهَا لِلذِّمَمِ .

إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ فِي الْقَلْبِ لَا يَنْطَلِقُ اللِّسَانُ بِمَا لَا يَغْنِيهِ
جُبِلَتْ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ
إِلَيْهَا . . . إِذَا رَزَلَ الْقَصَاةُ كَانَ الْعَطَبُ فِي الْحِيلَةِ

(١) المناياض جمع مغيض وهو من الماء مدخله في الارض ومجتمعه (٢) غامرة

كَانَ مُمَآوِيَّةٌ يَقُولُ: مَعْرُوفٌ زَمَانُنَا مُنْكَرٌ^(١) زَمَانٌ قَدْ مَضَى .
وَمُنْكَرُهُ مَعْرُوفٌ زَمَانٌ لَمْ يَأْتِ .

مَنْ تَصَوَّرَ عَقْبِي أَمَانِيهِ وَجَدَوِي^(٢) يَقْنِيهِ عِلْمٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ
أَرْبَحِ بَضَائِعِ جَاهِهِ وَأَقْوَى شَفَاءِ تَقْدِيمِهِ ، مَعَ مَا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ
مِنَ الْبُزْزِ وَيُقَابِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْظَامِ .
وَقَالَ بْنُ الْقُتَيْبَةِ: الْإِسْطِطَالَةُ^(٣) لِسَانُ الْجَهَالَةِ . وَكَفَّ
النَّفْسَ عَنْهَا يَمَا يَصُدُّهَا مِنَ الزَّوَاجِرِ^(٤) أَسْلَمَ . وَهُوَ بِذِي
الْمُرُوءَةِ أَجَلٌ

مَنْ أَشَرَّ نَفْسُهُ تَقَوَّى اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَائِرِهِ . وَاتَّقَاهُ فِي
زَوَاجِرِهِ ، وَأَلْزَمَهَا مَا أَلْزَمَ مِنْ طَاعَتِهِ . وَحَذَرَهَا مَا حَذَرَ مِنْ
مَنْصِيئَتِهِ ، وَأَعْلَمَهَا أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ضَمِيرٌ ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الْمُحْسِنَ
وَيُكَافِي الْمُسِيءَ ، أَنْقَادَتْ إِلَى الْكَفِّ عَنِ الْمَأْثِمِ وَالصَّدِّ
عَنِ الْمَحَارِمِ .

النَّاسُ لَا يُفْنِيهِمُ الْقَوْلُ دُونَ الْفِعْلِ . وَيَزَوِّنُهُ كَالصَّدَى إِذَا
رَدَّ صَوْتًا لَمْ يُجِدْ نَفْعًا

لِكُلِّ حِينٍ مِنْ أَيَّامِ الْعُمُرِ خُلُقٌ ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ
أَوْقَاتِ الدَّهْرِ عَمَلٌ . فَإِنْ تَخَلَّفْتَ فِي كِبْرِكَ بِإِخْلَاقِ الصِّغَرِ

(١) المنكر ضد المعروف (٢) نفع (٣) التطاول (٤) الروادع والموانع

وَتَمَاطَيْتَ أَفْعَالَ الْفَكَاهَةِ وَالْبَطَرِ اسْتَصْنَرَكَ مَنْ هُوَ أَصْنَرُ وَحَقَّرَكَ
مَنْ هُوَ أَحَقَرُ

كُنْ أَهْيَا الْمَاقِلُ مُقِيلًا^(١) عَلَى شَأْنِكَ ، رَاضِيًا عَنْ زَمَانِكَ ،
سَلَامًا لِأَهْلِ دَهْرِكَ ، جَارِيًا عَلَى عَادَةِ عَصْرِكَ ، مُنْقَادًا لِمَنْ قَدَّمَ
النَّاسُ عَلَيْكَ ، مُتَحَنِّنًا عَلَى مَنْ قَدَّمَكَ النَّاسُ عَلَيْهِ . وَلَا تُبَايِنْتَهُمْ
بِالْعُزْلَةِ عَنْهُمْ فَيَمُوتُوكَ ، وَلَا تُجَاهِرُهُمْ بِالْمُخَالَفَةِ لَهُمْ فَيَمَادُوكَ .
فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لِمُتَوَاتِرٍ ، وَلَا رَاحَةَ لِمُعَادَى

إِجْلٍ نَضَحَ نَفْسِكَ غَنِيمَةً عَقْلِكَ . وَلَا تُدَاهِنَهَا بِإِخْفَاءِ عَيْنِكَ
وِإِظْهَارِ عُذْرِكَ . فَإِنَّ ذَلِكَ يُغْرِيبُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى أَنْ تَرْكَبَ هَوَاهَا
وَتَتِمَادَى فِي غَمِّهَا حَتَّى تَتَوَرَّطَ وَتُوَقِعَكَ فِي شَرِّ الْمَهَالِكِ

أَصْلَحَ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ يَكُنْ النَّاسُ تَبَعًا لَكَ . فَقَدْ قِيلَ : مَنْ
أَصْلَحَ نَفْسَهُ أَرْغَمَ أَنْفَ أَعَادِيهِ . وَمَنْ أَعْمَلَ جِدَّهُ بَلَغَ كُنْهَ^(٢)
أَمَانِيهِ . . . مَنْ عَرَفَ مَعَابَهُ^(٣) فَلَا يَلُمُ مَنْ عَابَهُ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَصْرُوفَةُ عَيْنَاهُ عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِ
وَلَوْ بَانَ عَيْبٌ مِنْ أَخِيهِ لَا بَصَرًا

وَلَوْ كَانَ ذَا الْإِنْسَانُ يُنْصِفُ نَفْسَهُ

لَأَمْسَكَ عَنْ غَيْبِ الصَّادِقِ وَقَصَّرَ

لَا تُضَيِّعْ صِحَّةَ جَسَدِكَ وَفَرَاغَ وَقْتِكَ بِالتَّقْصِيرِ فِي طَاعَةِ
رَبِّكَ وَالْثِقَةِ بِسَائِلِ عَمَلِكَ

مَنْ كَانَ صَحِيحَ الرَّغْبَةِ فِي ثَوَابِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْرَّةٌ
إِلَّا فِي طَاعَتِهِ

إِنَّ الدُّنْيَا إِذَا وَصَلَتْ ^(١) قَتِمَاتٌ مُوَيْقَةٌ . وَإِذَا فَارَقَتْ
قَتِمَاتٌ مُخْرِقَةٌ . وَلَيْسَ لِرَوْضِهَا دَوَامٌ وَلَا مِنْ فِرَاقِهَا بُدٌّ ، فَرَضَ
نَفْسَكَ عَلَى قَطِيعَتِهَا لِتَسْلَمَ مِنْ تَبَاعُثِهَا ، وَعَلَى فِرَاقِهَا لِتَأْمَنَ فَجَاعَتِهَا
مَا أَكْثَرَ مَنْ يَرِفُ الْحَقَّ وَلَا يُطِيعُهُ

إِذْ ضَاءَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمُعْجَزِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ . . . إِنْ تَهَيَّأَ أَنْفَرَصَ
عِنْدَ امْتِكَانِهَا وَلَا تُحِيلْ نَفْسَكَ هَمَّ مَا لَمْ يَأْتِكَ
مَا نَقَصَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إِلَّا بِبَضْعَةٍ ^(٢) مِنْ نَفْسِكَ

فَرٍّ مِنَ الشَّرَفِ يَتَّبِعُكَ الشَّرَفُ . . لَا تَخْتَرْ لِلْمَنْصِبِ إِلَّا
زَاهِدًا فِيهِ غَيْرَ طَالِبٍ لَهُ

إِذَا قَعَلْتُمْ مَا أَيْرُتُمْ بِهِ لَا يَضُرُّكُمْ ضَلَالُ مَنْ ضَلَّ

قَالَ أَفَلَا تُطَوُّنُ : عُمُولُ النَّاسِ مُدَوَّنَةٌ فِي أَطْرَافِ أَقْلَابِهِمْ ،
 وَظَاهِرَةٌ فِي حُسْنِ اخْتِيَارِهِمْ
 الْعَاقِلُ يَحْشُوَنَةِ الْعَيْشِ مَعَ الْعَمَلَاءِ أَسْرُ مِنْهُ يَلِينُ الْعَيْشَ
 مَعَ السُّفَهَاءِ .. أَكْبَرُ الْأَدْوَاءِ لِلْبَدَنِ التَّلَهُّفُ عَلَى مَا لَا يُدْرِكُ
 مَا تَرَاخَمَتِ الطُّغُونُ عَلَى أَمْرِ إِلَّا كَشَفَتَهُ
 قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَسَأْتَ الظَّنَّ . قَالَ : إِنْ الدُّنْيَا لَمَّا اُئْتَلَّتْ
 مِنَ الْمَكَارِهِ وَجَبَ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَمْلَأَهَا مِنَ الْحَذَرِ
 أَلْهِيَّةَ خِيبةٍ وَالْفُرْصَةَ تَرُّرَ السَّحَابِ
 ثَلَاثَةٌ لَا يُصْلَحُ فَسَادُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْجَلِيلِ : الْعَدَاوَةُ بَيْنَ
 الْأَقَارِبِ ، وَتَحَاسُّدُ الْأَكْفَاءِ ، وَالرَّكَاكَةُ ^(١) فِي الْمُلُوكِ
 الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ وَالْعُمُولُ مَعَادِينُ . فَمَا فِي أَلْوَعَاءِ يَنْقَدُ إِذَا لَمْ
 يُبَدِّهِ الْمُعْدِنُ .. إِنْ اتَّقَاءَ الشَّرَّ مِنْ ضُرُوبِ الْخَيْرِ
 وَقَالَ الْحَسَنُ : مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ
 مَنْ عَمِلَ لَا خَيْرَ تَهْ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَخْلَصَ سِرِّيَّتَهُ
 أَخْلَصَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ
 أَدْوِيَةُ الدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ سُمُومِهَا وَنَسِيمِهَا لَا يَنْفِي بِسُمُومِهَا ^(٢)

(١) الركاكة الضعف في العقل والرأي والعمل (٢) السموم الريح الحارة

قَالَ أَكُتْمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ
هُوَ دُونَكَ

أَفْضَلُ مَا أَذْخَرْتَ النَّفْسَ ، وَأَجْمَلُ مَا لَيْسَتْ أَلْوَرَعُ ،
وَأَحْسَنُ مَا أَكَيْتَ الْحَسَنَاتُ
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَعِلَاجُ الْأَبْدَانِ أَيْسَرُ خَطْبًا حِينَ تَعْتَلُ مِنْ عِلَاجِ الْعُقُولِ
وَقَالَ آخَرُ :

لَيْسَ الشَّجَاعُ الَّذِي يَخِمِي فَرِيَسَتَهُ عِنْدَ الْقِتَالِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ
لَكِنَّ مَنْ كَفَّ طَرَفًا أَوْ ثَنَى قَدَمًا عَنِ الْحَرَامِ فَذَلِكَ الْفَارِسُ الْبَاطِلُ
وَقَالَ آخَرُ :

لَيْسَ الْبَلِيَّةُ فِي أَيَّامِنَا عَجَبًا بَلِ السَّلَامَةُ فِيهَا أَعْجَبُ الْعَجَبِ
مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ

وَقَالَ لُثْمَانُ : لَا تَمْتَطِ الْأَمَلَ وَالرَّجَاءَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَالٍ ،
فَإِنَّهُمَا يُسَوِّقَانِ الرَّجُلَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ إِلَى الْمَكْرُوهِ بِسُهُولَةٍ
رُبَّمَا كَانَ حَنْفُ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

لَمَّا حَضَرَتْ يُونَانَ الْوَفَاةُ أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ
وَأَفَيْتُ الْأَجَلَ وَقَرَّبْتُ مِنْ الْحَتَمِ ^(١) وَإِنِّي رَاحِلٌ عَنْكَ وَمُقَارِفُكَ

وَمُقَارِقُ أَهْلِ بَيْنِكَ وَإِخْوَتِكَ . وَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُكُمْ حَسَنَةً
النِّظَامِ . وَكَذَلِكَ لَكُمْ كَهْفًا فِي الشَّدَائِدِ وَعَوْنًا عَلَى الْيَحْنِ وَمَجْمَعًا^(١)
فِي الرِّزَايَا . فَعَلَيْكَ يَا لُجُودٍ فَإِنَّهُ قُطْبُ^(٢) الْمُلْكِ وَمِفْتَاحُ السِّيَاسَةِ
وَبَابُ الرِّئَاسَةِ وَدَرَجُ السِّيَادَةِ . وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى اقْتِشَاءِ الرِّجَالِ
بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ تَكُنْ سَيِّدًا رَشِيدًا . وَإِيَّاكَ وَالْحَيْدَةَ عَنِ الطَّرِيقَةِ
الْمُثْلَى الَّتِي عَلَيْهِمَا مَبْنَى الْعَمَلِ . فَإِنْ مَنْ تَرَكَ رَأْيَ اللَّهِ وَثَمَرَةَ
الْعَمَلِ تَوَرَّطَ فِي الْمَهَالِكِ وَوَقَعَ فِي الْمُنَاعِبِ

قَالَ عَلِيٌّ : إِذَا قَوِيَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ انْقَطَعَ إِلَى الرَّأْيِ .
وَإِذَا ضَعُفَتْ انْقَطَعَ إِلَى الْبَحْتِ

وَمَنْ وَصِيَّةَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : أَطْلُبْ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمَ وَالْمَالَ
تَحْزُرِ الرِّئَاسَةَ عَلَى النَّاسِ . لِأَنَّهُمْ بَيْنَ خَاصٍّ وَعَامٍّ . فَالْخَاصَّةُ
تُفَضِّلُكَ بِالْعِلْمِ ، وَالْعَامَّةُ تُفَضِّلُكَ بِالْمَالِ . وَالنِّسْرَةُ الرِّفْعَةُ
بِالتَّوَاضُعِ ، وَالشَّرَفُ بِالذِّينِ . وَأَصْلِحْ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ مَا
يَسْتَقْبِلُكَ فَسَادُهُ إِنْ لَمْ تُصْلِحْهُ . وَصُنْ عَمَلَكَ بِالْعِلْمِ ، وَمُرُوْءَتَكَ
بِالْعِفَافِ ، وَعِامَكَ بِجَانِبَةِ الْخِيَلَاءِ ، وَخَلَّتِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي
الطَّلَبِ . وَإِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ أَحَدٍ شَرٌّ فَلَا تَعْقِدِ الشَّرَّ
بِقَلْبِكَ وَلَا تَطْوِ عَلَيْهِ يَرْكَ . وَقَلِيلَ النَّفَقَةِ لِعُيُوبِ النَّاسِ يَقِلُّ

تَفَقَّدُ النَّاسَ لِمَعِيكَ . وَاحْذَرِ أَنْ يَحْطُكَ التَّهَوُّنُ عَمَّا دَقَّاكَ إِلَيْهِ
 اتَّخِذْ . وَاحْذَرِ الْجَاهِلَ وَإِنْ كَانَ لَكَ نَاصِحًا كَمَا تَحْذَرُ عَدَاوَتَهُ
 إِذَا كَانَ غَاشًّا . وَلَا تَصْغَبْ مَنْ يَكُونُ اسْتِمْتَاعُهُ بِمَا لَكَ
 وَجَاهُكَ أَكْثَرَ مِنْ إِمْتَاعِهِ لَكَ بِشُكْرِ لِسَانِهِ وَفَوَائِدِ عَمَلِهِ . وَمَنْ
 كَانَتْ غَايَتُهُ إِلَّا حَيْثَالُ عَلَى مَا لَكَ وَإِطْرَاكَ فِي وَجْهِكَ فَإِنَّ هَذَا
 لَا يَكُونُ إِلَّا رَدِيءًا ، النَّعْبِ سَرِيعًا إِلَى الذَّمِّ . وَاجْعَلْ اخْتِيَارَكَ
 لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَفْعَالِهِ خُصُوصًا لَا مِنْ أَقْوَالِهِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
 أَفْعَالُهُمْ رَدِيئَةٌ وَأَقْوَالُهُمْ سَدِيدَةٌ . وَطَهِّرْ قَلْبَكَ مِنْ دَنَسِ الْبُخْلِ
 بِجَانِبَيْهِ ، وَارْفَعْ نَفْسَكَ عَنْ مُصَاحَبَةِ أَهْلِهِ ، وَزَرِّهِ سَمْعَكَ عَنْ
 قَبِيحِ ذِكْرِهِ . فَلَا دَاءَ أَدْوَأَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَلَا حَالٍ أَنْكَرُ مِنْ
 مُصَاحَبَةِ أَهْلِهِ . وَإِذَا أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فِيهَا فَضْلٌ عَنْكَ
 فَاعْلَمْ أَنَّ فِيهَا نَصِيبًا لِنَعْمِكَ فَتَسْرِعْ إِلَى إِخْرَاجِهِ تَأْمَنُ بِنِعْمَةٍ
 إِلَّا سَيَذَرَاكَ .



الباب الرابع

في اللطائف

قَتْلُهُ بِكَفَرَةٍ مُضْوَرَّةٍ

أَكْبُ^(١) رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ عَلَى مَا لِكَ بْنِ أَسْمَاءَ يُعَدِّثُهُ فِي
يَوْمِ صَيْفٍ وَيَسْئُهُ وَيُثْقِلُ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِي مَنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ
فِي الْبَاهِلِيَّةِ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَعْرِفُ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنَّا فِي الْإِسْلَامِ .
قَالَ : وَمَنْ هُمْ . قَالَ أَنَا . قَتَلْتَنِي الْيَوْمَ بِطُولِ حَدِيثِكَ
وَكَثْرَةِ مُضْوَرِّكَ

الْبَرَاءَةُ فِي الشُّكْوَى

تَظَلَّمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مِنْ وَإِلَيْهِمْ فَشَكَّوهُ إِلَى الْمُأْمُونِ . فَقَالَ :
مَا عَلِمْتُ مِنْ عُمَالِي أَعْدَلَ وَلَا أَقْوَمَ^(٢) بِأَمْرِ الرَّعِيَّةِ وَلَا أَعْوَدَ^(٣)
بِالْرَّفَقِ عَلَيْهِمْ^(٤) مِنْهُ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا أَحَدٌ أَوْلَى بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ مِنْكَ . فَإِنْ كَانَ يَهْدِيهِ الصِّفَّةُ
فَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤَلِّيهَ بَلَدًا بَلَدًا حَتَّى يَلْحَقَ كُلُّ بَادٍ مِنْ

(١) اكب على الرجل اقبل عليه ولزمه (٢) من قام بامرءه اذا تولاه (٣) من

عاد عليه بالمعروف اذا افضل (٤) من رفق به وعليه اذا لطف به

عَدْلِهِ مِثْلُ الَّذِي لَحِصْنَا . وَيَلْخُذْ بِقِسْطِهِ ^(١) مِنْهُ كَمَا أَخَذْنَا . وَإِذَا
فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُصِيبْنَا مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ . فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ
مِنْ قَوْلِهِ وَعَزَلَهُ عَنْهُمْ

فِي الْآتِي سَلَامَةٌ وَفِي الْعَجَلَةِ نَدَامَةٌ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ وَقَدْ أُرِيَ يَقُومُ فَأَمَرَ
بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ الَّذِي جَعَلَ
السِّجْنَ كَانَ حَكِيمًا . جَعَلَهُ قَيْدًا لِلْعَجَلَةِ وَبَابًا إِلَى التَّثَبُّتِ وَسَبَبًا إِلَى
الْأَنَاقَةِ . فَمَلِكٌ بِالتَّوَدُّعِ ^(٢) وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ . فَأَنْتَ عَلَى عُمُومَتِنَا
أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّهَا . فَأَمَرَ بِحَبْسِهِمْ ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ

خِلَالُ الْقَاضِي

رُوِيَ عَنِ الرَّشِيدِ أَنَّهُ أَحْضَرَ رَجُلًا يُؤَلِّيه الْقَضَاءُ . فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَا أَحْسِنُ الْقَضَاءُ وَلَا نَافِقِيهِ . فَقَالَ الرَّشِيدُ :
فِيكَ ثَلَاثُ خِلَالٍ : فِيكَ شَرَفٌ وَالشَّرَفُ يَتِمُّ أَهْلُهُ مِنَ الدَّنَاءَاتِ .
وَلَاكَ حِلْمٌ وَالْحِلْمُ يَنْعُكَ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُعَجَلْ قَلَّ خَطَاؤُهُ .
وَأَنْتَ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فِي أَمْرِكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ كَثُرَ صَوَابُهُ . وَأَمَّا
الْفِقْهُ فَسَيَنْتَضِمُ إِلَيْكَ مَنْ تَفَقَّهَ بِهِ . فَوَيْ قَا وَجَدَ فِيهِ طَعْنَ

الرَّجُلُ يُشْرِفُ عَمَلَهُ

عَزَلَ الْأِسْكَندَرُ عَامِلًا عَنْ عَمَلِ نَفْسٍ وَوَلَاهُ عَمَلًا خَسِيسًا . فَقَدِمَ عَلَيْهِ بَعْدَ جِينٍ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ عَمَلَكَ . قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْعَمَلِ الْكَبِيرِ يَنْبُلُ الرَّجُلُ لَكِنَّ الرَّجُلَ يَنْبُلُ عَمَلُهُ بِهِ وَإِنْ كَانَ خَسِيسًا لِحُسْنِ السَّيْرِهِ وَإِنْصَافِ الرِّعْيَةِ

زِينَةُ النَّفْسِ تَجْلِبُ زِينَةَ الْجِسْمِ

دَخَلَ يَوْمًا رَجُلٌ رَثَّ الْهَيْئَةَ عَلَى الْأِسْكَندَرِ ، فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ وَسُئِلَ فَأَصَابَ الْجَوَابَ . فَقَالَ لَهُ الْأِسْكَندَرُ : لَوْ أُعْطِيتَ جِسْمَكَ حَقَّةً مِنَ الزَّيْنَةِ كَمَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ حَقَّهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ لَأَشْبَهَ بَعْضُكَ بَعْضًا . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَّا الْكَلَامُ فَأَقْدِرُ عَلَيْهِ فَإِنِّي مَا لِكُهُ . وَأَمَّا الزَّيْنَةُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا لِأَنِّي لَا أَمْلِكُهَا . فَعَلِمَ الْأِسْكَندَرُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ فَخَلَغَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ

الترى يا صغيره

دَخَلَ ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مَلِكُ الْحِيرَةِ وَالْيَمَامَةِ . وَكَانَ ضَمْرَةُ ذَا عَقْلٍ وَعِلْمٍ وَجِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ دَمِيمَ الْخِلْقَةِ قَصِيرَ الْقَامَةِ ، وَكَانَ ذِكْرُهُ قَدْ شَاعَ فِي آلَافٍ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ . فَلَمَّا رَأَاهُ

الْتَنْذِرُ أَحْتَرَهُ لِدِمَامَةٍ خَلَقْتِهِ وَقَصَرَ قَامَتِهِ . فَقَالَ : لَأَنْ تَسْمَعَ
بِالْمَيْدِي ^(١) خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ . فَقَالَ لَهُ ضَمْرَةٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَيْسَ
الْمَرْءُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ وَبَهَائِهِ وَكَمَالِهِ وَهَيْبَتِهِ وَتَبَاهٍ . لَا وَاللَّهِ حَتَّى
يُشْرِفَهُ أَصْفَرَاهُ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ وَيَعْلَوْ بِهِ أَكْبَرَاهُ هِمَّتُهُ وَلَبُّهُ ^(٢)

عَزِيزُ النَّاسِ يَتَعَبَّدُ عَلَى نَفْسِهِ

دَخَلَ عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ وَعَمَرُو يَوْمَئِذٍ
غُلَامٌ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : إِلَى مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ يَا عَمْرُو . قَالَ :
إِنَّ أَبِي أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوصِ يِي . قَالَ وَيَأَيَّ شَيْءٍ أَوْصَاكَ . قَالَ :
أَوْصَانِي أَلَّا يَفْقَدَ إِخْوَانُهُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصَةً . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَصْحَابِهِ :
إِنَّ ابْنَ سَعِيدٍ هَذَا سَيَكُونُ نِعْمَ الْخَلْفُ لِأَبِيهِ

فَضْلُ الْكُتُبِ

دَخَلَ الْمُأْمُونُ يَوْمًا عَلَى ابْنِهِ هُرُونُ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَقَالَ :
مَا هَذَا . قَالَ : كِتَابٌ يَشْحَذُ الْفُطْنَةَ وَيُنْفِي عَنِ الْمِشْرِقِ . فَقَالَ
الْمُأْمُونُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَلَ لِي ذُرِّيَّةً ^(١) بَرَى بِعَيْنِ عَقْلِهِ
أَكْثَرَ مِمَّا بَرَى بِعَيْنِ جَسَمِهِ

(١) تصغير معدي . والعبرة مثل يضرب للرجل له صيت وذكر في الناس
فاذا رأته ازدريت مرآته (٢) عقله (٣) الذرية ولد الرجل

وَجُوبُ الْقَتْلِ

قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ : إِنِّي أَنْشَرْتُ مُصْحَفِي ^(١) فَأَقْرَأْهُ يَا نَهَّارُ
كُلَّهُ . فَقَالَ : أَقْرَأْهُ يَا لِنَدَاةٍ وَالْمَشْيِ . وَيَكُونُ يَوْمُكَ فِي حِرْفَتِكَ
وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ

ذَمُّ الشَّرَابِ

قِيلَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ يَزْدَاسَ : لِمَ تَرَكْتَ الشَّرَابَ وَهُوَ يَزِيدُ
فِي سَمَاتِكَ . فَقَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَصْبِحَ سَيِّدَ قَوْرِي وَأُمِّي سَفِيهَةٌ

حَسَنُ التَّحْلِصِ

لَمَّا بَنَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ قَصْرَهُ حِيَالَ ^(٢) قَصْرِ الْمَأْمُونِ قِيلَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَاهَاكَ ^(٣) وَبَارَاكَ ^(٤) . فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ
بَنَيْتَ هَذَا الْقَصْرَ مُحَازِيًا لِلْقَصْرِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَحْبَبْتُ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ فَبَعَلْتُهُ نُصَبَ عَيْنِكَ . فَأَسْتَحْسَنَ
الْمَأْمُونُ جَوَابَهُ وَأَجْزَلَ عَظِيمَتِهِ

سَيِّدُ الْقَرَبِ

وَفَدَّ حَاجِبُ بْنُ ذُرَّادَةَ عَلَى بَابِ كِسْرَى وَكَانَ قَدْ مَنَعَ تَعِيمَ

(١) المصحف الكراسية وقد علب على القرآن (٢) قبالة (٣) فاخرك في

الحسن (٤) عارضك اي فعل مثل فعلك

رِيفَ الْعِرَاقِ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : قُلْ لِلْمَلِكِ أَنَّ بِالْبَابِ رَجُلًا مِنْ
 الْعَرَبِ يُرِيدُ الْوُقُودَ عَلَيْكَ وَالْمُثُولَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَأَعْلَمَ الْحَاجِبُ
 كِسْرَى بِمَا قَالَ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ .
 قَالَ : سَيِّدُ الْعَرَبِ . قَالَ : أَلَسْتَ الْقَائِلَ لِلْحَاجِبِ إِنَّكَ رَجُلٌ
 مِنْهُمْ . قَالَ : نَعَمْ قُلْتُ ذَلِكَ قَبْلَ وَصُولِي إِلَيْكَ وَمُثُولِي بَيْنَ
 يَدَيْكَ فَأَمَّا وَقَدْ حَظِيتُ بِرُؤُوسِكَ فَهَذِهِ صِرْتُ سَيِّدَ الْعَرَبِ . فَقَالَ
 كِسْرَى زِهِ وَأَمْرًا أَنْ يُحْشَى فَمَهُ دُرًّا

الرَّوَدَةُ الصَّيِّحَةُ

كَانَ فَتًى مِنْ حَلَبٍ يَجْلِسُ إِلَى الْأَخْنَفِ وَكَانَ يُنَجِّهِهُ فَقَالَ
 لَهُ يَوْمًا : يَا فَتَى هَلْ تَرَيْنَ جَمَالَكَ بِشَيْءٍ . قَالَ : نَعَمْ . إِذَا حَدَّثْتُ
 صَدَقْتُ ، وَإِذَا حَدَّثْتُ أُسْتَمْتُمْ ، وَإِذَا عَاهَدْتُ وَفَيْتُمْ ، وَإِذَا
 وَعَدْتُ أَنْجَزْتُمْ ، وَإِذَا أُتِيتُمْ لَمْ أَخُنْ . فَقَالَ الْأَخْنَفُ : هَذِهِ
 الرَّوَدَةُ حَقًّا

إِيَّاكَ وَالْإِعْتِيَابَ

قَالَ الْوَارِثِيُّ لِأَبْنِ أَبِي دَاوُدَ : قَدْ كَانَ عِنْدِي السَّاعَةُ الزَّيَّاتُ
 فَدَكَرْتُ بِكُلِّ قَبِيحٍ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَوَّجَهُ إِلَى الْكَذِبِ
 عَلَيَّ وَزَهَّنِي عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ فِيهِ

جواب بليغ

لَمَّا قَتَلَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ دَخَلَ الْمَأْمُونُ عَلَى أُمِّهِ يُعْزِيهَا فِيهِ
 فَقَالَ لَهَا : يَا أُمَاهُ لَا تَحْزَنِي عَلَى الْفَضْلِ فَإِنَّا خَلَفْنَا مِنْهُ . فَقَالَتْ :
 كَيْفَ لَا أَحْزَنُ عَلَى وَلَدٍ عَوَّضَنِي مِنْهُ خَلِيفَةً مِثْلَكَ . فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ
 مِنْ جَوَابِهَا وَكَانَ يَقُولُ : مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا
 أَجْلَبَ لِلْقُلُوبِ .

مَا هُوَ السُّودُّ

سَأَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رُوحَ بْنَ زَيْبَاعٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ
 مِسْعَرٍ قَالَ : لَوْ غَضِبَ مَالِكٌ لَغَضِبَ مَعَهُ مِئَةُ أَلْفِ سِنٍ لَا يَسْأَلُهُ
 وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ غَضِبْتَ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا وَاللَّهِ السُّودُّ

الْتَرَجِبُ بِالضَّيْفِ عِنْدَ قُدُومِهِ

رَوَى بَابِي الْبُخْتَرِيُّ وَهَبُ بْنُ وَهْبٍ الْقُرَشِيُّ ضَيْفًا . فَسَارَعَ
 عَسِيدُهُ إِلَى إِتْرَالِهِ وَخَدَّمُوهُ أَحْسَنَ خِدْمَةٍ وَفَعَلُوا بِهِ كُلَّ جَبِيلٍ .
 فَلَمَّا هَمَّ بِالرَّحِيلِ لَمْ يُفَرِّقْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَتَجَبَّوهُ . فَأَنْكَرَ ذَلِكَ
 عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : نَحْنُ إِنَّمَا نَعِينُ النَّازِلَ عَلَى الْإِقَامَةِ وَلَا نُعِينُهُ
 عَلَى الرَّحِيلِ .

الْحُسَيْنُ وَالْقَزْدَقُ

لَقِيَ الْحُسَيْنُ بَنَ عَلِيٍّ الْقَزْدَقَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْعِرَاقِ .
فَسَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ : أَلْقُلُوبُ مَعَكَ وَالسُّيُوفُ عَلَيْكَ وَالنَّصْرُ
فِي السَّمَاءِ

إِسْتَعْنِ بِالْحَقِّ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِعَمْرِ بْنِ عُيَيْدٍ : أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ يَا أَبَا عُمَانَ .
قَالَ : أَرْفَعُ عِلْمَ الْحَقِّ يَتَّبِعُكَ النَّاسُ

الْعِلْمُ يُتَّبَعُ حَيْثُ كَانَ

قَالَ نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ لِزَيْنِ الْعَالِيدينَ : أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ .
تَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فَتَجْلِسَ مَعَهُ . فَقَالَ : يَنْبَغِي
لِلْعِلْمِ أَنْ يُتَّبَعَ حَيْثُ كَانَ

الْإِسْكَندَرُ وَالْيَاسَاتُ

أَشِيرُ عَلَى الْإِسْكَندَرِ بِالْيَاسَاتِ " فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ . فَقَالَ
لَا يَلِيْقُ بِالْمُلُوكِ اسْتِزَاقُ الظُّفْرِ

بَعْضُ أَخْبَارِ كِسْرَى

كَانَ الْمُؤَيَّدُ فِي مَجْلِسِ كِسْرَى . فَسَمِعَ ضِحْكَ الْخَدَمِ فَقَالَ :

(١) اليات مهاجمة العدو ليلاً

مَا يَمْنَعُ جَلَالَهُ الْمَلِكُ وَهَيْئَتُهُ هُوَ لَا وَالْعُلَمَانُ عَنِ الصَّلَاةِ قَسِيمَةٌ
كِسْرَى فَقَالَ : إِنَّمَا يَهَابُنَا أَعْدَاؤُنَا

- وَقَالَ كِسْرَى يَوْمًا لِبَعْضِ عُمَّالِهِ : كَيْفَ تَوْمُكَ بِاللَّيْلِ .
قَالَ : أَنَا مُمَّةٌ كُلُّهُ . قَالَ أَحْسَنْتَ لَوْ سَرَقْتَ الرَّحِيَّةَ وَلَمْ تُؤَدِّ حُقُوقَهَا
مَا نِمْتَ هَذَا النَّوْمَ

- وَكَانَ كِسْرَى إِذَا غَضِبَ عَلَى بَعْضِ خَاصَّتِهِ هَجَرَهُ وَلَمْ
يَقْطَعْ عَنْهُ خَيْرَهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : نَحْنُ نُعَاقِبُ
بِالْهِجْرَانِ لَا بِالْجُرْمَانِ

دَفْعُ الظَّلَالِ بِالْحُجَّةِ لَا بِالسَّيْفِ

لَمَّا ظَهَرَ مَا فِي الزُّنْدِيقِ فِي أَيَّامِ سَابُورَ بْنِ أَرْدَشِيرَ وَدَعَا
النَّاسَ إِلَى مَذْهَبِهِ أَخَذَهُ سَابُورُ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ نَصَحَاءُ دَوْلَتِهِ بِقَتْلِهِ . فَقَالَ :
إِنْ قَتَلْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْطَعَهُ بِالْحُجَّةِ ^(١) قَالَ الْعَامَّةُ بِقَوْلِهِ وَيَقُولُونَ
مَلِكُ جَبَّارٌ قَتَلَ زَاهِدًا . وَلَكِنِّي أَنَا ظَرُهُ فَإِذَا غَلَبَتْهُ بِالْحُجَّةِ قَتَلْتُهُ
مُرَاعَاةُ الْجُلَسَاءِ

نَهَضَ هِشَامُ يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِهِ فَسَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ فَتَنَاوَلَهُ
بَعْضُ جُلسَائِهِ لِيَرُدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ فَجَذَبَهُ هِشَامُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ :
مَهْلًا إِنَّا لَا نَتَّخِذُ جُلَسَاءًا خَوَلَا ^(٢)

(١) قطعه بالحجة عليه بها حتى أسكته (٢) عييداً وخدماء

قَالَ يُنْجِبُ الرَّشِيدُ بِأَدْبِهِ

حُكِيَّ أَنَّ الرَّشِيدَ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَبِي شُعَيْبٍ الْقَلَالِ^(١)
كَيْفَ يَعْمَلُ الْقَلَالُ . فَأَدْخَلُوهُ الْقَصْرَ وَأَتَوْهُ بِجَمِيعِ مَا يَخْتَاجُ
إِلَيْهِ مِنْ آلَةِ الْعَمَلِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَعْمَلُ إِذَا هُوَ بِالرَّشِيدِ قَدْ أَقْبَلَ .
فَلَمَّا رَأَاهُ نَهَضَ قَائِمًا . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : دُونَكَ وَمَا دُعِيتَ لَهُ .
فَأَنِّي لَمْ آتِ بِكَ لِتَقُومَ لِي . وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِكَ لِتَعْمَلَ بَيْنَ يَدَيَّ .
فَقَالَ : وَأَنَا لَمْ آتِكَ لِيَسُوءَ أَدْبِي وَإِنَّمَا أَتَيْتُكَ لِأَزْدَادَ بِكَ أَدْبًا
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَأَجَازَهُ

ذَكَاءُ ابْنَتَيْنِ

حُكِيَّ أَنَّ شَاعِرًا كَانَ لَهُ عَدُوٌّ . فَبَيْنَمَا هُوَ سَايَرُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي
بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذَا بِعَدُوِّهِ إِلَى جَانِبِهِ . فَعَلِمَ الشَّاعِرُ أَنَّ عَدُوَّهُ قَاتِلُهُ
لَا مَحَالَةَ^(٢) فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمُنِيَّةَ قَدْ حَضَرَتْ
وَلَكِنْ سَأَلْتُكَ اللَّهَ إِذَا أَنْتَ قَتَلْتَنِي أَمْضِ إِلَى دَارِي وَاقِفْ يَا لَبَابِ
وَتَادِ : أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتَانِ إِنَّ أَبَاكُمَا . فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ قَنْبَلِهِ أَتَى إِلَى دَارِهِ
وَوَقَفَ يَا لَبَابِ وَقَالَ : أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتَانِ إِنَّ أَبَاكُمَا . وَكَانَ لِلشَّاعِرِ
ابْنَتَانِ . فَلَمَّا سَمِعَتَا قَوْلَ الرَّجُلِ أَجَابَتَاهُ رِيقَهُ وَاحِدٍ : قَتِيلُ خُذَا

بِالتَّارِ يَمْنُ أُنَاكُمَا . ثُمَّ تَعَلَّقَا بِالرُّجُلِ وَرَافَقَتْهُ ") إِلَى الْخَالِكِ فَقَاقرُ
يَقْتُلُهُ فَتَلَّهُ

الْمَأْمُونُ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ التَّهْدِي

قَالَ الْمَأْمُونُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ التَّهْدِي : إِنِّي شَاوَزْتُ فِي أَمْرِكَ
فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ . إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ قَدْرَكَ فَوْقَ ذَنْبِكَ فَكَّرَيْتُ
الْقَتْلَ لِلْإِزْمِ حُرْمَتِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الشَّيْرَ أَشَارَ
بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي السِّيَاسَةِ . إِلَّا أَنَّكَ آيْتُ أَنْ تَطْلُبَ
النَّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ مَا عُوذْتُهُ مِنَ الْعَمَلِ . فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ
نَظِيرٌ ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ

قِسْمَةُ الشَّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ

أَمْسِكَ عَلَى النَّابِغَةِ الْجَعْدِي الشَّعْرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَنْطِقْ
بِهِ . ثُمَّ إِنَّ بَنِي جَعْدَةَ غَزَوْا قَوْمًا فَظَفَرُوا بِهِمْ . فَلَمَّا سَمِعَ الْجَعْدِيُّ
أَسْتَحْفَهُ الطَّرَبُ فَاسْتَحْتَهُ الشَّعْرُ فَذَلَّ لَهُ مَا اسْتَصَبَّ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
قَوْمُهُ : وَاللَّهِ لَنَحْنُ بِإِطْلَاقِ لِسَانِ شَاعِرِنَا أَسْرُؤُنَا بِالظَّفَرِ بِمَدُونِنَا
أَلَدَلُّ أَمِ السَّجَاعَةُ

سَأَلَ الْأِسْكَندَرُ حُكْمَاءَ أَهْلِ بَابِلَ : أَيُّمَا أَبْلَغُ عِنْدَكُمْ السَّجَاعَةُ
أَمْ أَلَدَلُّ . قَالُوا : إِذَا اسْتَعْمَلْنَا أَلَدَلَّ اسْتَعْتَيْنَا بِهِ عَنِ السَّجَاعَةِ

(١) رافعه الى الخالك شكاه وقدمه

مَا أَجَلَ السُّقَّةَ وَالْمَدَلَ فِي الثَّلُوكِ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَمٍ: اسْتَعْمَلَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ عَلَى خَفَرِ خَلِيجِ
سَرْدُوسٍ. فَأَخَذَ فِي خَفَرِهِ وَتَدْيِيرِهِ فَجَعَلَ أَهْلُ الْقِرَى يَسْأَلُونَهُ
أَنْ يُجَرِّيَ لَهُمُ الْخَلِيجَ تَحْتَ قِرَاهِمَ وَكَانُوا يُعْطُونَهُ مَا لَا . فَكَانَ
يَذْهَبُ بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمِنْ الشِّمَالِ
إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَيُسَوِّقُهُ كَيْفَ أَرَادَ وَإِلَى حَيْثُ قَصَدَ . فَلَيْسَ خَلِيجٌ
يَبْصُرُ أَكْثَرَ عَطُوفًا ^(١) مِنْهُ . فَأَجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ
جَزِيلَةٌ فَحَمَلَهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ . فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : إِنَّهُ
يَتَّبِعُنِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يَعْطِفَ عَلَى عَيْدِهِ وَيُفِيضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِهِ
وَذَخَائِرِهِ ، وَلَا يَرْغَبُ فِي مَا بِيَايِدِهِمْ . رُدُّ عَلَى أَهْلِ الْقِرَى
أَمْوَالَهُمْ . فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَهُ مِنْهُمْ

مَا أَحْكَمَ التَّيُوحَ

حُكْمِي أَنْ كِسْرَى مَرَّ بِشَيْخٍ كَبِيرٍ يَتَرَسُّ فَيْسِلًا ^(٢) فَقَالَ لَهُ:
يَا هَذَا كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ الْعُمْرِ ، قَالَ ثَمَانُونَ سَنَةً . قَالَ أَوْتَمَلُ
أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ هَذَا النَّخْلِ وَهُوَ لَا يَحْمِلُ إِلَّا بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ

(١) ميلا (٢) التفصيل جمع الفسيلة وهي النخلة الصغيرة تقلع من الارض
وتقطع من الام فتعرس

وَأَنْتَ قَدْ فَنِيْ غُرُكَ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَوْ أَتَّكَلَّ الْأَبَاءَ عَلَى هَذَا
لَصَاحَ الْأَبْنَاؤُ . فَأَسْتَحْسَنَ كِسْرَى كَلَامَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفٍ دِينَارٍ .
فَأَخَذَهَا الشَّيْخُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَيْسِلُ تُطْعِمُ بَعْدَ سِنِينَ مِنْ
غُرْمِهَا ، وَهَذِهِ قَدْ أَطْعَمْتَنِي فِي سَنَتِهَا . فَتَعَجَّبَ كِسْرَى مِنْ ذِكَاثِهِ
وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفٍ دِينَارٍ أُخْرَى . فَأَخَذَهَا وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَيْسِلُ
تُطْعِمُ فِي السَّنَةِ مَرَّةً وَهَذِهِ قَدْ أَطْعَمْتَنِي فِي أَوَّلِ السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ .
فَأَزْدَادَ عَجَبُ كِسْرَى بِهِ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى . فَقَالَ الْوَزِيرُ :
إِنْ لَمْ يَنْهَضِ الْمَلِكُ أَرْدَى " هَذَا الشَّيْخُ بِحِكْمَتِهِ بَيْنَ الْمَالِ .
فَقَالَ : لَيْسَ الْمَالُ فِي شَيْءٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى حِكْمَةِ هَذَا الشَّيْخِ وَبَعْدَ
نَظَرِهِ . فَلْيَتَشَبَّهْ بِهِ أَبْنَاؤُ رَعِيَّتِي فَيَسْعَدُوا . قَالَ هَذَا وَأَنْصَرَفَ
الشَّيْخُ حَامِداً

حَيْثُ لَا حَاجَةَ لِي حَاكِمِ .

دَخَلَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مُقَاطَعَةً عَظِيمَةً فَلَمْ يَجِدْ حَاكِماً لِقَضَاءِ .
فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ أَهْلُهَا : إِنَّا لَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَا دَامَ قَوْرَيْنَا بِرَحْمِ
ضَعِيفَتَنَا وَلَا يَعْلُو عَايِهِ . وَكُلُّ مَنَا عَالِمٌ بِمَا لَهُ وَمَا لِغَيْرِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ

حُسْنُ الْأَخْلَاقِ لَا حُسْنَ الْوُجُوهِ

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيَادٍ عَلَى الْأُمُومِ فَجَلَّ يَمِينُهُ بِيَدِهِ وَجَارِيَةً
عَلَى رَأْسِهِ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهَا الْأُمُومُ مِمَّ تَضْحَكِينَ . فَقَالَ ابْنُ عِيَادٍ :
أَنَا أَخْبِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَتَجَبَّبُ مِنْ قُبْحِي وَإِكْرَامِكَ لِإِيَّايَ .
فَقَالَ : لَا تَعْجِبِي ، فَإِنَّ تَحْتَ هَذِهِ الْإِمَامَةِ كَرَمًا وَمَجْدًا . قَالَ
ابْنُ نَبَاتَةَ :

وَهَلْ يَنْفَعُ الْفَتَيَانَ حُسْنُ وَجُوهِهِمْ
إِذَا كَانَتْ الْأَعْرَاضُ غَيْرَ حَسَنٍ
فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَتَى
فَمَا كُلُّ مَصْفُوعٍ الْحَدِيدِ يَمَانٍ

تَرَكَ الْتَرَدَ مَا لَا يَنْبَغِيهِ

قَالَ رَجُلٌ لِلْأَخْنَفِ : يَمُّ سُدَّتْ قَوْمَكَ وَمَا أَنْتَ بِأَشْرَفِهِمْ
يَبْنَا ، وَلَا أَصْبَحِهِمْ وَجْهًا ، وَلَا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا ، فَقَالَ : يَخْلَافُ مَا
فِيكَ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ . قَالَ تَزَكِّي مِنْ أَمْرِكَ مَا لَا يَنْبَغِيكَ كَمَا
عَنَّاكَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَنْبَغِيكَ

لَا تَقْلُ شَيْئًا وَأَنْتَ غَضَبَانُ

أَمَرَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ أَنْ يُصْنَعَ لَهُ طَعَامٌ وَدَعَا قَوْمًا
مِنْ خَاصَّتِهِ إِلَى مَا يَدْرِيهِ . فَلَمَّا مَدَّ السِّمَاطُ ^(١) أَقْبَلَ الْخَادِمُ وَعَلَى
كَفِّهِ صَخْنٌ فِيهِ طَعَامٌ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ أَدْرَكَهُ الْهَيْبَةُ
فَعَثَرَ ، فَوَقَعَ مِنْ مَرَقِ الصَّخْنِ شَيْءٌ يَسِيرٌ عَلَى طَرَفِ تَوْبِ الْمَلِكِ
فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخَادِمُ الْعَزِيمَةَ عَلَى ذَلِكَ صَبَّ
جَمِيعَ مَا كَانَ فِي الصَّخْنِ عَلَى رَأْسِ الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ
مَا هَذَا . فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا شِعْراً ^(٢) عَلَى عِرْضِكَ
وغيرَةٍ عَلَيْكَ ، لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا ذَنْبِي الَّذِي بِهِ
تَقْتُلُنِي : قَتَلَهُ فِي ذَنْبٍ خَفِيفٍ لَمْ يَضُرَّهُ وَأَخْطَأَ فِيهِ الْعَبْدُ وَلَمْ
يَقْصِدْهُ ، فَتُنْسَبَ إِلَى الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ . فَصَنَعْتُ هَذَا الذَّنْبَ الْعَظِيمَ
لِتُعَذَّرَ فِي قَتْلِي وَتُزْفَعَ عَنْكَ الْمَلَامَةُ . قَالَ : فَأُطْرَقَ الْمَلِكُ مَلِياً ^(٣)
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ عَفَوْنَا عَنْ قَبِيحِ فِعْلِكَ وَعَظِيمِ
ذَنْبِكَ لِحَسَنِ اعْتِدَارِكَ فَأَذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى

مَا أَجْتَلَ الْوَفَاءَ

رَوَى مَسْرُودُ الْكَبِيرِ قَالَ : كَانَ أَبُو بَكَّارٍ الْأَعْمَى قَدْ انْقَطَعَ
إِلَى آلِ بَرْمَكٍ وَكَانَ مِنْ أَصْدِقَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى . فَلَمَّا أَمَرَنِي
الرَّشِيدُ بِقَتْلِ جَعْفَرٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ أَبَا بَكَّارٍ الْأَعْمَى
يُغْنِيهِ وَيَقُولُ :

خَلَا تَخْزَنُ فَكُلُّهُ فَتَى سَيَاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يُطْرُقُ^(١) أَوْ يُغَادِي^(٢)
قُلْتُ : فِي هَذَا وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتَكَ . ثُمَّ أَمْسَكَ يَدَ جَعْفَرٍ
وَأَقَمْتُهُ وَصَرَبْتُ عُنُقَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكَّارٍ : نَاشَدْتُكَ^(٣) اللَّهَ إِلَّا
الْحَصَنِي بِهِ . قُلْتُ لَهُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا . فَقَالَ : أَغْنَانِي
عَنِ النَّاسِ . قُلْتُ : حَتَّى أَسْتَأْمَرَ^(٤) الرَّشِيدَ . ثُمَّ أَحْضَرْتُ
الرَّأْسَ إِلَى الرَّشِيدِ وَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ أَبِي بَكَّارٍ . فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ
فِيهِ مُصْطَنَعٌ^(٥) أَضْمَمْتُ إِلَيْكَ وَأَنْظُرْ مَا كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ^(٦) جَعْفَرُ
فَأَدَقَمَهُ إِلَيْهِ

(١) من طروق اذا اتى ليلا (٢) من غاداه اذا باكره اي اتاه بكرة

(٣) ناشده الله استخلفه اي سأله واقسم عليه بالله ومعنى العبارة ما طلبت منك

شيئاً من الاشياء الا الحاقني به (٤) اشارر (٥) اي فيه حل للصنعة اي

الاحسان (٦) اي ما كان يخصه به من الجراية وهي ما يناله الجندي من

الطعام او الاجرة كل يوم

مُكَافَأَةُ أَمِيرٍ

قَالَ رَجُلٌ لِسَعِيدِ بْنِ الْمَاصِ وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ : يَدِي
عِنْدَكَ بَيْضَاءُ . قَالَ وَمَا هِيَ . قَالَ : كَبْتُ بِكَ قَرْنُكَ فَصَدَّمْتُ
إِلَيْكَ قَبْلَ غِلْمَانِكَ . فَأَخَذْتُ بِمِصْدِكَ وَأَزْكَبْتُكَ وَسَمَيْتُكَ مَاءً .
قَالَ فَأَيْنَ كُنْتَ إِلَى الْآنِ . قَالَ : حُجِيتُ عَنْ الْوُصُولِ إِلَيْكَ .
قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِأَتْنِي أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِمَّا يَمْلِكُكَ الْحَاجِبُ إِذْ
حَجَبَكَ عَنَّا

حُرِّيَةُ الصَّبِيرِ تُرِيدُ الْبُرْءَةَ

إِمْتَدَحَ ابْنُ مِيَادَةَ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ فَأَمَرَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ فَقبِلَ
يَدَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قَبِلْتُ يَدَ قُرَشِيٍّ غَيْرِكَ إِلَّا وَاحِدًا . قَالَ :
فَمَنْ هُوَ . قَالَ : الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ . فَغَضِبَ جَعْفَرُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
قَبِلْتُمَا لِلَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ : وَاللَّهِ وَلَا يَدَكَ قَبِلْتُمَا لِلَّهِ تَعَالَى
وَلَكِنْ قَبِلْتُمَا لِنَفْسِي . فَقَالَ جَعْفَرُ : وَاللَّهِ لَا ضَرْكَ الصِّدْقِ عِنْدِي .
أَعْطَوْهُ مِئَةَ أُخْرَى

جُودُ حَاتِمٍ وَأَنْتَنَةُ

كَانَتْ سَفَانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ مِنْ أَجْوَدِ نِسَاءِ الْعَرَبِ فَكَانَ
أَبُوهَا يُعْطِيهَا الضَّرْبِيَّةَ مِنْ إِبِلِهِ فَتَبْهَى وَتُعْطِيهَا النَّاسَ . فَقَالَ لَهَا
جوامع الثالث ٨

أَبُوهَا يَا بُنَيْتُ إِنَّ الْكَرِيمِينَ إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْمَالِ اتَّفَقَا . فَإِنَّمَا أَنْ
أَعْطِي وَتُنْسِكِي ، وَإِنَّمَا أَنْ أُمْسِكَ وَتُعْطِي . فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى
هَذَا شَيْءٌ . فَقَالَتْ لَهُ : مِنْكَ تَعَلَّمْتُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ

الْعَمَامَةُ وَالرَّازِيُّ

كَانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَافَهَا صَغُرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلَّتْ نَفْسَهَا فِي حَبْرِهِ
كَالِاسْتَجِيرَةِ بِهِ . فَأَنشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُثَيْنٍ أَيْبَاتًا فِي هَذَا
الْمَعْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يُلَمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنْكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

فِي الْإِتِّعَادِ قُوَّةٌ

دَعَا أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ أَوْلَادَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ . فَأَسْتَدْعَى إِضْمَامَهُ
مِنَ السَّهَامِ فَتَقَدَّمَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكْسِرَهَا فَأَمَّ يَقْدِرُ
أَحَدٌ عَلَى كَسْرِهَا . ثُمَّ بَدَدَهَا فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكْسِرُوهَا فَاسْتَسْهَلُوا

كَسَرَهَا . فَقَالَ : كُونُوا مُجْتَمِعِينَ لِيَجْزَ مَنْ نَاوَأَكُمْ ^(١) عَنْ
كَسَرِكُمْ كَجَزِكُمْ عَنْ كَسَرِهَا مُجْتَمِعَةً . فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَرَّقْتُمْ سَهَلَ
كَسَرُكُمْ . وَأَنْشَدَ :

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِي إِذَا أُعْتَرَى خَطْبٌ وَلَا تَفَرَّقُوا آحَادًا
تَأْتِي الْقِدَاحُ ^(٢) إِذَا اجْتَمَعْنَ نَكْشًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْشَرَتْ أَفْرَادًا

عَبْدُ الدِّينَارِ

« لَازِمُخْشَرِي »

يَا عَبْدَ الدِّينَارِ وَالِدِ رَهْمٍ مَتَى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا ؟ وَيَا أَسِيرَ الْحِرْصِ
وَالطَّمْعِ مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا ؟ هَيْهَاتَ لَا عِتَاقَ إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى
دِينِكَ الْمُرْزُوقِ ، وَلَا إِطْلَاقَ أَوْ تُقَادِيَ بِخَيْرِكَ الْمَلْزُوقِ . يَا مَنْ
يُشْبِعُهُ الْقِرْصُ ، مَا هَذَا الْحِرْصُ ؟ وَيَا مَنْ تُزْوِيهِ الْجِرْعُ ، مَا هَذَا
الْجِرْعُ . سَتَعْلَمُ غَدًا مَتَى تَنْدَمْتُ ، أَنْ لَيْسَ إِلَّا مَا قَدَّمْتُ . وَإِذَا
لَقِيتَ الْمُنُونِ ، لَمْ يَنْقُصْكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . مَا يَصْنَعُ بِالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ ، عَابِرُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ . وَمَا يُرِيدُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالْفَرَحَةِ ،
نَازِلُ ظِلِّ السَّرْحَةِ

(١) عاداكم (٢) جمع القدح وهو السهم قبل ان يراش وينصل

نصائح
« لابن القتيع »

إِعْلَمْ أَنَّ رَأْيَكَ لَا يَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَرَّرَهُ لِلنَّاسِ ، وَأَنَّ
مَالَكَ لَا يُغْنِي النَّاسَ كُلَّهُمْ فَأَخْصِ بِهِ ذَوِي الْحُقُوقِ ، وَأَنَّ
كَرَامَتَكَ لَا تُطَبِّقُ الْعَامَّةَ فَتَوَخَّ بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ ، وَأَنَّ لَيْلَكَ
وَنَهَارَكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَاجَاتِكَ وَإِنْ دَأَبْتَ فِيهِمَا ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ
إِلَى أَذَانِهَا سَبِيلٌ مَعَ حَاجَةِ جَسَدِكَ إِلَى نَصِيهِهِ مِنْهُمَا ، فَأَحْسِنْ
قِسْمَهُمَا بَيْنَ دَعَاكَ وَعَمَلِكَ



الباب الخامس

في الحكايات والنوادر

الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ الْيَأَنِ

لَمَّا قَتَلَ شِيرَوْنِيهِ أَبَاهُ كِسْرَى أَبْرُويزَ تَمَرَضَ لَهُ رَجُلٌ
 مِنَ الرِّعْيَةِ يَوْمًا وَقَدْ رَجَعَ مِنَ الْمِيدَانِ . فَقَالَ : اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 قَتَلَ أَبْرُويزَ عَلَى يَدَيْكَ وَمَلَكَكَ مَا كُنْتَ أَهَقُّ بِهِ مِنْهُ ، وَأَرَاكَ
 أَلْ سَاسَانَ مِنْ جَبْرُوتِهِ وَعُتُوهِ وَبُخْلِهِ وَنُكْدِهِ " . فَإِنَّهُ كَانَ
 يَمْنُ يَا خُذْ يَا لَجُورٍ ، وَيَقْتُلُ بِالطَّنِّ ، وَيُخِيفُ الْبَرِيَّ ، وَيَعْمَلُ
 يَا لَهْوَى . فَقَالَ لَهُ شِيرَوْنِيهِ : كَمْ كَانَ رِزْقُكَ فِي حَيَاةِ أَبْرُويزَ .
 قَالَ : كُنْتُ فِي كِفَايَةٍ . قَالَ : فَكَمْ رِزْقُكَ الْيَوْمَ . قَالَ : مَا زِيدَ
 فِيهِ شَيْءٌ . قَالَ : فَهَلْ وَتَرَكْتَ " أَبْرُويزَ فَأَنْتَصَرْتَ مِنْهُ بِمَا قُلْتَ
 الْيَوْمَ فِي حَيِّهِ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ
 يَطْعَمْ عَنْكَ رِزْقًا وَلَا وَتَرَكَ فِي نَفْسِكَ . يَا لِلرِّعْيَةِ وَالْوُقُوعِ فِي
 الْمُلُوكِ . وَأَمَرَ أَنْ يُنَزَعَ لِسَانُهُ وَقَالَ : يَحَقُّ مَا يُقَالُ : الْخَرَسُ
 خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ الْيَأَنِ

الْأَدَبُ بَيْنَ صَاحِبِهِ

حَكَى الصَّاحِبُ كَمَالَ الدِّينِ أَنَّ الْقَاضِيَّ بَهَاءَ الدِّينِ بْنَ شَدَّادٍ قَاضِيَّ حَلَبَ الَّذِي بَلَغَ عِنْدَ صَلاَحِ الدِّينِ وَأَبْنِيهِ الظَّاهِرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِهِ مَرَضَ يَحَلَبَ . فَسَيَّئْتُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّبَّانِ إِلَى عِيَادَتِهِ . فَعِنْدَمَا دَخَلْنَا عَلَيْهِ قَامَ لَنَا فَجَعَلْنَا نَحْلِفُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ قَطَرًا : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ تَتَفَكَّرُونَ فِي مَرَضِي وَتَتَمَنُّونَ^(١) مِنْ أَمَّا كَيْفَ كُنْتُ إِلَى مَنْزِلِي ثُمَّ أَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِقَوْمَةٍ هَذَا وَاللَّهُ غَيْرُ طَرِيقِ الْمُرُوءَةِ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَوْلَادِي لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى كَبِيرٍ وَأَنَا فِي سَيْنِكُمْ فَلَمْ يَخْتَصِلْ بِي . فَأَلَى الْآنَ مَا أَذْكَرُ ذَلِكَ إِلَّا أَسَاتُ ذِكْرَهُ وَتَدِمْتُ عَلَى وَصُورِي إِلَيْهِ . وَلَا يَتَجَبَّبُ الْمَلَأِيبَ إِلَّا أَهْلُ التَّجَارِبِ .

قَالَ : وَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى مَجْلِسِ كَمَالِ الدِّينِ بْنِ يَغْمُورٍ وَهُوَ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ . وَكَانَ يَوْمُ لِي كَلَامًا دَخَلْتُ عَلَيْهِ . فَدَخَلْتُ يَوْمًا فَإِذَا بِهِ مُضْطَجِعٌ فَلَمْ يَقُمْ وَأَخَذْتُ فِي مَا كَانَ يَأْخُذُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَامَ ثُمَّ جَلَسَ ثُمَّ قَامَ ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ : هَذِهِ الْأَخِيرَةُ غَوْمَةٌ أَمْسَ كَانَتْ عَلَيَّ دَيْنًا لِعُذْرٍ تَفْضُلُ

بِقُبُولِهِ دُونَ مُطَالَبَةِ يَذْكُرِهِ . فَتَجَبَّتْ مِنْ فَضْلِهِ وَدَمَانَةٌ أَخْلَاقِهِ
وَ كَمَالِ أَدَبِهِ وَقُلْتُ : مَا سَادَ لِهَذَا الرَّجُلِ مَا سَادَ فِي الْآفَاقِ
مِنْ بَاطِلٍ .

انجَمَ دَوَاءُ لِلصَّبْرِ

رُويَ أَنَّ أُنُوشِرَوَانَ سَخِطَ عَلَى وَزِيرِهِ يُزْزَجْمَرَ . فَسَجَنَهُ فِي
بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَمَرَ أَنْ يُصَفَّدَ^(١) بِالْحَدِيدِ وَيُلْبَسَ الْخَشِنَ مِنَ
الصُّوفِ . وَأَلَّا يُزَادَ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ عَلَى قُرْصَيْنِ مِنَ الْخَبْزِ
وَدَوْرَقِ^(٢) مَاءٍ . فَأَقَامَ شَهُورًا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ لَا تَسْمَعُ لَهُ
شَكْوَى . فَقَالَ أُنُوشِرَوَانُ : أَدْخِلُوا عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ وَمُرُوءَهُمْ أَنْ
يَسْأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ثُمَّ أَنْبِئُونِي بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ
مِنَ الْمُخْتَصِمِينَ بِهِ فَإِذَا هُوَ مَشْرُوحُ الصَّدْرِ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ نَاعِمُ
الْبَالِ فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الضِّيقِ
وَشُظْفِ الْعَيْشِ وَالشَّقَاءِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ سَخَنَةَ^(٣) وَجْهَكَ وَصَحَّةَ
جَسَدِكَ عَلَى حَالِهِمَا لَمْ تَتَغَيَّرَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ فِي تَرَفٍ وَنَعِيمٍ .
فَقَالَ : إِنِّي عَمِلْتُ دَوَاءً لِلصَّبْرِ مِنْ خَمْسَةِ أَخْلَاطٍ ، فَأَتَنَاوَلُ مِنْهُ

(١) يشد ويوثق (٢) الدورق انا للشراب (٣) السخنة اللون والهينة

كُلُّ يَوْمٍ شَيْئًا فَهُوَ الَّذِي أَبْنَانِي عَلَى مَا تَرَوْنَ . فَقَالُوا : صِفْهُ لَنَا
 فَلَمَّا نَزَعَ بِهِ عِنْدَ الْبَلَوَى . فَقَالَ : نَعَمْ أَمَّا الْخِلْطُ الْأَوَّلُ فَهُوَ
 الْثَمَّةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَالْصَّبْرُ خَيْرٌ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُتَحَنُّ ،
 وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَإِنْ لَمْ أَصْبِرْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْمَلُ وَلَا أَعِينُ عَلَى نَفْسِي
 بِأَلْجَرِ . وَأَمَّا الرَّابِعُ فَقَدْ يُمَكِّنُ أَنْ أَكُونَ فِي شَرٍّ أَشَدَّ مِمَّا أَنَا
 فِيهِ ، وَأَمَّا الْخَامِسُ فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجٌ . فَلَمَّا بَلَغَ أَوْشِرَوَانَ
 مَا قَالَ أَطْلَقَهُ وَأَعَزَّهُ وَأَعَادَهُ إِلَى حُطُوتِهِ عِنْدَهُ

عَزِيزُ النَّفْسِ لَا يُطِيقُ الْهَوَانَ

كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ وَائِسٍ رَجُلًا جَلِيلًا أَدِيبًا مِنْ رُؤَسَاءِ
 الْبَرِيَّةِ ، وَكَانَ وَزِيرًا عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ
 مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَكَانَ عَظِيمَ الْحَاجَةِ . فَلَمَّا رَأَاهُ
 الْأَمِيرُ مُقْبِلًا جَمَلَ يَهْجُوهُ بِأَيَاتِهِ تَدُلُّ عَلَى الْإِزْدِرَاءِ . فَقَالَ لَهُ
 سُلَيْمَانُ وَقَدْ غَضِبَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ النَّاسَ يَرْغَبُونَ فِي هَذِهِ
 الْمَنْزِلَةِ لِيَدْفِنُوا عَنْ أَنْفُسِهِمُ الضَّيْمَ . وَأَمَّا إِذَا صَارَتْ جَالِبَةً
 لِلذَّلِّ فَلَمَّا دُورُ تَسْمَعُوا وَتُغْنِيَا عَنْكُمْ . فَإِنْ حُلْتُمْ ^(١) بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَمَّا
 قُبُورُ تَسْعُنَا لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا . ثُمَّ خَرَجَ

مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَلِّمَ وَنَهَضَ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَغَضِبَ الْأَمِيرُ وَأَسْرَعَ بِعَزْلِهِ
عَنِ الْوِزَارَةِ وَرَفَعَ دَسْتَهُ ^(١) الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَبَقِيَ
كَذَلِكَ مُدَّةً . ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ حَزِنَ عَلَى فَقْدِهِ لِعَاقِبِهِ وَأَمَانَتِهِ
وَنَصِيحَتِهِ وَفَضْلِ رَأْيِهِ . فَقَالَ لِلْوِزَرَاءِ : لَقَدْ حَزَنْتُ لِفَقْدِ سُلَيْمَانَ .
وَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَرْجِعَهُ وَتَبْرَأَ مِنَّا كَانَ ذَلِكَ غَضَاضَةً ^(٢) عَلَيْنَا ،
وَلَوْ دَدْتُ أَنْ يَبْدَأَنَا بِالرُّعْبَةِ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ
الْوَلِيدِ : إِنْ أَذِنْتَ لِي بِالسَّيْرِ إِلَيْهِ أَسْتَهْضِئُهُ إِلَى هَذَا . فَأَذِنَ لَهُ
فَهَضَّ إِلَى دَارِ ابْنِ وَأَنْسُوسَ ، وَكَانَتْ رُتْبَةُ الْوِزَارَةِ بِالْأَنْدَلُسِ .
أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ لَا يَقُومُ الْوَزِيرُ إِلَّا لِوَزِيرٍ مِثْلِهِ . فَإِنَّهُ يَتَلَقَّاهُ
وَيُنْزِلُهُ مَعَهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ وَلَا يَحْجُبُهُ ^(٣) وَلَا لَحْظَةً . فَأَبْطَأَ الْأُذُنَ عَلَى
أَبِي مُحَمَّدٍ حِينَئِذٍ ثُمَّ أَذِنَ لَهُ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ قَاعِدًا فَلَمْ
يَتَزَحَّجْ لَهُ وَلَا قَامَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ : مَا هَذَا الْكِبَرُ .
عَهْدِي ^(٤) بِكَ وَأَنْتَ وَزِيرُ السُّلْطَانِ وَفِي أَبْنَاءِ رِضَاكَ تَتَلَقَّانِي
عَلَى قَدَمٍ ، وَتَتَزَحَّجُ لِي عَنْ صَدْرِ مَجْلِسِكَ ، وَأَنْتَ الْآنَ فِي
مَوْجِدَتِهِ ^(٥) بِضِدِّ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ لِأَنِّي كُنْتُ حِينَئِذٍ عَبْدًا مِثْلَكَ
وَأَنَا الْيَوْمَ حُرٌّ . فَيَسَّ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْهُ وَخَرَجَ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ وَرَجَعَ إِلَى الْأَمِيرِ
فَأَخْبَرَهُ فَأَبْتَدَأَ الْأَمِيرُ بِالْإِرْسَالِ إِلَيْهِ وَرَدَّهُ إِلَى أَفْضَلٍ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ

مُرُوءَةٌ نَادِرَةٌ

رَوَى سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ : سَعَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
 فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ الْمُهَدِيِّ . فَلَمَّا عَلِمَ بِهِ الْمُهَدِيُّ أَهْدَرَ دَمَهُ " ، وَجَعَلَ
 لِمَنْ دَلَ عَلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَأَقَامَ الرَّجُلُ حِينًا
 مُتَتَكِّرًا مُتَوَارِيًا ثُمَّ ظَهَرَ فِي بَغْدَادَ مَدِينَةَ السَّلَامِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي
 بَعْضِ شَوَارِعِهَا خَائِفًا مُتَرَقِّبًا إِذْ بَصُرَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ
 فَعَرَفَهُ فَأَخَذَ بِجَامِعِ طَوْقِهِ وَنَادَى : هَذَا بُيُتُهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَأَمَكَنَ الرَّجُلُ مِنْ قِيَادِهِ وَنَظَرَ إِلَى الْمَوْتِ أَمَامَهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى
 هَذِهِ الْحَالَةِ وَقَدْ اجْتَمَعَ حَوْلَهُ خَلْقٌ يَسِيرُ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ
 الْخَيْلِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَالْتَفَتَ فَإِذَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقَالَ لَهُ :
 يَا أَبَا الْوَلِيدِ اجْرِنِي أَجَارَكَ اللَّهُ . فَوَقَفَ مَعْنُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ الْمُتَعَلِّقِ
 بِهِ . مَا شَأْنُكَ وَهَذَا . فَقَالَ لَهُ . إِنَّهُ بُيُتُهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي
 أَهْدَرَ دَمَهُ وَجَعَلَ لِمَنْ دَلَ عَلَيْهِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِئَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَقَالَ
 لَهُ مَعْنُ : خَلِّ سَبِيلَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِغُلَامِهِ : أُنْزِلْ عَن دَابَّتِكَ وَاحْمِلِ
 الرَّجُلَ عَاقِبَهَا وَأَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى مَتْرَبِي . فَصَاحَ الرَّجُلُ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ :
 يَا مَمَشَرُ النَّاسِ مَعْنُ حَالِ بَيْتِي وَبَيْنَ بُيُوتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ

لَهُ مَعْنٌ : أَذْهَبَ قَتْلُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عِنْدِي . فَأَنْطَلَقَ
الرَّجُلُ إِلَى الْمُهْدِيِّ وَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ . فَوَجَّهَ الْمُهْدِيُّ إِلَى مَعْنٍ مِّنْ
يَخْضَرُ بِهِ فِي السَّاعَةِ . فَلَمَّا أَتَتْهُ رُسُلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَعَا أَوْلَادَهُ
وَتَمَالِيكَهُ وَأَقَارِبَهُ وَجَمِيعَ مَنْ يَلُودُ بِهِ وَقَالَ لَهُمْ : أَقْسِمُ عَلَيْكُمْ
بِأَنْ لَا يَصِلَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرُقُ^(١)
ثُمَّ إِنَّهُ سَارَ إِلَى الْمُهْدِيِّ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ
لَهُ : يَا مَعْنُ أَتَجِيرُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
فَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ : وَنَعَمْ أَيْضًا ؟ وَأَشَدَّ غَضَبُهُ . فَقَالَ مَعْنٌ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ قَتَلْتُ فِي طَاعَتِكُمْ بِالْيَمَنِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ خَمْسَةَ
عَشَرَ أَلْفًا ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَقْدَمُ فِي دَوْلَتِكُمْ بِلَانِي^(٢) وَحُسْنُ
عَنَائِي ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَاطَرْتُ بِدِمِي ، أَفَأَنَا رَأَيْتُمُونِي أَهْلًا أَنْ
أُجِيرَ رَجُلًا وَاحِدًا أَسْتَجَارَ بِي بَيْنَ النَّاسِ وَنَهَمًا مِنْهُ أَنْتَنِي عَبْدٌ مِنْ
عَبِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ أَصْحَابِ الْخُطْوَةِ عِنْدَهُ . فَمُرَّ بِمَا شِئْتَ
هَذَا أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ . قَالَ فَأَطْرَقَ الْمُهْدِيُّ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ
سُرِّيَ عَنْهُ^(٣) وَقَالَ : قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ . فَقَالَ
لَهُ مَعْنٌ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ بَصِلَةً بِصِلَةٍ يَعْلَمُ مِنْهَا مَوْقِعَ

(١) تنظر او تتحرك بالنظر (٢) يقال ابلى في الحرب بلاء حسنا اي اظهر
بأسه حتى بلاء الناس وامتنعوه (٣) كشف عنه ما كان يحده من الغضب

الرَّضَى فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ وَأَغْنَاهُ . لِأَنَّ قَلْبَ الرَّجُلِ قَدْ انْخَلَعَ مِنْ صَدْرِهِ خَوْفًا . فَقَالَ الْمُهْدِيُّ . قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صَلَاتِ الْخُلَفَاءِ عَلَى قَدْرِ جَنَايَاتِ الرَّعِيَّةِ ، وَإِنَّ ذَنْبَ الرَّجُلِ عَظِيمٌ فَأَجْزَلُ لَهُ الصَّلَاةُ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْنُ : عَجَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ خَيْرَ الْبَرِّ عَاجِلُهُ . فَأَمَرَ بِتَسْجِيلِهَا . ثُمَّ أَنْصَرَفَ مَعْنُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَلَيْعَهُ الْمَالُ قَدَعَا الرَّجُلَ وَقَالَ لَهُ : خُذْ صَلَاةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَقَّ بِأَهْلِكَ ، وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ الْخُلَفَاءِ وَالتَّعَرُّضَ لِمَسَاطِطِهِمْ . فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْمَالَ وَشَكَرَ لِمَعْنٍ حَسَنَ صَنِيعِهِ ، وَدَعَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَزِّ وَالنَّائِدِ

أَلْمَالُ يُكْثَرُ الْأَنْصَارُ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ سُؤَيْدٍ : أَعْدَمَ أَبِي إِعْدَامَةً ^(١) بِأَبْصَرَةٍ وَأَبْيَضَ . فَخَرَجَ إِلَى خُرَاسَانَ فَلَمْ يُصِبْ بِهَا طَوْلًا ^(٢) . فَيَتِمَّا هُوَ يَشْكُو تَمَدُّدَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ إِذْ عَدَا غَلَامُهُ عَلَى كَسْوَتِهِ وَبَعْلَتُهُ فَذَهَبَ بِهِمَا . فَأَتَى أَبَا سَاسَانَ حُضِينَ بْنِ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيَّ فَشَكَا إِلَيْهِ حَالَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَاسَانَ : وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي مَا عَمَّكَ

يَمْنُ يَخِيلُ مَعَا مَلِكٌ ، وَلَعَلِّي أَنْ أَتَحَالَ لَكَ . فَدَعَا بِكُتُوبِهِ حَسَنَةً
فَأَلْبَسَهُ إِيَّاهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَمَضِرْ بِنَا ، فَأَتَى بَابَ وَالِي خُرَاسَانَ
فَدَخَلَ وَتَرَكَهُ بِالْبَابِ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : أَتَيْنَ
عَلِيَّ بْنَ سُؤَيْدٍ . فَدَخَلَ إِلَى الْوَالِي فَإِذَا حُضَيْنٌ عَلَى فِرَاشٍ جَنَبُهُ .
فَسَلَّمَ عَلَى الْوَالِي فَرَدَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ حُضَيْنٌ فَقَالَ : أَصْلَحَ
اللَّهُ الْأَمِيرَ هَذَا عَلِيُّ بْنُ سُؤَيْدٍ ، سَيِّدُ فَخْيَانَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ، وَابْنُ
سَيِّدٍ كَهُولَهَا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ مَا لَا حَاضِرًا بِالْبَصْرَةِ وَفِي كُلِّ
مَوْضِعٍ مَلَكَتْ بِهِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ مَا لَا . وَقَدْ تَجَمَّلَ^(١) بِي إِلَى
الْأَمِيرِ فِي حَاجَةٍ . قَالَ : هِيَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ أَنْ تَمُدَّ
يَدَكَ مِنْ مَالِهِ وَمَرَائِكِهِ وَسِلَاحِهِ إِلَى مَا أَحْبَبْتَ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ
لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ ، نَحْنُ أَوْلَى بِزِبَادَتِهِ . قَالَ : فَقَدْ أَغْفَيْنَاكَ مِنْ
هَذِهِ إِذَا كَرِهْتَهَا . فَهُوَ يَسْأَلُكَ أَنْ تُحْمِلَهُ حَوَائِجَكَ . قَالَ إِنْ كَانَتْ
حَاجَةٌ فَهُوَ فِيهَا ثِقَةٌ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ أَنْ تُكَلِّمَنِي فِي قُبُولِ مُعَاوَنَةٍ
مِنَّا . فَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ يُرَى عَلَى مِثْلِهِ مِنْ أَثَرِنَا . فَأَقْبَلَ حُضَيْنٌ عَلَى
عَلِيٍّ فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَلَّا تَرُدَّ عَلَيَّ عَمَلِكَ شَيْئًا
أَكْرَمَكَ بِهِ . فَسَكَتَ . قَالَ : فَدَعَا لَهُ بِمَالٍ وَدَوَابٍّ وَكَسَاوٍ
وَرَقِيقٍ^(٢) فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : يَا أَبَا سَاسَانَ لَقَدْ أَوْفَقْتَنِي عَلَى خُطَّةٍ^(٣)

مَا وَقَفْتُ عَلَى مِثْلِهَا . قَالَ : أَذْهَبَ يَا ابْنَ أَخِي فَسُكَّ أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ . إِنَّ النَّاسَ إِنْ عَلِمُوا لَكَ غِرَارَةً ^(١) مِنْ مَالِهِ حَشَوْا لَكَ أُخْرَى ، وَإِنْ يَعْلَمُوكَ هَيِّراً تَعْدُوا عَلَيْكَ مَعَ هَرَكَةٍ

لَا شَيْءَ أَرْفَعُ فِي الذِّكْرِ مِنَ الْجُودِ

إِنْ مُعَاوِيَةَ كَانَ يُدِيلُ ^(٢) بَيْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَمَرْوَانَ ابْنِ الْحَكَمِ فِي وِلَايَةِ الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا دَخَلَ سَعِيدٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ مَرْوَانَ . قَالَ : تَرَكْتُهُ مُنْقِذاً لِأَمْرِكَ مُصْلِحاً لِعَمَلِكَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّهُ كَصَاحِبِ الْخُبْرَةِ كَفَى إِنْضَاجَهَا ^(٣) فَأَكَلَهَا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ مِنْ قَوْمٍ لَا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَا حَصَدُوا ، وَلَا يَخْصِدُونَ إِلَّا مَا زَرَعُوا . قَالَ فَمَا الَّذِي بَاعَدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . قَالَ خِفْتُهُ عَلَى شَرَفِي وَخَافَنِي عَلَى مِثْلِهِ . قَالَ : فَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَهُ عِنْدَكَ . قَالَ : أَسْوَأُ حَاضِرٍ وَأَسْرَهُ غَائِبٍ . قَالَ : يَا أَبَا عُتْمَانَ تَرَ كُنْتَ فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ . قَالَ : حَمَلْتُ الْقَتْلَ وَكُفَيْتُ الْحَزَمَ ^(٤) . قَالَ : فَمَا أَبْطَأَ بِكَ . قَالَ : غَنَاؤُكَ عَنِّي ، وَكُنْتُ قَرِيباً لَوْ دَعَوْتُ لِأَجْنَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُ لِأَطْنَتِكَ . قَالَ : ذَلِكَ ظَنُّنَا

(١) التمرارة العدل الكبير (٢) أي يتدع الولاية من أحدهما ويعطيها

الآخر على التداول (٣) أي جعله كافياً (٤) أي كان حزمك كافياً لك ومنغنياً عن ساعدة وبرك

بِكَ . فَأَقْبَلَ مُعَاوِيَةُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ
هَؤُلَاءِ قَوْمِي وَهَذَا كَلَامُهُمْ . ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ مَالِكَ فَقَدْ
نُبِّئْتُ أَنَّكَ تَتَحَرَّى ^(١) فِيهِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا مَالٌ
يَخْرُجُ لَنَا مِنْهُ فَضْلٌ . فَإِذَا كَانَ مَا خَرَجَ قَلِيلًا أَنْتَفَقَاهُ عَلَى قَلْبِهِ ،
وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا فَكَذَلِكَ . غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَذْخِرُ مِنْهُ شَيْئًا عَنْ
مُسِيرٍ وَلَا طَالِبٍ وَلَا مُخْتَلٍ ^(٢) ، وَلَا نَسْتَأْذِنُ مِنْهُ بِفِلَذَةٍ ^(٣) لَحْمٍ
وَلَا مِزْعَةٍ ^(٤) شَحْمٍ . قَالَ : فَكَمْ يَدُومُ لَكَ هَذَا . قَالَ : مِنْ
السَّنَةِ نَصَفَهَا . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُ فِي بَاقِيهَا . قَالَ : نَجِدُ مَنْ يَسْلُقُنَا ^(٥)
وَيُسَارِعُ إِلَى مُعَامَلَتِنَا . قَالَ : مَا أَحَدٌ أَحْوَجُ إِلَى أَنْ يُصْلَحَ مِنْ
شَأْنِهِ مِنْكَ . قَالَ : إِنْ شَأْنُنَا لَصَالِحٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَوْ
زِدْتَنِي فِي مَا لِي مِثْلَهُ مَا كُنْتُ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ . فَأَمَرَ لَهُ
مُعَاوِيَةُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : اشْتَرِ بِهَا ضَيْعَةً تُعِينُكَ عَلَى
مُرُوءَتِكَ . فَقَالَ سَعِيدٌ . بَلْ أَشْتَرِي بِهَا حَمْدًا وَذِكْرًا بَاقِيًا . أَطْعِمُ
بِهَا الْجَانِعَ ، وَأَزْوَاجُهَا الْيَتَامَى ^(٦) ، وَأَفْكَتُ بِهَا الْعَالِيَيْنَ ^(٧) ، وَأَوَاسِي
بِهَا الصَّدِيقَ ، وَأَصْلِحُ بِهَا حَالَ الْجَارِ . فَلَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَعِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا فَضِيلَةُ بَعْدِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَرْقَعَ

(١) تطلب ما هو احرى واولى (٢) محتاج (٣) قطعة (٤) قطعة

(٥) يقرضنا (٦) الایم من لا زوج لها (٧) الایم

فِي الدِّخْرِ وَلَا أَنْبَهَ^(١) فِي الشَّرَفِ مِنَ الْجُودِ

الْعَوْرُ مِنْ شَيْمِ الْكِرَامِ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : اسْتَأْذَنْتُ بَكَّارَةَ الْهَلَالِيَّةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي
سُفْيَانَ . فَأَذِنَ لَهَا وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَكَانَتْ قَدْ
أَسَتْ وَعَشَا^(٢) بَصْرَهَا وَضَمَّتْ قُوَّتَهَا . فَسَلَّمَتْ وَجَلَسَتْ فَرَدَّ
عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ السَّلَامَ وَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَا خَالَةَ . فَقَالَتْ بِخَيْرٍ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : غَيْرُكَ الْدَّهْرُ . قَالَتْ كَذَلِكَ هُوَ ذُو غَيْرٍ
مَنْ عَاشَ كَبِيرٌ ، وَمَنْ مَاتَ قَدِيدٌ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَصَلِ : هِيَ وَاللَّهِ
الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

يَا زَيْدُ دُونَكَ فَأَحْضِرْ مِنْ دَارِنَا

سَيْفًا حُسَامًا فِي التُّرَابِ دَفِينَا

قَدْ كُنْتُ أَذْخِرُهُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ^(٣)

فَالْيَوْمَ أَنْزَلَهُ الزَّمَانُ مَصُونَا

وَقَالَ رَرْوَانُ : هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

أَتُرَى ابْنَ هِنْدٍ لِلْخِلَافَةِ مَا لِكَأَ هِمَمَاتِ ذَلِكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ

(١) اشرف واشهر (٢) عشا الرجل اذا ساء بصره بالليل والنهار او ابصر

بالنهار ولم يبصر بالليل (٣) حرب

مَتَّكَ نَفْسَكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالَةً^(١) أَغْرَاكَ عَمْرُو لِشَقَا وَسَعِيدُ
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمَاصِ : هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ :

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى
فَوْقَ الْمَنَائِرِ مِنْ أُمَيَّةٍ خَاطِبًا
فَاللَّهِ أَخْرَ مُدَّتِي فَتَطَاوَلَتْ

حَتَّى رَأَيْتُ مِنْ الزَّمَانِ عَجَابًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَا يَدَالُ خَطِيبُهُمْ

بَيْنَ الْجَمِيعِ لَالِ أَحْمَدَ عَابَا
ثُمَّ سَكَّتُوا فَقَالَتْ : يَا مُعَاوِيَةُ كَلَامُكَ أَعَشَى بَصْرِي وَقَصَّرَ
حُجَّتِي ، أَنَا وَاللَّهِ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا وَمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ . فَضَحِكَ
مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : لَيْسَ يَمْنَعُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرِّكَ . قَالَتْ حَسْبِيَ عَفْوُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَحِلْمُهُ . وَأَنْصَرَفَتْ تَنْشُرُ أَلْوِيَةَ أَحْمَدَ وَتُطْلِقُ
أَلْسِنَةَ الشُّكْرِ

إِمْرَأَةٌ أَشَدَّ مِنَ الْأَبْطَالِ جِرَاءَةً

حَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو النَّسَائِيُّ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي
جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ يَمُنُّونَ بِكَانَ يَسْمُرُ^(٢) مَعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ : بَيْنَمَا مُعَاوِيَةُ

(١) أي جعلت الضلالة من أمانيك (٢) يتحدث ليلاً

ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَ عَمْرِو وَسَّيْدٍ وَعُتْبَةَ وَالْوَلِيدِ إِذْ ذَكَرُوا الزَّرْقَاءَ .
 ابْنَةُ عَدِيِّ بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيَّةُ . وَكَانَتْ قَدْ شَهِدَتْ مَعَ قَوْمِهَا
 وَقَائِعَ صِفَيْنَ . فَقَالُوا : إِنَّهَا كَانَتْ تَقِفُ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُسْمِعُ
 أَصْحَابَ عَلِيٍّ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَةً لَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ بِقَوْلِ
 لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُ ، وَالْمَذِيرُ لَا قَبْلَ ، وَالنَّسَائِمُ لَعَارِبُ ،
 وَالْفَارُّ لَكَرْ ، وَالْمُتَزَلُّ لَا سَمَرٌ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ
 كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ
 فِي أَمْرِهَا . فَقَالُوا نَشِيرُ عَلَيْكَ بِقَتْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلٌ لِذَلِكَ . فَقَالَ
 لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : يَا سَ مَا أَشَرْتُمْ بِهِ ، وَقُبْحًا لِمَا قُلْتُمْ . أَيُحْسِنُ بِمِثْلِي
 أَنْ يُتَحَدَّثَ عَنْهُ أَنَّهُ قَتَلَ أَمْرَأَةً بَعْدَ مَا نَفَرَ بِهَا . فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ
 بِأَلْكُوفَةِ أَنْ يُوفِدَهَا ^(١) إِلَيْهِ مَعَ ثِقَةٍ مِنْ ذَوِي مَحَارِبِهَا وَفُرْسَانِ
 مِنْ قَوْمِهَا . وَأَنْ يُهْدَى لَهَا وَطَاءٌ ^(٢) لِنَا ، وَمَرْكَبًا ذُلُولًا ، وَيُوسَعَ
 لَهَا فِي الثَّقَةِ . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا .
 فَقَالَتْ : إِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَعَلَ الْخِيَارَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا آتِيهِ ،
 وَإِنْ كَانَ قَدْ حَتَمَ فَالطَّاعَةُ أَوْلَى . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ ^(٣) وَجَعَلَ غِشَاءَهُ
 خَزًّا مُبَصًّا ، وَأَحْسَنَ جَهَازَهَا ^(٤) عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى

(١) يرسلا (٢) رداء حذات النطاء (٣) الهودج مركب للنساء

مستندوب مقب (٤) حاربا راجع إلى

مُءَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِيمَةٍ وَافِدُ .
 كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ . قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ
 لَكَ النِّعْمَةَ . قَالَ : كَيْفَ كُنْتُ فِي مَسِيرِكَ . قَالَتْ : رَيْبَةً ^(١)
 بَيْنَتْ أَوْ طِفْلًا مُمَهَّدًا . قَالَ بِذَلِكَ أَمَرْنَاهُمْ . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ
 إِلَيْكَ . قَالَتْ : أَنِّي لِي يَعْلَمُ الْقَيْبُ . قَالَ : أَلَسْتُ الزَّاكِبَةَ
 أَلْجَلَّ الْأَحْمَرُ يَوْمَ صَقِينٍ ، وَالْوَاقِصَةُ بَيْنَ الصُّفُوفِ تَحْضِيضٌ عَلَى
 الْقِتَالِ وَتَوْقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ . فَأَحْمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ مَاتَ الرَّأْسُ وَبُتِرَ " الذَّنْبُ " ، وَلَمْ يَعُدَّ مَا ذَهَبَ . وَالْدَّهْرُ
 ذُو غَيْرٍ وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ لَهَا
 مُءَاوِيَةُ : صَدَقْتَ فَهَلْ تَحْضِيضِينَ كَلَامَكَ يَوْمَئِذٍ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ .
 قَالَ لَكِنِّي أَحْفَظُهُ فَلَقَدْ كُنْتُ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ ارْزَعُوا وَارْزَعُوا
 إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَتْكُمْ جَلَابِيبُ الظُّلَمِ وَجَارَتْ ^(٢) بِكُمْ
 عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ ^(٣) . فَيَا لَهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ صَمَاءُ بَكَاءُ لَا تَسْمَعُ لِنَاعِقِ
 وَلَا تَنْسَاقُ لِقَائِدِ . إِنَّ الْبُصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَإِنْ
 الْكَوَاكِبُ لَا تُبِيرُ مَعَ الْقَمَرِ ، وَإِنْ الْبَنَلُ لَا يَسْبِقُ الْقَرَسَ ، وَلَا
 يَقْطَعُ الْحَدِيدُ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مَنْ اسْتَرْشَدَنَا أَرْشَدَنَا ، وَمَنْ سَأَلَنَا

(١) مؤنث ريب وهو المرتب (٢) انقطع (٣) مالت وحالت

(٤) المحجة جادة الطريق أي . عظمه ووسطه

أَخْبَرَنَاهُ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلُبُ ضَائِقَةً فَأَصَابَهَا . فَصَبَرَ
يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى النُّصَصِ فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ انْتَامَ شَمْلُ
الشَّاتِ ، وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ الْمَدْلِ ، وَغَلَبَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ . فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبَطْلُ ، فَالْزَّالَ الْزَّالَ وَالصَّيْرَ الصَّيْرَ . أَلَا
وإنْ خِضَابُ النِّسَاءِ الْخِثَاءُ ، وَخِضَابُ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ ، وَالصَّيْرُ
خَيْرُ الْأُمُورِ عَاقِبَةٌ . إِيْتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِصِينَ وَلَا مُتَشَاكِكِينَ ^(١)
ثُمَّ قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ يَا زُرْقَاهُ لَقَدْ شَارَكْتُ عَلَيْكَ فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ .
فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَادَتِكَ وَأَدَامَ سَلَامَتِكَ فِيمَنَّا مَنْ يُبَشِّرُ
بِخَيْرٍ وَيُسِرُّ جَلِيسَةً . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْقَدْ سَرَكِ ذَلِكَ . قَالَتْ :
نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ وَأَتَى لِي بِتَصْدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ .
وَاللَّهِ لَوْ فَأَوْكَيْتُ لَهُ بَدَنَ مَوْتِهِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ حِكْمِهِ لَهُ فِي حَيَاتِهِ .
فَإِذْ كَرِي حُرَانِجِكَ تَقْضُ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : آَلَيْتُ عَلَى
نَفْسِي أَلَا أَسْأَلُ أَحَدًا بَدَنَ عَائِي حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلَيَّ
بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِمَنَّا . فَقَالَتْ : نَوْمٌ مِنَ الْأُسَيْرِ ، وَلَوْ
أَطْلَعْتُهُ لَسَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَمُوقُ عَنْكَ وَنُحْسِنُ إِلَيْكَ وَنَزْعَاكِ .
فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : كَرُمُ مِنْكَ وَمِنْكَ مَنْ قَدَّرَ فَعْمًا ، وَتَجَاوَزَ
عَمَّنْ أَسَاءَ ، وَأَعْطَى عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، وَجَادَ عَنْ غَيْرِ طَلْبَةٍ . قَالَ :

صَدَقَتْ وَأَمَرَهَا وَلِلَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا بِجَوَارِثَ وَكِسَاءٍ وَدَرَاهِمَ
وَأَقْطَعًا ضَيْعَةً^(١) تُنْقَلُ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ.
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً، وَكَتَبَ إِلَى وَائِي الْكُوفَةِ بِأَلَوْصِيٍّ
بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

حُكِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي
صَفْرَةَ وَعَدَّ بِهِ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ، فَتَوَصَّلَ يَزِيدُ بِحُسْنِ
تَلَطُّفِهِ إِلَى أَسْجَالَةِ السَّجَّانِ وَسَوَّلَ لَهُ الْفِرَارَ فَهَرَبَ مَعًا وَقَصِدَا الشَّامَ
إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدَ
ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ إِلَى سُلَيْمَانَ أَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ
وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ أَنَّ يَزِيدَ هَرَبَ
مِنَ السَّجْنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ
إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنِّي مَا أَجَزْتُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ إِلَّا لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ مِنْ

صَنَائِنَا^(١) قَدِيمًا وَحَدِيثًا. وَلَمْ أُجِرْ عَدُوًّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَكَانَ
 الْحَجَاجُ قَدْ قَصَدَهُ وَعَذَّبَهُ وَأَغْرَمَهُ^(٢) أَرْبَعَةَ آلَافِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ظُلْمًا.
 ثُمَّ طَالَبَهُ بِعَدَايَتِ ثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. وَقَدْ صَارَ إِلَيَّ
 وَاسْتَجَارَ بِي فَأَجَرْتُهُ. وَأَنَا أَغْرَمْتُ عَنْهُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ آلَافِ أَلْفٍ
 دِرْهَمٍ. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يُخْزِيَنِي فِي صَنْفِي فَلْيَفْعَلْ.
 فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ: أَنْ لَا بُدَّ
 أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مَقْلُوبًا مُقِيدًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ
 أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَصَدَّهُ وَدَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُكَلَّبِ فَصَدَّهُ. ثُمَّ شَدَّ
 قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَلَّمَا جَمِيعًا بِغُلَيْنٍ^(٣) وَأَرْسَلَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ
 إِلَيْكَ يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا:
 فَإِنْ هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَيَا لَلهِ عَلَيْكَ أَبَدًا بِأَيُّوبَ
 مِنْ قَبْلِهِ ثُمَّ أَجْمَلَ يَزِيدَ ثَانِيًا وَأَجْعَلَنِي إِذَا شِئْتُ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ.
 فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُكَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ فِي
 سَأْسَاءٍ وَاحِدَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ اسْتِحْيَاءً وَقَالَ: لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي
 أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ. فَأَخَذَ يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَخْتَجُّ لِنَفْسِهِ.

(١) جمع صنيفة تقول هذا صنيفتي ذا ربيته وخرجته واختصصته بالصنع الجميل

(٢) ي لومه ماد . ٣٠ متى - ل رد ر طوق من حديد يجعل في العنق او اليد

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ إِلَى كَلَامٍ فَقَدْ قِيلَا عُذْرُكَ ، وَعَلِمْنَا
 حُلْمَ الصَّجَّاجِ . ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَحْضَرَ حَدَّادًا فَأَزَالَ عَنْهُمَا الْحَدِيدَ ، وَوَصَلَ
 الْوَلِيدُ أَيُّوبَ بْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ
 الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ . وَكَتَبَ كِتَابًا
 إِلَى الصَّجَّاجِ يَقُولُ لَهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَأَيَّاكَ
 أَنْ تُمَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
 وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَرْفَعَ الْمَنَازِلِ

بِسَبِّ السَّيِّئَةِ وَنِعْمَ الْعَفْوُ

قَالَ الرَّبِيعُ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَرْبَطَ جَأَشًا ^(١) وَأَثَبَتْ جَنَانًا
 وَأَظْهَرَ حُجَّةً مِنْ رَجُلٍ سُمِّيَ بِهِ إِلَى الْمَنْصُورِ أَنْ عِنْدَهُ وَدَائِعَ
 وَأَمْوَالًا لِبَنِي أُمَيَّةَ . فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ فَأَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ
 الْمَنْصُورُ : قَدْ رَفَعَ إِلَيْنَا أَنْ عِنْدَكَ وَدَائِعَ وَأَمْوَالًا وَسِلَاحًا لِبَنِي
 أُمَيَّةَ فَأَحْضِرْهَا إِلَيْنَا وَلَا تَكُنْ مِنْهَا شَيْئًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 أَنْتَ وَارِثُ بَنِي أُمَيَّةَ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَوَصِيُّ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ
 وَرِبَاعِيهِمْ ^(٢) . قَالَ : لَا . قَالَ فَلِمَ تَسْأَلُ إِذَا عَمَّا فِي يَدَيَّ مِنْ ذَلِكَ .
 قَالَ فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ وَتَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : إِنْ بَنِي

(١) ربط جأشه إذا اشتد قلبه والجلش اضطراب القلب عند الفزع

(٢) جمع ربع بمعنى الدار والمثل

أَمِيَّةَ ظَلَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِيهَا وَأَنَا وَكُلُّ الْمُسْلِمِينَ فِي حُكُومِهِمْ
وَأُرِيدُ أَنْ آخُذَ مَا ظَلَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِيهِ فَأَجْمَلَهُ فِي بَيْتِ أَمْوَالِهِمْ .
قَالَ الرَّجُلُ : يَخْتِاجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِقَامَةِ بَيْتِهِ عَادِلَةً كَشَهْدِ
أَنْ أَمَالِ الَّذِي لِبَنِي أَمِيَّةَ هُوَ الَّذِي فِي يَدَيَّ ، وَأَنْتَ هُوَ الَّذِي
غَضَبَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ أَنَّ بَنِي أَمِيَّةَ
قَدْ كَانَتْ لَهُمْ أَمْوَالٌ لَا تَنْفُسُهُمْ غَيْرُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ :
فَاطْرَقَ الْمَنْصُورُ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا رَبِّيعُ مَا أَرَى
الشَّيْخَ إِلَّا قَدْ صَدَقَ . فَمَا يَجِبُ لَنَا عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَا يَسْتَأْذِنُ إِلَّا أَنْ
نَعْمُو عَمَّا قِيلَ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ مَا هِيَ . قَالَ : أَنْ تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَمَى بِي إِلَيْكَ .
فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا لِبَنِي أَمِيَّةَ عِنْدِي مَالٌ وَلَا سِلَاحٌ ،
وَلَكِنِّي لَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَلِمْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْعَدْلِ
وَالْإِنصَافِ وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَاجْتِنَابِ الْمَظَالِمِ فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْكَلَامَ
الَّذِي صَدَرَ مِنِّي هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْخَلَاصِ وَالنَّجَاةِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ :
يَا رَبِّيعُ أَجْمَعُ بَيْتَهُ وَبَيْنَ مَنْ سَمَى بِهِ . فَجَمَعْتُ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا رَأَاهُ
قَالَ : هَذَا عَلَامِي أَخْتَلِسَ لِي ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِينَارٍ مِنْ مَالِي وَأَبْقِ^(١)
مِنِّي وَخَافَ مِنْ طَلْبِي لَهُ فَسَعَى بِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :

(١) ابقى العبد ذمعب بلا خوف ولا كد عمل

فَشَدَّ النَّصُورُ عَلَى النَّلَامِ وَخَوْفُهُ فَأَقْرَبَ بَأْنُهُ غَلَامُهُ وَأَنَّهُ أَخَذَ
 أَمَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ ، وَسَعَى بِهِ كَذِباً عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي
 يَدِهِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : قَدْ وَهَبْتُهَا لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَقَوْتُ عَنْهُ
 وَأَعْتَقْتُهُ وَوَهَبْتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ أُخْرَى أَدْفَعُهَا إِلَيْهِ لِأَجْلِ وَفُورِي
 بَيْنَ يَدَيْكَ وَحُضُورِي مَجْلِسِكَ . فَقَالَ لَهُ النَّصُورُ : مَا عَلَى مَا
 فَعَلْتَ مِنْ تَزْيِيدٍ . قَالَ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَقَلِيلٌ
 فِي مُقَابَلَةِ كَلَامِكَ لِي وَعَفْوِكَ عَنِّي . فَاسْتَحْسَنَ النَّصُورُ كَلَامَهُ
 وَأَكْرَمَهُ وَرَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ مُعَزَّزاً . وَكَانَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ
 مِثْلَ هَذَا الشَّيْخِ قَطُّ ، وَلَا أَثْبَتَ مِنْ جَنَانِهِ ، وَلَا أَوْسَعَ مِنْ
 حِلْيِهِ ، وَلَا مَنْ حَجَّنِي مِثْلَهُ

مُرُوءَةٌ نَادِرَةٌ وَوَفَاءٌ عَجِيبٌ

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَانَ كَانَ قَدْ جَعَلَ لَهُ يَوْمَيْنِ : يَوْمَ بُوسٍ ، مِنْ
 صَادَقَةٍ فِيهِ قَتْلُهُ وَأَزْدَاهُ ، وَيَوْمَ نَعْمٍ ^(١) مِنْ لَقِيَةِ فِيهِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ
 وَأَغْنَاهُ . وَاتَّفَقَ أَنْ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ اللَّسَائِيَّ قَدْ رَمَاهُ حَدِيثُ
 دَهْرِهِ بِسَهَامٍ فَاقَتْهُ وَقَتَرِهِ ، فَأَخْرَجَتْهُ الْفَاقَةُ مِنْ مَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ
 لِيَرْتَادَ ^(٢) شَيْئًا لِبَصِيَّتِهِ وَصِفَارِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ صَادَقَهُ

الْتَعْمَانُ فِي يَوْمِ بُوْسِهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الطَّائِي عِلِمَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ وَأَنَّ دَمَهُ
مَطْلُولٌ ^(١) فَقَالَ حَيَّا اللَّهُ الْمَلِكُ إِنَّ بِي صِبْيَةً صَغَارًا وَأَهْلًا جِيَاعًا .
وَقَدْ أَرَقْتُ مَاءً وَجْهِي فِي الْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَلْعَةِ ^(٢) لَهُمْ .
وَقَدْ أَقْدَمَنِي سُوءَ الْحَظِّ عَلَى الْمَلِكِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْبُوسِ .
وَقَدْ قَرُبْتُ مِنْ مَعَرِ الصِّبْيَةِ وَالْأَهْلِ وَهُمْ عَلَى شَفَا ^(٣) تَلَفٍ ^(٤) مِنْ
الطَّوَى ^(٥) وَلَكِنْ يَتَمَوَّتُ ^(٦) الْحَالُ فِي قَتْلِي بَيْنَ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ . فَإِنْ
رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَوْصَلَ إِلَيْهِمْ هَذَا الْقُوتَ وَأُوصِيَ
بِهِمْ أَهْلَ الرُّوَّةِ مِنَ الْحَيِّ لئَلَّا يَهْلِكُوا ضِيَاعًا . ثُمَّ أَعُوذُ إِلَى
الْمَلِكِ وَأَسْلِمَ نَفْسِي إِنْغَازٍ ^(٧) أَمْرِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ التَّعْمَانُ صُورَةَ
مَقَالِهِ وَفَهُمْ حَقِيقَةَ حَالِهِ وَرَأَى تَلَهُفَهُ عَلَى ضِيَاعِ أَطْفَالِهِ رَقَّ لَهُ
وَرَتَّى لِحَالِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : لَا آذَنُ لَكَ حَتَّى يَضْمَنَكَ رَجُلٌ مَعَنَا
فَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ قَتْلَنَاهُ . وَكَانَ شَرِيكَ بْنُ عَدِيٍّ نَدِيمُ التَّعْمَانِ مَعَهُ
فَأَلْتَفَتْ إِلَى شَرِيكَ وَقَالَ لَهُ :

يَا شَرِيكَ بْنَ عَدِيٍّ مَا مِنْ أَمُوتٍ أَنْهَزَامَ
مَنْ لِأَطْفَالِهِ ضِعَافٍ عَدِمُوا طَعْمَ الطَّعَامِ
بَيْنَ جُوعٍ وَانْتِظَارٍ وَأَقْفَامٍ وَسَقَامِ

(١) مہدور ورمباح (٢) انبعاث ما يكتفي به من العيش (٣) طرف

(٤) تلاف (٥) هلاك (٦) الجوع (٧) يختلف (٨) تهنأ

يَا أَخَا كُلِّ كَرِيمٍ أَنْتَ مِنْ قَوْمِ كِرَامٍ
يَا أَخَا النُّعْمَانِ جُدِّي بِضَانٍ وَالنِّزَامِ
وَلَكَ اللَّهُ بِأَنِّي رَاجِعٌ قَبْلَ الظَّلَامِ

فَقَالَ شَرِيكَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ ، عَلَيَّ ضَمَانُهُ . فَمَرَّ الطَّائِي مُسْرِعًا وَصَادَ النُّعْمَانُ يَقُولُ لَشَرِيكَ : إِنَّ صَدَرَ النَّهَارِ قَدْ وَلَّى وَلَمْ يَدُجِ الرَّجُلُ . وَشَرِيكَ يَقُولُ : لَيْسَ لِلْمَلِكِ عَلَيَّ سَبِيلٌ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسَاءَ . فَلَمَّا قَرُبَ الْمَسَاءُ قَالَ النُّعْمَانُ لَشَرِيكَ : قَدْ جَاءَ وَقْتُكَ ثُمَّ فَتَاهَبَ لِلْقَتْلِ . فَقَالَ شَرِيكَ : هَذَا شَخْصٌ قَدْ لَاحَ مُقْبِلًا وَأَرَجُو أَنْ يَكُونَ الطَّائِي . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَأَمْرُ الْمَلِكِ مُنْتَهَلٌ . قَالَ فَيَنِمَّا هُمْ كَذَلِكَ وَإِذَا بِالطَّائِي قَدْ أَشْتَدَّ عَدُوُّهُ فِي سَبِيلِهِ مُسْرِعًا حَتَّى وَصَلَ فَقَالَ : خَشِيتُ أَنْ يَنْقُضِيَ النَّهَارُ قَبْلَ وُصُولِي . ثُمَّ وَقَفَ قَائِمًا وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مُرْ بِأَمْرِكَ . فَأَطْرَقَ النُّعْمَانُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْكُمْ . أَمَا أَنْتَ يَا طَائِي فَأَتَرَكْتَ لِأَحَدٍ فِي الْوَفَاءِ مَقَامًا يَقُومُ فِيهِ ، وَلَا ذَاكِرًا يَفْتَخِرُ بِهِ . وَأَمَا أَنْتَ يَا شَرِيكَ فَأَتَرَكْتَ لِكَرِيمٍ سَمَاحَةً يُذَكِّرُ بِهَا فِي الْكُرَمَاءِ فَلَا أَكُونُ أَنَا أَلَا أَلَا أَلَا أَلَا أَلَا . أَلَا وَإِنِّي قَدْ رَفَعْتُ يَوْمَ بُؤْسِي عَنِ النَّاسِ وَنَقَضْتُ عَادَتِي كِرَامَةً لَوْفَاءِ الطَّائِي وَكَرَمَ نَرِيكَ . فَقَالَ الطَّائِي :

وَلَقَدْ دَعَانِي لِلْخِلَافِ عَشِيرَتِي قَدَدْتُ قَوْلَهُمْ مِنَ الْإِضْلَالِ
إِنِّي أَمْرُهُ مِنِّي الْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَقَالَ ^(١) كُلُّ مُهَذَّبٍ مِفْضَالٍ
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الْوَفَاءِ وَفِيهِ إِتْلَافُ نَفْسِكَ .
فَقَالَ : دِينِي . فَمَنْ لَا وَفَاءَ فِيهِ لَا دِينَ لَهُ . فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ
وَوَصَلَهُ بِمَا أَغْنَاهُ ، وَأَعَادَهُ إِلَى أَهْلِهِ مُكْرَمًا ، وَأَتَا لَهُ مَا تَمَنَاهُ

البري ، لَا يَهَابُ

رَفَعَ إِلَى هُرُونِ الرَّشِيدِ أَنْ يَدِمَشْقَ رَجُلًا مِنْ بَقَايَا بَنِي أُمَيَّةَ
عَظِيمِ الْمَالِ عَرِيضِ الْأَجَامِ رَفِيعِ الْمَكَانَةِ فِي قَوْمِهِ ، مُطَاعًا فِي
بَلَدِهِ ، لَهُ جَمَاعَةٌ وَأَوْلَادٌ وَتَمَالِيكُ يَزْكِبُونَ الْخَيْلَ وَيَحْمِلُونَ
السِّلَاحَ وَيَمِزُّونَ الرُّومَ . وَأَنَّهُ سَمَحَ جَوَادٌ كَثِيرُ الْبَذْلِ وَالضِّيَافَةِ
حَتَّى يُخْشَى عَلَى الْمُلْكَةِ مِنْهُ . وَكَانَ الرَّشِيدُ يَوْمُئِذٍ بِالْكُوفَةِ فَمَظَمَ
الْأَمْرُ عَلَيْهِ فَاسْتَدْعَى خَادِمًا لَهُ يُسَمَّى مَنَارَةَ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي
دَعَوْتُكَ لِأَمْرٍ يَهْتَنِي وَقَدْ مَنَعَنِي النَّوْمُ فَانْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُ . ثُمَّ
قَصَّ عَلَيْهِ خَبَرَ الْأُمَوِيِّ وَقَالَ : أَزْكِبُ السَّاعَةَ إِلَى دِمَشْقَ وَخُذْ
مَعَكَ مَائَةَ غِلَامٍ وَأَتْنِي بِذَلِكَ الْأُمَوِيِّ . وَهَذَا كِتَابِي إِلَى نَائِبِ
دِمَشْقَ ، وَهَذِهِ قِيودُ مَا بَدَأُ بِالرُّجُلِ فَإِنْ سَمِعَ وَأَطَاعَ فَقَبِّضْهُ

وَجِئْنِي بِهِ ، وَإِنْ عَصَى فَأَحْفِظْ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ لَسْنَا يَهْرُبُ
وَأَنْفِذِ الْكِتَابَ إِلَى أَمِيرِ دِمَشْقَ لِيَكُونَ مُسَاعِدًا لَكَ وَأَقِصْنَا عَلَيْهِ
وَجِئْنِي بِهِ بَعْدَ أَنْ تَتَفَقَّدَ دَارَهُ وَجَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ
وَعِزَائِنِهِ ، وَتُخَصِّيَ جَمِيعَ مَا تَرَاهُ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ حَرْفًا بِحَرْفٍ مُنْذُ
يَقَعُ طَرْفُكَ عَلَيْهِ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ يَشُدَّ عَنْكَ شَيْءٌ مِنْ
أَمْرِهِ ، وَهَذَا مَحْمَلُ تَجَمُّلِ الرَّجُلِ فِي شِقَّةٍ مِنْهُ إِذَا قِيدَتْهُ وَتَقَعْدُ
أَنْتَ فِي الشِّمَّةِ الْأُخْرَى ، وَلَا تَكِلْ حِفْظَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَجِئْنِي
بِهِ . وَقَدْ أَجَلْتُكَ لِدَهَابِكَ سِتًّا وَلِإِيَّاكَ سِتًّا وَيَوْمًا لِمَقَامِكَ فَيَكُونُ
مَوْعِدُ عَوْدَتِكَ بِهِ إِلَيَّ بَعْدَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ خُرُوجِكَ . سِرْ
بِى بَرَكَةَ اللَّهِ . قَالَ مَنَارَةٌ : فَوَدَّعْتُهُ وَخَرَجْتُ أَطُورِي الْمُنَازِلَ
لَيْلًا وَنَهَارًا لَا أَزِلُ إِلَّا لِلصَّلَاةِ أَوْ لِلضَّاءِ حَاجَةً حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى
دِمَشْقَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ السَّامِيَةِ وَأَبْوَابُ الْبَلَدِ مُثْقَلَةٌ . فَكَرِهْتُ
خُرُوجَ لَيْلًا نَمِيتُ بِطَائِفَةِ الْبَلَدِ إِلَى أَنْ فُتِحَ بَابُهَا مِنْ غَدٍ . فَدَخَلْتُ
بِئْسَ آتِيتُ بَابَ أَرْجَرِ الْأُمُورِ فَإِذَا هِيَ دَارُ عَظِيمَةٍ تَدُلُّ عَلَى
تَعَالُفٍ وَهَيْبَةٍ وَافِرَةٍ . وَفِي الْبَابِ خَدَمٌ وَحَشَمٌ وَحَاشِيَةٌ
كَثِيرَةٌ . فَجَمَعْتُ عَلَى الدَّارِ بَغِيرِ إِذْنٍ . فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ ذَلِكَ
سَأَلُوا بَعْضَ مَنْ مَعِيَ عَنِّي فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ هَذَا مَنَارَةٌ رَسُولُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صَاحِبِكُمْ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي صَحْنِ الدَّارِ رَأَيْتُ فِيهِ

أَقْوَامًا جُلُوسًا فَظَنَّتْ أَنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ . فَقَامُوا وَرَحَّبُوا بِي
فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيُّكُمْ فُلَانٌ . قَالُوا : لَا ، نَحْنُ أَوْلَادُهُ وَهُوَ فِي
الْحَمَامِ . قُلْتُ اسْتَعِجِلُوهُ . فَمَضَى بَعْضُهُمْ يَسْتَعِجِلُهُ وَأَنَا أَتَفَقَّدُ
الدَّارَ وَأَتَأَمِّلُ الْأَحْوَالَ وَالْحَاشِيَةَ فَوَجَدْتُهَا مَاجَتْ بِأَهْلِهَا . فَلَمْ
أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَقْبَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْحَمَامِ وَحَوَالِيهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ
مِنْ كُهُولٍ وَشُبَّانٍ وَحَقْدَةٍ وَغِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَسَأَلَنِي عَنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ بِعَاقِبَةِ فَحَمَّدَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ أُحْضِرْتُ لَهُ
أَطْبَاقَ الْفَلَكَاهَةِ فَقَالَ : تَقْدَّمْ يَا مَنَارَةُ كُلْ مَعَنَا فَقُلْتُ : مَا لِي إِلَى
ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ . فَلَمْ يُعَاوِذْنِي ، فَأَكَلْتُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ وَرَأَيْتُ مَا لَمْ
أَرَهُ إِلَّا فِي دَارِ الْخِلَافَةِ . ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَجَآؤُوا
إِلَيْهِ بِمَائِدَةٍ أُنِيقَةٍ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ . فَقَالَ : تَقْدَّمْ يَا مَنَارَةُ
فَكُلْ ، فَأَمْتَمْتُ عَلَيْهِ فَمَا عَاوَدَنِي فَأَخَذَ يَا كُلُّهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ
أَوْلَادِهِ . وَكَانُوا لَا يَزْفَعُونَ شَيْئًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَّا تَهَيَّأَ غَيْرُهُ
حَالًا أَعْظَمَ وَأَحْسَنُ مِنْهُ . وَكَانَ غِلْمَانُهُ عِنْدَ زُرُوعِي إِلَى الدَّارِ قَدْ
أَخَذُوا مِنْ مَعِي مِنَ الْغِلْمَانِ وَعَدَلُوا بِهِمْ إِلَى دَارِ أُخْرَى . فَمَا
أَطَاقُوا بُنَانَتَهُمْ ، وَبَقِيْتُ وَحْدِي وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيَّ إِلَّا خَسَّةٌ أَوْ
سِتَّةٌ غِلْمَانٍ وَتُوقِفُ عَلَى رَأْيِي . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ
فَإِنْ أَمْتَمَعَ مِنَ الشُّخُوصِ لَمْ أَطِقْ إِشْخَاصَهُ بِنَفْسِي وَلَا بِمَنْ مَعِي

إِلَّا أَنْ يَلْحَظَنِي أَمِيرُ الْبَلَدِ . وَجَزَعْتُ جَزَعًا شَدِيدًا وَرَأَيْتُ مِنْهُ
 اسْتِخْفَافَهُ وَتَهَاوُنَهُ بِأَمْرِي . يَدْعُونِي بِأَسْمِي وَلَا يُفَكِّرُ فِي أَمْتَائِي
 مِنْ الْأَكْلِ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا جِئْتُ بِهِ وَيَأْكُلُ مُطْمَئِنًّا . فَلَمَّا فَرَغَ
 مِنْ أَكْلِهِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ أَحْضَرَهُ الْبُخُورُ فَتَبَخَّرَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ
 وَأَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالْإِبْتِهَالِ . فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا
 أَقْدَمَكَ يَا مَنَارَةَ . فَأَخْرَجْتُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ
 فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ فَضَّهَ وَقَرَأَهُ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَائَتِهِ
 اسْتَدْعَى جَمِيعَ بَنِيهِ وَخَوَاصَّ أَصْحَابِهِ وَعِلْمَانَهُ وَسَائِرَ حَاشِيَتِهِ حَتَّى
 ضَاقَتْ بِهِمُ الدَّارُ عَلَى سَمْعَتِهَا ، فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُوقِعَ بِي
 فُطَارَ عَقْلِي . وَفِيمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا بِهِ قَدْ أَلْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ وَأَقْسَمَ
 عَلَيْهِمْ أَيْمَانًا مُعْلَظَةً ^(١) أَنْ لَا يَجْتَمِعَ اثْنَانِ مِنْهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ
 حَتَّى يَكْشِفَ لَهُمْ أَمْرًا يَتَعَدُّونَ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُضِيِّ إِلَيْهِ وَلَسْتُ أَقِيمُ بَعْدَ نَظَرِي فِيهِ سَاعَةً
 وَاحِدَةً . فَاسْتَوْصُوا ^(٢) بِمَنْ وَرَأَيْتُ مِنَ الْحَرِيمِ خَيْرًا . وَمَا لِي
 حَاجَةٌ أَنْ يَصْحَبَنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي وَقَدَّمَ رِجْلَيْهِ وَقَالَ :
 هَاتِ قِيُودَكَ يَا مَنَارَةَ . فَدَعَوْتُ بِهَا وَكَانَتْ فِي سَفْطٍ وَبَدَّ يَدُهُ

(١) عَلَّظَ عَلَيْهِ فِي الْيَمِينِ شَدَدَ عَلَيْهِ وَاكَّدَ (٢) اسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا قَبْلَ

فَقِيدَتْهُ وَأَمَرْتُ غُلَامِي بِحَبْلِهِ حَتَّى صَارَ فِي الْحَصْلِ " فَرَكِبْتُ
 فِي الشَّقِ الْأَخْرَ وَسَرْتُ مِنْ وَقْتِي وَلَمْ أَلْقَ أَمِيرَ الْبَلَدِ وَلَا
 غَيْرَهُ . وَسَرْتُ بِالرَّجُلِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ . قَدْ صِرْنَا فِي ظَاهِرِ
 دِمَشْقَ ابْتَدَأَ يُحَدِّثُنِي بِأَنْبِطَاطٍ إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْتَا إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنِ فِي
 الْغُوطَةِ فَقَالَ لِي : أَرَى هَذَا . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ : إِنَّهُ لِي وَفِيهِ مِنْ
 غَرَائِبِ الْأَشْجَارِ وَطَلَبِ الثَّمَارِ كَذَا وَكَذَا . ثُمَّ أَنْتَهَى إِلَى مَزَارِعَ
 حَسَانٍ مُخَصَّصَةٍ فَقَالَ : هَذِهِ الْمَزَارِعُ يَحْصَلُ لِي مِنْهَا كُلُّ سَنَةٍ كَذَا
 وَكَذَا . فَأَشْتَدُّ غَيْظِي مِنْهُ وَقُلْتُ : يَا هَذَا أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَهْمُهُ أَمْرُكَ حَتَّى أَنْفَذَنِي خَلْقَكَ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ يَنْتَظِرُكَ
 وَأَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِ مَا تَدْرِي مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُكَ . وَقَدْ أَخْرَجْتُكَ
 مِنْ مَنْزِلِكَ وَمِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَنِعْمَتِكَ وَحِيداً فَرِيداً مُقِيداً مَفْلُولاً
 وَأَنْتَ مَعَ هَذَا فَارِغٌ أَنْقَلَبَ سَاكِنُ الْبَالِ يُحَدِّثُنِي بِحَدِيثٍ لَا يَنْفَعُكَ
 وَلَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ . وَكَانَ شُفَاكَ بِنَفْسِكَ أَوْلَى بِكَ . فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِرَاسَتِي فِيكَ يَا مَتَارَةً . لَقَدْ ظَنَنْتُ
 أَنَّكَ مَا حَالَتْ عِنْدَ أَدْلِيْفَةِ هَذَا الْحَصْلِ إِلَّا لِرُفُودِ عَقْلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ
 جَاهِلٌ عَامِي لَا تَصْنَحُ لِمَخَاطَبَةِ الْخُلَفَاءِ . أَمَا قَوْلُكَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِزْعَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِ أَيُّهَا إِلَى بَابِهِ عَلَى مُوَرَّتِي هَذِهِ فَإِنِّي عَلَى ثِقَةٍ

مِنْ رَبِّي الَّذِي يَدِهِ نَاصِيَّتِي وَنَاصِيَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يَمْلِكُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْسِهِ تَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا بِشِئْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ
 كَانَ قَدْ قَضَى عَلَى اللَّهِ بِأَمْرٍ فَلَا حِيلَةَ لِي بِدَفْعِهِ وَلَا قُدْرَةَ لِي عَلَى
 مَنِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرَ عَلَى شَيْءٍ فَلَوْ اجْتَمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَسَائِرُ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَنْ يَضُرُّوَنِي لَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا
 بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا ذَنْبَ لِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخَافُهُ ،
 وَإِنَّمَا الْحَسَدَةُ وَالْأَعْدَاءُ رَمَوْنِي عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيَّ ، وَتَقَوُّلُوا عَلَى
 الْأَقَاوِيلِ . فَإِذَا أَطْلَعَ عَلَى بَرَاءَتِي فَهُوَ لَا يَسْتَحِلُّ مَضَرَّتِي وَلَا
 يَسْتَبِيحُ دَمِي ، بَلْ يَرُدُّنِي إِلَى بِلَادِي مُكْرَمًا مُبَجَّلًا . وَقَدْ كُنْتُ
 أَحْسِبُ أَنَّكَ تَعْرِفُ هَذَا فَإِذَنْ قَدْ عَرَفْتُ مَبْلَغَ فَهْمِكَ . فَإِنِّي
 لَا أَكَلِمَكَ بِكَلِمَةٍ حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى . ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِّي فَأَسَمِعْتُ مِنْهُ لَفْظَةً غَيْرَ اللَّسْبِيحِ أَوْ طَلَبِ
 سَاءِ أَرْحَاجَةٍ . مَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى شَارَفْنَا الْكُوفَةَ بُكْرَةَ الْيَوْمِ
 الثَّلَاثِ عَشَرَ . وَإِذَا الرُّسُلُ قَدْ اسْتَقْبَلَتْنَا مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 يَتَجَسَّسُونَ خَبْرِي فَلَمَّا رَأَوْنِي رَجَعُوا عَنِّي مُتَقَدِّمِينَ بِالْخَبَرِ إِلَى
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى بَابِهِ حَطَطْتُ رَحْلِي ثُمَّ دَخَلْتُ
 عَلَيْهِ وَقَبِلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَقَفْتُ . فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ
 يَا مَنَارَةَ أَخْبِرْنِي مِنْ يَوْمِ خُرُوجِكَ عَنِّي إِلَى يَوْمِ قُدُومِكَ عَلَيَّ .

فَابتَدَأَتْ أَحَدِيَّتُهُ بِأُمُورِي كُلِّهَا مُفَصَّلَةً وَالنَّصَبُ يَظْهَرُ فِي وَجْهِهِ .
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى فَرَاغِ الْأُمُورِي مِنَ الصَّلَاةِ وَالنِّفَاطَةِ إِلَيَّ وَسُؤَالِهِ
عَنْ سَبَبِ قُدُومِي وَدَفْعِي الْكِتَابَ إِلَيْهِ وَمُبَادَرَتِهِ إِلَى إِحْضَارِ وَلَدِهِ
وَعِلْمَانِهِ وَخَوَاصِهِ وَحَلْفِهِ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَيَّامَ الْمَعْلُومَةَ إِلَّا يَتَّبِعُهُ أَحَدٌ
مِنْهُمْ تَهْلِكُ وَجْهَهُ . فَلَمَّا ذُكِرَتْ أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلِيهِ لِنَقِيْدِهِ أَسْفَرَ وَجْهَهُ
وَأَسْتَبَشَرَ . فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِحَدِيثِي مَعَهُ فِي ضِيَاعِهِ وَبَسَائِيْتِهِ وَمَا قُلْتُ
لَهُ وَمَا قَالَ لِي . قَالَ صَدَقَ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ إِلَّا مَخْسُودٌ عَلَى
نِعْمَتِهِ وَمَكْذُوبٌ عَلَيْهِ . وَلَعَمْرِي أَقَدَّ أَرْعَجَاهُ وَرَعَبَاهُ وَشَوَّشَاهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ . أَخْرَجَ إِلَيْهِ وَأَتْرَعَ قِيُودَهُ وَأَدْخَلَهُ عَلَى
مُكْرَمٍ مَا فَضَّلْتُ . فَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَاهُ حَتَّى رَأَيْتُ مَاءَ الْحَيَاءِ يَجُولُ فِي
وَجْهِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ نَا الْأُمُورِيَّ وَسَامَ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْهِ
الرَّشِيدُ رَدًّا جَمِيلًا وَرَحَبَ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ ،
وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَتَكَلَّمَ الْأُمُورِيُّ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ .
فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : بَلَقْنَا عَنْكَ أُمُورًا أَحْيَيْنَا مَعَهَا أَنْ نَرَكَ
وَنَسْمَعَ كَلَامَكَ وَنُحْسِنَ إِلَيْكَ فَأَذْكُرُ حَاجَاتَكَ . فَقَالَ : لَيْسَ لِي
عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا حَاجَةٌ وَاحِدَةٌ . فَقَالَ : مَقْضِيَةٌ نَأْ هِيَ . قَالَ :
سُرْعَةُ إِرْجَاعِي إِيَّاهُ بِأَيْدِي رَجْعُ شَيْءٍ بِأَهْلِي وَوُلْدِي . قَالَ : تَقْلُ
ذَلِكَ ، وَابْنُ سَأَلَهُ تَضَاجُّ إِلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ جَاهِكَ وَمَعَاشِكَ .

فَإِنْ مِثْلَكَ لَا يَخْلُو أَنْ يَخْتَجَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا . قَالَ : عَدْلُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَمَالِهِ مَا أَحْوَجُنِي إِلَى سُؤَالٍ . فَأَمُورِي مُسْتَبِيحَةٌ
 وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَلَدِي فَإِنَّهُمْ عَلَى أَتَمِّ الْأَمْنِ وَالِدَعَةِ فِي ظِلِّ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَخَلَعَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ وَقَالَ لَهُ : قُمْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَوَدَائِهِ
 وَرِعَايَتِهِ ، وَلَا تَقْطَعْ أَخْبَارَكَ عَنَّا وَاسْكُتْ إِنَّمَا بَأْمُرٍ إِنْ عَرَضَ
 لَكَ . فَشَكَرَ لَهُ الْأُمُويُّ أَجْمَلَ شُكْرٍ وَدَعَا لَهُ وَوَدَعَهُ وَخَرَجَ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ لِخَادِمِهِ : يَا مَنَارَةُ أَرْكَبِ السَّاعَةَ مَعَهُ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى
 الْمَكَانِ الَّذِي أَخَذْتَهُ مِنْهُ . قَالَ مَنَارَةُ : فَأَزِلْتُ مَعَهُ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى
 مَحَلِّهِ قَرَّحَ بِهِ أَهْلَهُ أَشَدَّ الْقَرَحِ ثُمَّ أَعْطَانِي عَطَاءً جَزِيلًا
 فَوَدَعْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ

مَا أَحْتَمِلُ الْوَفَاءَ

رَوَى خَادِمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونُ قَالَ : طَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 لَيْلَةً وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ ثُلَاثَةٌ فَقَالَ لِي : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ شَيْخًا يَحْضُرُ
 لَيْلًا إِلَى آثَارِ دُورِ الْبَرَامِكَةِ وَيُنْشِدُ شِعْرًا وَيَذْكُرُهُمْ ذِكْرًا جَمِيلًا ،
 وَيُنْشِدُهُمْ وَيَبْكِي عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَنْصَرَفُ . فَأَمَضْتُ الْآنَ أَنْتَ وَعَلِيُّ
 ابْنُ مُحَمَّدٍ وَدِينَارُ الْخَادِمِ حَتَّى تَرُدُّوا تِلْكَ الْغَرَابَ فَإِذَا وَرَدْتُمُوهَا
 اسْتَبْرُوا خَلْفَ بَعْضِ الْجُدْرَانِ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّيْخَ قَدْ جَاءَ وَبَكَى
 وَنَدَبَ وَأَنْشَدَ شَيْئًا فَأَتَوْنِي بِهِ . قَالَ فَأَخَذْتُهُمَا وَمَضَيْتَا حَتَّى أَتَيْنَا

الْخَرَائِبَ فَإِذَا نَحْنُ بِسَلَامٍ قَدْ أَتَى وَمَعَهُ بِسَاطٌ وَكُرْسِيٌّ، وَإِذَا
 شَيْخٌ قَدْ أَقْبَلَ وَلَهُ جَمَالٌ وَعَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَوَقَارٌ وَلُطْفٌ فَجَلَسَ عَلَى
 الْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَتَجَبَّبُ وَيَقُولُ :
 وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ جَنْدَلٌ (١) جَعْفَرًا

وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
 بَكَتْ عَلَى الدُّنْيَا وَزَادَ تَأْسِفِي

عَلَيْهِمْ وَقُلْتُ الْآنَ لَا تَنْفَعُ الدُّنْيَا
 مَعَ أَيْتَانِ أَطْلَمَا وَرَدَّدَهَا . فَلَمَّا فَرَّغَ قَبَضَنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ :
 أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَفَرَعَ فَرَعًا شَدِيدًا وَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى
 أُورِثَ بِوَصِيَّةٍ فَإِنِّي لَا أُوقِنُ بَمَدَّهَا بِحَيَاةٍ . ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ
 الدَّكَائِنِ فَاسْتَفْتَحَ (٢) وَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا وَصِيَّةً وَدَفَعَهَا إِلَى
 عَلَامِهِ . ثُمَّ سَرَّهَا بِهِ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَجَرَهُ وَقَالَ
 لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَإِمَاذَا اسْتَوْجَبْتَ الْبَرَامِكَةَ مِنْكَ مَا تَفْعَلُهُ فِي
 خَرَائِبِ دُورِهِمْ وَمَا تَقُولُهُ فِيهَا . فَقَالَ الشَّيْخُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنَّ الْبَرَامِكَةَ عِنْدِي أَيَادِي خَطِيرَةٍ أَفْتَأَذْنُ لِي أَنْ أُحْدِثَكَ بِحَالِي
 مَعَهُمْ . قَالَ : قُلْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا الْمُنْذِرُ بْنُ الْمُنِيرَةِ
 مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ ، وَقَدْ زَالَتْ عَنِّي نِعْمَتِي كَمَا تَرَوُلُ عَنِ الرِّجَالِ .

فَلَمَّا رَكِبْنِي الدِّينُ وَأَحْتَجْتُ إِلَى يَنْعِ مَسْقَطِ رَأْيِي وَرُؤُوسِ أَهْلِي
أَشَارُوا عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَرَامِكَةِ. فَخَرَجْتُ مِنْ دِمَشْقَ وَمَعِيَ
ثَلَاثُونَ رَجُلًا وَنِيفَ مِنْ أَهْلِي وَوُلْدِي وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يُبَاعُ وَلَا مَا
يُوهَبُ حَتَّى دَخَلْنَا بَغْدَادَ وَتَرَكْنَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ . فَدَعَوْتُ بِثِيَابِي
لِي كُنْتُ قَدْ أَعَدَدْتُهَا لِاسْتِنِحِهَا النَّاسَ فَلَبِسْتُهَا وَخَرَجْتُ وَتَرَكْتُهُمْ
جِياعًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُمْ وَدَخَلْتُ سُورَ عَ بَغْدَادَ أَسْأَلُ عَنْ دُورِ
الْبَرَامِكَةِ . فَإِذَا أَنَا بِمَسْجِدٍ مُزَخْرَفٍ وَفِيهِ مِئَةُ شَيْخٍ بِأَحْسَنِ زِيٍّ
وَزِينَةٍ ، وَعَلَى أَلْبَابِ خَادِمَانِ وَفِي الْجَامِعِ جَمَاعَةٌ جُلُوسٌ . فَطِيفْتُ
فِي الْقَوْمِ وَوَلَجْتُ الْمَسْجِدَ وَجَلَسْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَلْعَرَقُ يَسِيلُ
مِنْهُ لَا نَهْأُ لَمْ تَكُنْ صِنَاعَتِي . وَإِذَا بِخَادِمٍ قَدْ أَقْبَلَ فَدَعَا الْقَوْمَ
فَقَامُوا وَأَنَا مَعَهُمْ . فَدَخَلُوا دَارَ بِيحَيِّ بْنِ خَالِدٍ وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا
بِيحَيِّ جَالِسٌ عَلَى دَكَّةٍ ^(١) لَهُ فِي وَسْطِ بُسْتَانٍ . فَسَلَّمْنَا وَهُوَ يُعَدُّنَا
مِئَةً وَوَاحِدًا وَيَبِينُ يَدَيْهِ عَشْرَةً مِنْ وَلَدِهِ . وَإِذَا بِنُلَامٍ أَمْرَدٍ قَدْ
أَقْبَلَ مِنْ بَعْضِ الْمَقَاصِيرِ ^(٢) بَيْنَ يَدَيْهِ مِئَةُ خَادِمٍ مُسْتَطَقُونَ ، فِي
وَسْطِ كُلِّ خَادِمٍ مِنْطَقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ يَقْرُبُ وَرَنْهَا مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ ،
وَمَعَ كُلِّ خَادِمٍ مِجْمَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِي كُلِّ مِجْمَرَةٍ قِطْعَةٌ مِنْ

(١) بناء . سطح اعلاه للجلوس عليه (٢) جمع المتصورة وهي الدار

عُودِ كَهَيْتَةِ الْفَهْرِ^(١) قَدْ قُرْنَ بِهَا مِثْلَهَا مِنْ الْعَتَبِ السُّلْطَانِي . ثُمَّ
خَرَجَ إِلَيْنَا مِائَةٌ وَأَتْنَا عَشَرَ خَادِمًا ، مَعَ كُلِّ خَادِمٍ صَبِيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ
عَلَيْهَا أَلْفُ دِينَارٍ . فَوَضَعُوا بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهَا صَبِيَّةً .
فَرَأَيْتُ الْقَاضِيَّ وَالْمُشَافِخَ يَصُبُّونَ الدَّنَائِرَ فِي أَكْبَاسِهِمْ وَيَجْلِسُونَ
الصُّوَارِي تَحْتَ أَبَاطِهِمْ وَيَقُومُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ حَتَّى يَبْقِيَ وَحْدِي
بَيْنَ يَدَيَّ يَحْيَى لَا أَجْسُرُ عَلَى اخْتِذِ الصَّبِيَّةِ . فَعَمَزَنِي الْخَادِمُ
فَجَسَرْتُ وَأَخَذْتُهَا وَجَمَلْتُ الذَّهَبَ فِي كَيْمِي وَأَخَذْتُ الصَّبِيَّةَ فِي
يَدَيَّ وَقَفْتُ وَجَمَلْتُ أَتَلَقْتُ إِلَى وَرَائِي مَخَافَةً أَنْ أَمْنَعَ مِنَ الذَّهَابِ
بِهَا . فَتَيْمًا أَنَا كَذَلِكَ وَيَحْيَى يَلْحَظُنِي إِذْ قَالَ لِلْخَادِمِ : إِيْتَنِي بِذَلِكَ
الرَّجُلِ فَرَدِدْتُ إِلَيْهِ . فَأَمَرَ بِصَبِّ الدَّنَائِرِ مِنْ كَيْمِي وَأَخَذْتُ الصَّبِيَّةَ
مِنْ يَدَيَّ . ثُمَّ أَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ . فَقَالَ لِي : يَمُنُّ الرَّجُلُ
فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي . فَقَالَ لِلْخَادِمِ : إِيْتِنِي بِوَلَدِي مُوسَى فَأَتَاهُ
بِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ هَذَا رَجُلٌ غَرِيبٌ فَخُذْهُ إِلَيْكَ وَاحْفَظْهُ
بِنَفْسِكَ وَأَعْمُرْهُ بِنِعْمَتِكَ . فَخَبَّضَ مُوسَى عَلَى يَدَيَّ وَأَدْخَلَنِي إِلَى
دَارٍ مِنْ دُورِهِ وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ يَوْمِي وَلَيَاتِي
فِي الدِّعْشِ وَأَتَمَّ سُرُورٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا بِأَخِيهِ أَلْبَاسٍ فَقَالَ لَهُ
إِنَّ الْوَزِيرَ قَدْ أَمَرَنِي بِالْمَطْفِ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَقَدْ عَلِمْتُ أَشْتِغَالِي

(١) حجر بتدرجاً ، يدنو به الجزر أو يعلو به الكف

فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَقْبَضَهُ إِلَيْكَ وَأَكْرَمَهُ : فَقَالَ ذَلِكَ
 وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنَ الْقَدْرِ تَسْلَمَنِي أَخُوهُ أَحَدُ
 ثُمَّ لَمْ أَزَلْ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ يَتَدَاوَلُونِي عَشْرَةَ أَيَّامٍ لَا أَعْرِفُ
 خَبَرَ عِيَالِي وَصَبِيَّائِي أَوْ فِي الْأَمْوَاتِ هُمْ أَمْ فِي الْأَحْيَاءِ . فَلَمَّا
 كَانَ الْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ جَاءَنِي خَادِمٌ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَدَمِ
 فَقَالُوا لِي : ثُمَّ فَأَخْرَجُ إِلَى عِيَالِكَ بِسَلَامٍ . فَقُلْتُ : وَنِيْلَهُ
 سُلِبْتُ الدَّنَانِيرَ وَالصَّيِّئَةَ وَأَخْرَجُ إِلَى عِيَالِي عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ .
 إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . فَرَفَعَ السِّتْرَ الْأَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ
 الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ . فَلَمَّا رَفَعَ الْخَادِمُ السِّتْرَ الْأَخِيرَ قَالَ لِي : مَهْمَا
 كَانَ لَكَ مِنَ الْحَاجَاتِ فَأَرْفَعْهَا إِلَيَّ فَإِنِّي مَأْمُورٌ بِقَضَاءِ جَمِيعِ
 مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَلَمَّا رَفَعَ السِّتْرَ الْأَخِيرَ رَأَيْتُ حُجْرَةً كَالشُّنْسِرِ
 حُسْنًا وَنُورًا وَاسْتَقْبَلَنِي مِنْهَا رَاحَةُ الدُّدِّ وَالْعُودِ وَنَفْحَاتُ الْمِسْكِ .
 وَإِذَا بِصَبِيَّائِي وَعِيَالِي يَتَقَلَّبُونَ فِي الْحَرِيرِ وَالْدِيْبَاجِ . وَحَلَّ إِلَيَّ
 أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَعَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَمَشُورٌ بِضِيعَتَيْنِ ،
 وَتِلْكَ الصَّيِّئَةُ الَّتِي كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّنَانِيرِ .
 وَأَقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْبَرَامِكَةِ فِي دُورِهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
 سَنَةً لَا يَعْلَمُ النَّاسُ أَمِنَ الْبَرَامِكَةِ أَنَا أَمْ رَجُلٌ غَرِيبٌ أَصْطَفَاؤُنِي
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَلِيَّةُ وَزَلَّ بِهِمْ مِنَ الرَّشِيدِ مَا زَلَّ أَجْحَفَ يِي عَمَرُو

ابْنُ مُسْعِدَةَ وَأَرْزَمَنِي فِي هَاتَيْنِ الضَّيْعَتَيْنِ مِنَ الْخَرَجِ مَا لَا يَنِي
دَخَلَهُمَا بِهِ . فَلَمَّا تَحَامَلَ عَلِيٌّ الدَّهْرُ كُنْتُ فِي أَوَاخِرِ اللَّيْلِ أَقْصِدُ
خَرَائِبَ دُورِهِمْ فَأَنْدُبُهُمْ وَأَذْكُرُ حُسْنَ صَنِيعِهِمْ إِلَيَّ وَأَشْكُرُهُمْ
عَلَى إِحْسَانِهِمْ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : عَلِيٌّ يَغْمُرُ بَنِي مُسْعِدَةَ . فَلَمَّا أَتَى
بِهِ قَالَ لَهُ : يَا غَمْرُو أَتَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ بَعْضُ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ . قَالَ : كَمْ أَرْزَمْتَهُ فِي
صَنِيعَتِهِ . قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ لَهُ : رُدُّ إِلَيْهِ كُلَّ مَا اسْتَأْدَتُهُ ^(١)
مِنَ الْأَمْوَالِ فِي مَدَّتِهِ لِيَكُونَ لَهُ وَلِيْعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ . قَالَ : فَعَلَا
نَجِيبُ الرَّجُلِ وَبُكَاءُهُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ كَثْرَةَ بُكَائِهِ قَالَ لَهُ :
يَا هَذَا قَدْ أَحْسَنَّا إِلَيْكَ فَأَيُّ بُيُوتِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَهَذَا أَيْضًا مِنْ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ إِذْ لَوْ لَمْ آتِ خَرَائِبُهُمْ فَأَبْكِيَهُمْ
وَأَنْدُبُهُمْ حَتَّى أَتَّصَلَ خَبْرِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ بِي مَا فَعَلَ
مَنْ أَنْزَلَ كُنْتُ أَصِلُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونَةَ :
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَأْمُونَ وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ حُزْنُهُ وَقَالَ :
لَعَمْرِي هَذَا مِنْ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ . فَعَلَيْهِمْ فَأَبْكِي ، وَإِيَاهُمْ
فَأَشْكُرْ ، وَلَهُمْ فَأَوْفِرْ ، وَلِلْإِحْسَانِهِمْ فَأَذْكُرْ

الباب السادس

الشعر الوصفي والقصصي

﴿ بين الربيع والشعر ﴾

« من قصيدة لاحمد شوقي بك »

مرحباً بالربيع في ريمانه^(١) وبأنواره وطير زمانه
 زل السهل ضاحك البشر يمشي فيه مشي الأمير في بستانه
 عاد حلياً براحتيه ووشياً طول أنهاره وعرض جنايه
 لف في طيلسانه طرر الأرز ضرب فطاب الأديم من طيلسانه^(٢)
 ساحر فتنة العيون ممين فصل الماء في الرثي بجمانه
 عبقرئ الخيال زاد على الطيف وأرني عليه في ألوانه
 صبغة^(٣) الله أين منها رفايل ومناقشه وسحر بستانه
 رنم الروض جدولا ونسباً وتلا طير أبكه غصن بانه
 وشدت في الرثي الرياحين همساً كنتني الطروب في وجدانه

(١) ريمان كل شيء. اوله وافضله (٢) الطيلسان كساء مدرر اخضر
 لا اسفل له يللبه الخواص من العلماء والمشايع. والطرر جمع طرة وهي جانب
 الثوب الذي لا هذب له (٣) فطرة وخلقة

نَعَمْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ شَتَّى مِنْ مَعَانِي الرَّبِّيعِ أَوْ الْحَايَةِ
 أَنْ تَوَرُّدُ الرَّبِّيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ إِذَا مَا اسْتَوَى عَلَى أَفْئَانِهِ
 سَرْمَدُ الْحُسْنِ وَالْبَشَاشَةِ هَهُمَا تَلْتَمِسُهُ تَجِدُهُ فِي إِبَائِهِ^(١)
 حَسَنٌ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَجَالُ الْقَرِيضِ بَعْدَ أَوَانِهِ
 مَا كُتِبَ ظِلُّهُ عَلَى دُبُورَةِ الْخُلْدِ وَكُرْسِيُّهُ عَلَى خُلْجَانِهِ^(٢)
 أَمَرَ اللَّهُ بِالْحَقِيقَةِ وَالْحِكْمَةِ فَأَلْتَقَا عَلَى صَوْلَجَانِهِ
 لَمْ تَنْزِ أُمَّةٌ إِلَى الْحَقِّ إِلَّا يَهْدِي الشَّعْرُ أَوْ خَطَى شَيْطَانِهِ^(٣)
 لَيْسَ عَزْفُ النُّحَاسِ أَوْقَعَ مِنْهُ فِي شُجَاعِ الْفُؤَادِ أَوْ فِي جَبَانِهِ

...

كَانَ شِعْرِي الْفَنَاءَ فِي فَرَحِ الشَّرِّ ق وَكَانَ الْعَزَاءُ فِي أَحْزَانِهِ
 قَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يُؤَلِّفَنَا الْجُرْحُ وَأَنْ نَلْتَقِيَ عَلَى أَشْجَانِهِ
 كُلَّمَا أَنْ بِالْمِرَاقِ جَرِيحٌ لَمَسَ الشَّرْقَ جَنْبَهُ فِي عُمَانِهِ^(٤)
 وَعَيْنَانَا كَمَا عَلَيْكُمُ حَدِيدٌ تَنْزِي^(٥) اللَّيْثُ فِي قُضْبَانِهِ
 نَحْنُ فِي الْفِكْرِ بِالْدِّيَارِ سِوَاهُ كُنَّا مُشْفِقُونَ عَلَى أَوْطَانِهِ

وله من قصيدة يحتي فيها تمثال « النهضة » في مصر

وَيَوْمٍ ظَلِيلِ الضَّحَى مِنْ شَيْئِ
مَشَتْ مِصْرُ فِيهِ تُعِيدُ الْمُصُورَ
وَتَعْرِضُ فِي الْمَهْرَجَانِ الْعَظِيمِ
وَأَقْبَلَ «رَمِيس» جَلَّ الْجَلالِ
فَحَيًّا بِأَبْلَجٍ مِثْلِ الصَّبَاحِ
وَأَوْمًا إِلَى ظُلُمَاتِ الْقُرُونِ
لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَهْدَ الْفُنُونِ
تَعَالَوْا نَرَى كَيْفَ سَوَى الصَّفَاةِ
دَنْتُ مِنْ أَبِي الْهَوْلِ مَشَى الرُّومُ^(١)

إلى مَقْعِدِ هَاجٍ يَبْتَالِهَا
وَقَدْ جَابَ فِي سَكَرَاتِ الْكَرَى
وَأَلْقَى عَلَى الرَّمْلِ أَرْوَاقَهُ
وَأَرَسَى عَلَى الْأَرْضِ أَثْمَالَهَا
يُخَالُ لِإِطْرَاقِهِ فِي الرَّمَالِ
سَطِيحَ الْمُصُورِ وَرَمَّاءَ^(٢)

(١) بشن المكان الذي اقيم فيه تمثال النهضة . واقفا ارجع (٢) جماعاتها

(٣) يريد به ناحت التمثال (٤) تجمع قيصها (٥) اي ماشية . شي الرُّوم

(٦) سطيح اسم كاهن في اليمن كان يتكهن في الجاهلية . والرمال الذي له

معرفة بعلم الرمل

فَقَالَتْ تَحَرَّكَ فَهَمَّ الْجَمَادُ كَانُ الْجَمَادِ وَعَى قَالَهَا
 فَهَلْ سَكَبَتْ فِي تَجَالِيدِهِ شَمَاعَ الْحَيَاةِ وَسَيَّالَهَا ^(١)
 أَتَذْكُرُ إِذْ غَضِبْتَ كَاللَّبَاةِ وَلَمْتُ مِنَ الْفَيْلِ أَشْبَالَهَا
 وَأَلَقْتُ بِهِمْ فِي غِمَارِ الْخُطُوبِ فَخَاضُوا الْخُطُوبَ وَأَهْوَالَهَا
 وَتَارُوا فَجُنْ جُنُونُ الرِّيَّاحِ وَذَلَزَلَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
 وَمَنْ ذَا رَأَى غَابَةً كَافَحَتْ فَزِدْتُ مِنَ الْأَنْسَرِ رِثْبَالَهَا ^(٢)
 وَأَهْيَبُ مَا كَانَ بَأْسُ الشُّعُوبِ إِذَا سَلَحَ الْحَقُّ أَغْزَالَهَا ^(٣)

...

«فَوَادُ» أَرْفَعِ السِّتْرَ عَنْ نَهْضَةِ تَقَدَّمَ جَدُّكَ أَبْطَالَهَا
 وَرُبُّ أَمْرِي لَمْ تَلِدْهُ الْإِلَادُ نَمَّاهَا وَنَبَّهَ أَنْسَالَهَا ^(١)
 وَلَيْسَ إِلَّا لِي مُلْكُ الْبُحُورِ وَلَكِنَّهَا مُلْكُ مَنْ نَالَهَا
 وَمَا «كَمَلِي» وَلَا جِيلِي إِذَا عَرَضَتْ مِصْرُ أَجْيَالَهَا
 بَنَوْا دَوْلَةً مِنْ بَنَاتِ الْأَسْنَةِ لَمْ يَشْهَدْ النَّيْلُ أَمْثَالَهَا
 لَيْنَ جَلَلِ الْبَحْرِ أَسْطُولُهَا لَقَدْ لَيْسَ أَلْبَرُّ قِسْطَالَهَا ^(٢)
 فَأَمَّا أَبُوكَ فَذُنْيَا الْحَضَارِ لَوْ سَلَّمَ الدَّهْرُ أَقْبَالَهَا
 تَخَيَّرَ أَفْرِيْقِيَا فَاجَهُ وَرَكَّبَ فِي التَّاجِ صُومَالَهَا

(١) التجايد أجداد الإزدان أي جماعة شخصه وبدنه (٢) اسدها

(٣) الذين لا سلاح لهم (٤) اولادها (٥) القسطل غبار الحرب

رِكَابُكَ «يَا ابْنَ الْمُنِيرِ» الْغُبُوثُ
 إِذَا سِرْنَ فِي الْأَرْضِ نَسِينَهَا
 فَلَمْ تَبْرَحِ الْقَصْرَ إِلَّا شَفِيتَ
 لَقَدْ رَكِبَ اللَّهُ فِي سَاعِدَيْكَ
 تَخُطُّ وَتَبْنِي صُرُوحَ الْعُلُومِ
 وَيَفْضُلْنَ فِي الْخَيْرِ مِنْوَالَهَا
 رِكَابَ السَّمَاءِ وَأَفْصَالَهَا
 جُدُوبَ الْمُقُولِ وَأَمَحَالَهَا
 يَمِينَ الْجُدُودِ وَشِبَالَهَا^(١)
 وَتَفْتَحُ لِلشَّرْقِ أَقْفَالَهَا

زهرة بنفسج

«من قصيدة للدكتور نقولا فياض»

أَهْوَى الْبَنْسَجَ آيَةَ الزَّهْرِ
 وَأَحْبَهُ فِي الْأَرْضِ مُخْتَبِئًا
 وَلِكُلِّ عَذْرَاءٍ أَقْدِمُهُ
 لَكِنِ شَجَانِي مِنْهُ حَادِثُهُ
 هِيَ زَهْرَةٌ بِجَوَارِ سَاقِيَةٍ
 لَمْ تَذَرِ غَيْرَ الْمُسْبِ مُتَكَاً
 فَاسْتَيْقَظَتْ يَوْمًا كَأَنَّ يَهَا
 تَبْكِي جَوَى وَتَقُولُ مَا أَمْلِي
 حَسَنًا لَكِنِ لَا عُيُونَ تَرَى
 فِي الشَّكْلِ وَالْتَّصْوِيرِ وَالْإِطْرِ
 وَأَحْبَهُ فِي بَارِزِ الصَّدْرِ
 مَا دَامَ فِيهِ حَيَاؤُهُ الْمَذْرِي^(٢)
 أَجَرَتْ دُمُوعَ عَرَائِسِ الشَّعْرِ
 نَبَتَتْ وَعَاشَتْ عَيْشَةَ الطُّهْرِ
 وَسَوَى عِنَاقِ الْمَاءِ لَمْ تَذَرِ
 سُكْرًا وَقَدْ شَرِبَتْ نَدَى الْفَجْرِ
 لَوْ عِشْتُ خَالِدَةً يَدَا الْقَرْرِ
 حُسْنِي وَلَا مِنْ عَارِفٍ قَدْرِي

(١) الشيمال كالشمال (٢) أي الذي فيه عفاف

هَلَا صَعِدْتُ إِلَى ذُرَى جَبَلٍ
فَأَرَى الْجَدِيدَ مِنَ الْوُجُودِ وَمَا
وَأَشَارَفُ الدُّنْيَا وَأَجْعَلُهَا
وَبَدَلْتُ هَذَا الْكُوخَ بِالْقَصْرِ
تَحْوِي مَعَانِي الْكَوْنِ مِنْ مِسْخَرٍ
تَطْوِي مَنَاظِرَهَا عَلَى نَشْرِ

...

قَالَتْ وَقَامَ بِهَا الْهَوَى فَشَتَّ
وَالرَّيْحُ تَحْمِلُهَا وَتُقْعِدُهَا
حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ وَمَا ابْتَعَدَتْ
فَرَأَتْ بِسَاطِ الْعُشْبِ مُنْتَشِرًا
جَارَاتُهَا فِي الْحَيِّ نَائِمَةً
فَأَسْتَبَشَّرَتْ بِالْقَوْرِ وَأَنْطَلَقَتْ
وَحَلَا لَهَا السَّقَرُ الْبَعِيدُ وَمَا
الْأَرْضُ مُوَعِرَةٌ وَمُخْرِقَةٌ
وَرَفِيقُهَا هَوَجٌ^(١) الرِّيحُ وَقَدْ
تَرَبَّى بِهَا كُلُّ الْبِحَاتِ فَلَا
حَتَّى أَصَابَتْ مَحْضَبَةً^(٢) فَإِذَا
فِي الْقَفْرِ مِثْلَ ظَبَانِهِ الْقَفْرِ^(٣)
وَتَتَوَجُّعُ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْخَضْرِ
وَقَفَّتْ تُجِيلُ الْطَّرْفَ عَنْ كِبَرِ
تَلْوِي عَلَيْهِ مَمَاطِفُ^(٤) الْأَنْهَرِ
حُمْرًا عَلَى أَعْلَامِهَا الْخَضْرِ
تَمْدُو وَلَا تَلْوِي^(٥) عَلَى أَسْرِ
حَبَبَاتِ حِسَابِ الْحُلُورِ وَالْمَرْ
فَكَأَنَّهَا تَنْشِي عَلَى جَمْرِ
ثَارَتْ عَلَيْهَا ثَوْدَةُ الْقَدْرِ
تَرْتَاحُ مِنْ كَرٍّ إِلَى قَرٍّ
فِيهَا نَعِيمُ الْعَيْنِ وَالْفِكْرِ

(١) جمع الاعمر وهو من الطاء الابيض في علة (٢) جمع معطف وهو
الرداء او احوث (٣) تمدو تحوي ولوي تقعد وتميل (٤) الموج جمع الهوجاء
وهي ريح الشديدة امبوب (٥) لمضة حل منبسط

بِالزَّهْرِ كَالْأَفْلَاقِ بِالزَّهْرِ
 كَالْبَحْرِ فِي مَدَّةٍ وَفِي جَزَرٍ
 لَوْ كُنْتُ أَبْلُغُ مَوْطِئَ النَّسْرِ
 تِلْكَ الْفُؤُومُ بِحَالِكَ السِّتْرِ
 وَأَفْضُ^(١) مِنْهُ غَامِضَ السِّرِّ
 أَهْوَائِهِ مَا قَاسَتْهُ لَوْ تَدْرِي
 فِي مَصْعَدِ الْأَشْوَاقِ وَأَوْعَرِ
 يَنْبِي^(٢) الْحَدِيدِ الصَّلْبِ بِالْكَسْرِ
 رَجَعَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا تَجْرِي
 جُحْدَ الْفُؤَى وَبَقِيَّةَ الصَّبْرِ
 فِي الْأَوْجِ^(٣) تَتَلَوُ آيَةَ الشُّكْرِ
 فِي الْأَوْجِ غَيْرَ جَلَامِدِ الصَّخْرِ
 أَبَدًا وَلَا أَثْرَ لِمُخْضَرٍ
 فِي الْجَوِّ تَرَارُ أَيْمًا زَارٍ
 مَا بَيْنَ نُصْفِ اللَّيْلِ وَالظُّهْرِ
 كَالطِّفْلِ مِنْ تَعَبٍ وَمِنْ دُعْرِ

مِنْ تَحْتِهَا الْجَنَاتُ مُشْرِقَةٌ
 وَالنَّاسُ وَالْأَشْيَاءُ مَانِجَةٌ
 قَالَتْ بَدَأْتُ أَرَى قَوَاطِرِي
 أَعْلُو إِلَى قَمَمِ تَحَجِّبِهَا
 فَأَرَى بَدِيعَ الْكَوْنِ تَحْتَ يَدِي
 يَا لِلْبَنَفْسَةِ الْجَبِيلَةِ مِنْ
 عَزِّ السَّبِيلِ إِلَى مَطَامِحِهَا^(٤)
 وَأَصَابَ أَرْجُلَهَا الضَّعِيفَةُ مَا
 قَتَاوَتْ نَدْمًا وَلَوْ قَدَرَتْ
 فَتَشَبَّتْ فِي الْأَرْضِ مُفْرَعَةً
 حَتَّى تَسْمَتِ الذَّرَى^(٥) وَغَدَتْ
 لِكِنِّهَا لَمْ تَلَقَ وَآ أَسْفِي
 لَا عُشْبَ يَنْبُتُ فِي جَوَائِبِهِ
 وَالنَّاصِفَاتُ كَأَنَّهَا أُسْدُ
 وَأَنْنِيمُ سَاوَى فِي تَلْبُدِهِ
 فَجَحَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَبَكَتْ

(١) أبريل (٢) مقاصدها ومطالبها (٣) يصيب (٤) تسنم علا.

والذرى جمع الذررة وهي من كل شيء اعلاه (٥) الاوج العلو

وَالْبَرْدُ أَفْسَدَ لَوْنَهَا كَمَدَا
فَأَصْفَرَ ذِيكَ الْجَيْنُ كَمَا
مِنْ قَهْرِهَا أَنْتَ وَقَدْ سُمِعْتَ
يَا لَيْتِي لَمْ أَصَبْ فَخَوْ عَلَى
ثُمَّ أَرْتَمْتُ ضُمْفًا وَأَخْرَسَهَا
وَتَصَلَّبَتْ أَعْصَابُهَا وَمَضَتْ
مِنْ كُلِّ مُزْدَقٍ وَمُحَرَّرٍ
ذَهَبَتْ نَصَارَةُ ذَلِكَ الْقَهْرِ
وَسَطَ الزَّوَابِعِ أَنَّهُ الْقَهْرِ
وَيَقِيتُ بَيْنَ عَرَائِسِ الزَّهْرِ
شَبَحَ بَدَا مِنْ جَانِبِ الْقَهْرِ
بِالْمَوْتِ هَاوِيَةً إِلَى الْقَهْرِ

مِسْكِينَةٌ قَدْ غَرَّهَا شَرَفُ
ظَنَنْتُ بِأَنَّهَا أَلَمَاءُ غِنَى
مَا كَانَ أَهْنَاءُهَا وَأَسْعَدَهَا
هُوَ كَالشَّرَابِ لِكُلِّ مُفْتَرٍ
فَإِذَا يَبُو قَهْرٌ عَلَى قَهْرِ
لَوْ لَمْ تُفَارِقْ صَفَّةً^(١) النَّهْرِ

ليالي الصيف في مصر

« من قصيدة لالاس فياض »

أَذَاعَ فِي مِصْرَ رَسُولُ الْإِبْرَةِ
أَنْ ذُكَا^(٢) غَرَقَتْ فِي الْبَحْرِ
فَطَاعَ الْبَدْرُ صُحُوكَ الثَّغْرِ
وَأَقْبَلَ التَّسِيمُ لُطْفًا يَسْرِي
وَصَفَّتْ فَوْزاً مِيَاهُ النَّهْرِ

(١) جانب (٢) ذكاء اسم شمس غير تصرف للعلمية والتأنيث

وَبَلَغَ الرِّيَاضَ ذَاكَ الْخَبَرَ فَأَهْتَرُ إِعْجَابًا وَمَاسَ^(١) الشَّجَرُ
وَأَبْتَهَجَ النَّوْذُ بِهَا وَالْفَرُّ وَالزُّهْرُ مِنْ قَوْقٍ إِلَيْهَا تَنْظُرُ
تَرَى خَيَالَ ذَاتِهَا فِي الزُّهْرِ

أَنْظُرُ قَيْنَا الدُّوْرُ وَالْقُصُورُ لَيْسَ بِهَا حِسٌّ وَلَا سُجُورُ
صَامِتَةٌ كَأَنَّهَا قُبُورُ قَدْ أَنْبَرَتْ بِأَهْلِهَا تَمُورُ^(٢)
وَأَنْفَرَجَتْ عُقْدَةُ ذَاكَ الْحَصْرِ

تَنْفَسَ الْحَيُّ وَمُنْذُ حِينَ كَانَ يُعَانِي غُصَصَ النَّوْنِ
مُنْطَرِحًا فِي ذَلِكَ الْأَثُونِ فَلَمْ يَكُنْ يَأْتِلُ مِنْ مُعِينِ
سِوَاكَ لِلْخَلَاصِ مِنْ ذَا الْأَنْسَرِ

يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ^(٣) الْجَمِيلُ الْأَسْوَدُ أَنْتَ لَنَا الْمَوْلَى وَنَحْنُ الْأَعْبُدُ
بَلْ أَنْتَ فِي مِصْرٍ إِلَهُ يُعْبَدُ قَبِيكَ طَابَتْ مُهْجٌ وَأَكْبَدُ
أَوْدَى بِهَا^(٤) لَوْلَاكَ صَيْفُ مِصْرٍ

لِأَجْلِ هَذَا قَدْ تَغْنَى الْمُنَشِدُ بِأَسْمِكَ كُلِّ سَاعَةٍ يُرَدِّدُ
يَا لَيْلُ كَيْتَ الصُّبْحِ لَيْسَ يُوَلَّدُ وَلَيْتَ كُلُّ أَيْضٍ يَا أَسْوَدُ
فَدَاهَا هَاتِيكَ أَلْتَأَيَا^(٥) الْفَرَّ

بَا حَبْدًا أَلَيْلُ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ وَحَبْدًا الْقُبُوقُ^(٦) فِيهِ وَالسَّحَرُ

(١) تآيل وتبختر (٢) تتحرك بسرعة (٣) يريد به الليل (٤) اهلكها

(٥) جمع الثنية وهي من الاضراس الاربعة التي في مقدم الفم (٦) ما يشرب بالعشي

رَكِبْنَاهُ كَأَنِّي عَلَى سَفَرٍ فِي لَيْلَةٍ مَا عَابَهَا غَيْرُ الْقِصْرِ
كَذَلِكَ الصَّفْوُ قَصِيرُ الْعُمُرِ

وَالرَّيْحُ تَسْرِي حَوْلَنَا بَلِيلًا تَبْلُ مِنْ صُدُورِنَا الْغَلِيلَا
كَأَنَّهَا آسٍ أَتَى عَلِيلَا وَقَدْ أَبْخَاهَا اللَّمَى ^(١) تَقِيلَا
فَمَا أَكْثَفَ بَلْ عَيْتَ ^(٢) بِالشَّعْرِ

وَالنَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَ غَزِيرَا تَهْزُنَا مَوْجَاتُهُ سُورَا
كَمَا تَهْزُ غَادَةُ سَرِيرَا قَدْ نَامَ فِيهِ طِفْلُهَا قَرِيرَا
فِي مَا مَنَ مِنْ عَادِيَاتٍ ^(٣) الْأَذْهَرِ

وَالْبَدْرُ تَلْقَى وَجْهَهُ فِي الْمَاءِ سَبَائِكًا مِنْ فِضَّةٍ بَيْنَاءِ
تَلْعُ إِذْ تَمُوجُ بِالْهَوَاءِ كَأَنَّهَا السُّيُوفُ فِي الْهَبَجَاءِ
مَا بَيْنَ كَرٍّ دَائِمًا وَفَرٍّ ^(٤)

وَالنَّخِيلُ مَنْظَرٌ رَهيبٌ تُرَاعُ فِي جَمَالِهِ الْقُلُوبُ
فَوْقَ الصِّفَافِ ظِلُّهَا رَهيبٌ صَفًا بِصَفٍ زَانَهَا التَّرْتِيبُ
مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَظِيمٍ الْقَدَرِ

تَحْسَبُهَا مَرَدَّةً طَوَالًا تَحْتَ مَظَلَّاتِ زَهَتْ جَمَالًا

(١) اللمى سمره في باطن الشفة . وابعاه الشيء جعله حلالاً له (٢) لعبت

(٣) مصائب (٤) كره الفارس فرّ للجولان ثم عاد للقتال . وفر اوسع الجولان

للانعطاف وفي الكلام استعارة

فِي الْبَيْلِ جَاءَتْ تَبْتِغِي اغْتِسَالًا سَحَرَهَا الْبَيْلُ فَلَنْ تَرَا
وَاقِعَةً هُنَا يَفْعَلُ السِّحْرُ

الملاحه الجويه

« من قصيدة للغوري بطرس البستاني »

فَتَحُوا السَّمَاءَ وَطَارَدُوا أَلْمِيقَانَا وَجَرَوْا عَلَى مَتْنِ الْهَوَا فُرْسَانَا
وَالْجَوُّ وَدَّعَ عِزَّهُ وَهَنَاءُهُ مُذْ صَبَّرُوهُ لِخَلِيلِهِمْ مِيدَانَا
وَالرَّيْحُ قَدْ سَلَسَتْ مَقَادِئُهَا لَهُمْ حَتَّى غَدَتْ مِثْلَ الذُّلُولِ (١) لِيَانَا
لِلَّهِ دَرْهُمْ إِذَا مَا أَطْلَقُوا لِلْمَرْكَبَاتِ السَّابِحَاتِ عَيْنَانَا (٢)
فَتَخَالُهَا عِنْدَ الْهَبُوطِ صَوَائِقَا وَإِذَا تَمَلَّتْ خِلْمَهَا يَبِزَانَا (٣)
تَحْكِي الطُّيُورَ بِشَكْلِهَا لِكِنْمَا أَمْضَى جَنَاحًا بَلْ أَشَدُّ جَنَانَا
لَوْ حَاوَلَ النَّسْرُ الْفَتَى لَحَاقَهَا لَأَرْتَدَّ خَوَارِ الْعُيُودِ عَيْنَانَا
أَوْلَسْتَ تَحْسَبُهَا وَقَدْ طَارَدُوا بِهَا كَأَلْبَرْقِ آنَا وَالسَّهَامِ أَوَانَا
أَمَّا جَنَاحَاهَا فَلَا تُطَوِّبُهَا حَتَّى يَكُونَا لِلْهَوَا مِيزَانَا
فَإِذَا ارْتَقَتْ قُبَّ السَّحَابِ وَحَلَقَتْ وَقَفَ الْقَمَابُ إِزَاءَهَا وَلَهَا نَا
مَا كَانَ أَبَدَعَ مَشْهُدًا عَايَنَتْهُ يَسِي الطُّلُوبَ وَيَفْتِنُ الْأَذْهَانَا

(١) الذلول الدابة السهلة الاتقياد (٢) الثمان سائر اللجام (٣) جمع باز

وهو نوع من الطير

شَاهَدْتُ (فِدْرِينَ) ^(١) الْجَرِيءَ حَلَقًا
 مِنْ فَوْقِ مَرْكَبَةٍ يُحَرِّكُهَا كَمَا
 لَمَّا دَنَا وَقْتُ الرِّجْلِ سَمِعْتُ مِنْ
 زَفَرَاتٍ مَضْدُورٍ تُصَدِّعُهُ النَّوَى
 حَتَّى إِذَا حَمَيْتُ مَرَايِلَهَا ^(٢) جَرَتْ
 قَالُوا بِسَاطِ الرِّيحِ وَهُمْ كَاذِبٌ
 كَالنَّسْرِ يَسْتَبِحُ فِي السَّمَاءِ جَذَلَانَا
 يَهْوَى فَتَخْضِقُ تَحْتَهُ خَفَقَانَا
 أَحْشَانِيهَا مَا يَبْمَثُ الْأَشْجَانَا
 فَتَشْبُ فِي أَضْلَاعِهِ نِيرَانَا
 كَالْأَيْثِ يَزَادُ فِي الْفَلَا غَضَبَانَا
 فَإِذَا بِهِمْ قَدْ شَاهَدُوهُ عِيَانَا

...

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ أَطْبَاقَ السَّمَاءِ
 مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّ مِضْمَارَ الْهَوَا
 فَأَلْأَرْضُ لَمْ تُشْبِعْ مَطَامِعَ أَهْلِهَا
 إِنْخِضْ جَنَاحَكَ أَيُّهَا النَّسْرُ الَّذِي
 قَدْ كُنْتَ تَرَعَمُ أَنَّ مُلْكَكَ خَالِدٌ
 فَإِذَا بِهِ وَالْمَرْكَبَاتُ سَوَابِجُ
 لَا تَأْخُذْنِكَ حَيْرَةٌ مِمَّا جَرَى
 أَيْنَ الْمُنْتَرَمِ الْأَنَامِ ذُنُوبُهُمْ
 مَا كُنْتَ تَخْشَى فِي حِمَاكَ مُزَاجَهَا
 سَتَعُمُّ فِي رَحَابَتِهَا ^(٣) سُكَّانَا
 سَيَصِيرُ يَوْمًا بِأَلْوَرَى غَضَانَا ^(٤)
 فَبَنُوا لَهُمْ فِي جَوْهِهِمْ أَوْطَانَا
 مَلِكُ الرِّقِيعِ بِبَاسِهِ أَرْمَانَا
 لَا يُعْرِزُ الْإِنْسَانُ فِيهِ مَكَانَا
 فِي الْجَوِّ تَحِلُّ فَوْقَهَا أَرْكَبَانَا
 نَأْلُهُ خَوْلَ آدَمَ السُّلْطَانَا
 نَحْرُقُوا السَّمَاءَ وَنَسْخَرُوا الْأَكْوَانَا
 حَتَّى رَأَيْتَ بِجَوْكَ الْإِنْسَانَا

(١) هو اول طيار حر في سما بيرت (٢) جمع الرجل وهو الفدر

(٣) ساداتها (٤) يتل من المثل . قرأنا . لا بهم وضاق عليهم

فَلَقَدْ مَضَتْ يَا نَسْرُ دَوْلَتِكَ الَّتِي هَدَمْتَ لَهَا أَيْدِي الْوَرَى الْأَزْكَانَا
وَمَضَى زَمَانُ كُنْتُ فِيهِ مُنَمَّاً تَطْوِي الرِّقِيعَ وَتَنْثِي نَشْوَانَا

...

يَا شَرْقُ مَا لَكَ خَامِلاً وَالْعَرَبُ فِي أَوْجِ النَّبَاهَةِ يَنْشُرُ الْعُمَرَانَا (١)
أَفَلَا تَرَاهُمْ يُخَدِّثُونَ غَرَابِئاً يَقِفُ اللَّيْبُ أَمَامَهَا حَيْرَانَا
مِنْ كُلِّ مُعْجَزَةٍ نَكَادُ نَعُدُّهَا سِحْرًا وَنَحْسَبُ رَبَّهَا شَيْطَانَا
لَا، لَيْسَ مِنْ سِحْرِ هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَلِدُ الْعُلُومُ الْمُعْجَزَ الْفَتَانَا
سَقِيّاً لِيَصْدُرَكَ يَا فِرْنَسَا إِنَّهُ يَسْتَعِي الصُّدُورَ مِنَ الْعُلُومِ لِبَانَا
أَيُّ اكْتِشَافٍ لَمْ تَكُونِي أُمُّهُ أَوْ لَمْ تَرِيدِي صُنْعَهُ إِتْقَانَا

احتراق سوق الشفقة في باريس

« من قصيدة للشيخ نجيب الحداد »

أَيُّ رُزْءٍ أَنْجَرَى الدُّمُوعَ دِمَاءَ وَأَذَابَ الْقُلُوبَ وَالْأَحْشَاءَ
وَأَسَالُ الْفُؤُوسَ حُزْناً وَأَذْغِي (٢) الصَّدْرَ نَاراً وَأَسْتَرْفُ (٣) أَلَيْنَ مَاءَ
أَيُّ خَطْبٍ أَصَابَ بَارِيسَ أُمَّ الْمَدَنِ بِنْتَ التَّمَذَنِ الزُّهْرَاءَ
فَجَعَتْ أَكْثَدَتْ ضَحَاها وَقَدْ خَصَّتْ بَيْنَهَا وَعَمَتْ الْفُرْبَاءَ

(١) الحامل الحتمي الذي ليس له ذكر . والنباهة الاشتهار وهي ضد الحمل

(٢) اوقد (٣) استترف الدمع استخرجه كله

لَيْسَ بَدْعٌ^(١) فِي خُطْبِ بَارِسَ أَنْ تَشْمَلَ^(٢) آثَارُ حُزْنِهِ الدُّنْيَا
 هِيَ قَلْبُ الدُّنْيَا أُصِيبَ بِسَهْمٍ فَأَصَابَتْ آلَامُهُ الْأَعْضَاءَ
 وَهِيَ أُمُّ الْأَدَابِ أَنْكَلَهَا الدَّهْرُ فَأَبْكَتْ بِوَجْدِهَا الْأَبْنَاءَ
 قَدْ دَهَاهَا مُصَابُ سَادُومَ^(٣) لَكِنْ خَصَّ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهَا الْأَبْرِيَاءَ
 فَهِيَ فِي الْحُزْنِ مِثْلُ رَاحِيلَ إِذْ تَبْكِي بَنِيهَا وَلَا تُرِيدُ عَزَاءَ
 أَذْكَتِ الْكَهْرِبَاءَ فِيهَا لَيْبَاءَ قَدْ كَرِهْنَا لِأَجْلِهِ الْكَهْرِبَاءَ
 وَدَمَاهَا نُورُ الضِّيَاءِ يَنَارِ أَظْلَمَتْهَا فَمَا تُلَاقِي الضِّيَاءَ
 فِي مَكَانٍ أَنْثِي لِدَفْعِ بِلَادٍ عَنْ قَهِيرٍ فَكَانَ^(٤) فِيهِ بِلَادُ
 سُوقٍ بِرِ تَبَاعُ فِيهَا اللَّهُي^(٥) يَسْمَا وَيُشْرَى الثَّوَابُ فِيهَا شِرَاءُ
 زَيْنَتَا بَيْضِ الْأَيْدِي وَأَيْدِي السَّيْبِضِ مِنْ مُخْسِنٍ وَمِنْ حَسَنَاءَ
 أَنْفُسُ تَبْتَنِي السَّمَاءَ فَمَا أَمْسَيْنَ إِلَّا وَقَدْ بَلَقْنَا السَّمَاءَ
 أَدْرَكْتَ مَا تَرُومُ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ^(٦) وَلَكِنْ كَانَ الطَّرِيقُ صَلَا^(٧)
 مَنْ رَأَى قَبْلَهَا جَحِيمًا يُؤَدِّي لِنَعِيمٍ أَبْنَاءَهُ الشُّهَدَاءَ
 أَوْ رَأَى مُخْسِنًا يَجُودُ عَلَى النَّاسِ فَيَلْقَى نَارَ الْحَرِيقِ جَزَاءَ
 أَتَرَى كَانَ ذَلِكَ مَطَهَّرَ مَنْ مَا تَوَاقَمُوا عَنْ الْأَنْفُسِ الْخَطَاءِ

(١) لا غريب ولا عجب (٢) تم (٣) أي كان النور في المكان بلاد

(٤) جمع اللهي وهي الطلية أو افضل الطايا واجزلها (٥) البقاء والدوام .

وجنة الخلد كناية عن الممات لبقاء اهلها فيها (٦) نارا

أَمْ هُوَ الدَّهْرُ لَا يَدَّالُ مُسِينًا لِكَرِيمٍ وَمُكْرِمًا مِّنْ أَسَاءٍ
يَا دُبُوعًا كَانَتْ مَمَاهِدَ إِحْسَانٍ وَحُسْنٍ فَأَصْبَحَتْ قُرَاءُ
وَدِيَارًا كَانَتْ مَنَازِلَ إِنَانَا سِدِّ فَأَصْبَحَتْ بِلَاقِمًا ^(١) وَخَلَاءُ
وَكِرَامًا كَانُوا مَنَازِلَ جُودٍ لِّفَقِيرٍ فَأَصْبَحُوا قُرَاءُ
أَسْرَاءُ نَادَى النَّدَى فَأَطَاعُوا أَمِيرًا لَهُمْ وَلَبَّوْا أَلِنَاءُ
وَحَسَانٌ قَدْ جُدْنَ بِرَأْسِ الْيَرِّ ثَوْبٌ يَزِيدُهُنَّ بَهَاءُ
سَاحَةِ تُثْبِتُ الْكَلَامَ وَالزُّأْفَةَ وَالْمَجْدَ وَالنَّدَى وَالْإِخَاءُ
فَيْسَاءُ يَهَا ثُبَارِي ^(٢) رِجَالًا وَرِجَالُ يَهَا ثُبَارِي النِّسَاءُ
أَوْجُهُ يُشْرِقُ السَّنَا مِنْ مُجَابَا هَا قَتَرْدَادُ بِالْجَبِيلِ سَنَاءُ
رُحْنٌ يَذْهَبُ بِالْيَاسِرِ قَا أَمْسَيْنَ إِلَّا كَوَالِيًا ^(٣) سَوْدَاءُ
رِيْمًا ^(٤) لَمْ تَدْعَ يَهَا أَلْدَادُ إِلَّا رَسَمَ جِسْمٍ وَأَعْظَمًا جَرْدَاءُ
كُنَّ نَاسًا فَصِرْنَ نَادَا فَأَصْبَحْنَ رَمَادًا يَهَا فَصِرْنَ هَبَاءُ
قَدْ كَفَتْ لَخْظَةً لِأَنَّ ثَقْلِبَ الْأَمْرِ وَأَنْ تَجْصَلَ النَّعِيمَ شَقَاءُ
فَاسْتَحَالَ أَلْهَاءُ بُوْسًا وَأَحْزَا نَا وَأَضْحَى ذَاكَ السُّرُورُ بُكَاءُ
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَضَى وَشَفَى الْجَرْحَ حَى وَعَزَّى أَلْبَا كَيْنَ وَالْتِغْسَاءُ

(١) جمع بلقع وهو ارض قفر لا شيء فيها (٢) من باراه اذا فعل مثل

فعله (٣) مجبسة (٤) جمع دمة وهي ما يلي من الظلام

شلال حماتا

بقلم بطرس البستاني صاحب جريدة «البيان»

هَلْ ذُرَّتَهُ وَالْحَرُّ تَلْفَحُ نَارُهُ فَرَأَيْتَ كَيْفَ تَوَمُّهُ زَوَارُهُ
 وَجَرَى التَّسِيمُ بِهِ فَبَرْدَ آبِهِ حَتَّى يُخَيِّلُ أَنَّهُ آذَارُهُ
 وَتَرَنَّتْ أَشْجَارُهُ وَتَضَوَّعَتْ أَزْهَارُهُ وَتَسَاجَلَتْ أَطْيَارُهُ
 وَأَلْفَتِ الْأَغْصَانُ مَائِلَةً كَمَا رَقَصَ الْخَلِيطُ كِبَارُهُ وَصَفَارُهُ
 لَيْسَ الْهَجِيرُ يَلُوحُ فِي أَيَّامِهِ أَيَّامُهُ آصَالُهُ أَسْحَارُهُ
 يَا حُسْنَهُ مُتَحَدِّراً مِنْ حَالِقٍ فَلَقِيَ الْجَوَانِبَ لَا يَفِرُّ قَرَارُهُ
 كَأَلَا فُؤَادٍ تَرَاهُ فِي مُنَاسِبِهِ فَوْقَ الْمُحْصَبِ رُصَّتْ أَحْجَارُهُ
 أَوْ كَالضَّبَابِ إِذَا الرِّيحُ أَثَرَتْهُ مُلْقَى عَلَى مَتْنِ الْفَضَاءِ دِنَارُهُ
 وَكَأَنَّهُ وَالشَّسْرُ فِي أَثْنَانِهِ ذَوْبُ اللَّجَيْنِ مِنَ النَّصَارِ نِثَارُهُ
 وَكَانَ تَوْقِيعَ الْيَمَاءِ عَلَى الْحَصَى نَعْمُ الْخُلُودِ تَوَحَّدَتْ أَوْتَارُهُ
 وَكَأَنَّمَا صَفْصَافُهُ بِحَيَاتِهِ كَلِفٌ يُحَازِرُ أَنْ تُرَى أَسْرَارُهُ
 وَكَانَ مَا نَسَ فَرَحُهُ مُهْمَتُكَ خَلَعَ الْبِذَارَ وَلَمْ يَخْطُ عِذَارُهُ^(١)
 أَوْ شَادِنٌ حَالِي الْمَاصِمِ غَانِصٌ فِي الْمَاءِ يَنْظُرُ أَنْ يَصَاعَ سَوَادُهُ

(١) الفرخ النسن. والمراد بجمع العذار الانهماك في الشيء. ويقال خط

الغلام إذا نبت عذاره وهو الشعر الذي يحاذي الاذن. وإستاد الفعل الى العذار

مع مرسل من باب تسمية الجزاء باسم الكل

وَكَاثَهُ وَالْمَاءُ يُعْرِى سَاقَهُ رَشَاءُ يُحِلُّ مِنَ الدِّعَابِ إِزَارَهُ
وَكَاثَمًا أَوْزَاقَهُ وَحَفِيفُهَا هَمَسَاتُ صَبٍّ مَا أَنْقَضَتْ أَوْطَارَهُ
يَا حَبْدًا الْوَادِي الطَّلِيلُ وَحَبْدًا يَوْمَ حَوَانِي لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ

دمعة على ربوع لبنان

« للشاعر نفسه »

حَتَّى مَتَى أَجْفَانِي السَّاهِرَةَ تَرَعَى الدُّجَى فِي لَيْلَةٍ كَافِرَةٍ
طَوِيلَةٍ لَيْسَ لَهَا آخِرُ مَوْصُولَةٍ الْأَطْرَافِ بِالْآخِرَةِ
أَبِيتُ فِيهَا لَا أَرَى زَائِرًا فِي وَحْدَتِي يُؤْنِسُ أَوْ زَائِرَةً
كَأَنِّي طَيْفٌ بِهَا طَائِفُ أَوْ فِكْرَةٌ شَارِدَةٌ طَارِزَةً
تَجْتَابُ لُبْنَانَ فَلَا قَمَّةُ تَرُدُّهَا خَاسِرَةٌ عَائِرَةً
وَتَمُتُّ أَلِيمٌ فَتَجْتَازُهُ كَأَنَّهَا بِأَخِرَةٍ مَآخِرَةٍ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ بِأَشْبَاحِهِ مَوَاكِبُ أُرْوَاحِهَا نَائِرَةً
كَأَنَّمَا النُّجُومُ عُيُونُ الدُّجَى تَجُولُ فِيهَا دَمْعَةٌ حَازِرَةً
كَأَنَّمَا الْبَدْرُ قَمَاءٌ بَدَتْ سَافِرَةٌ عَنْ وَجْهِ نَاصِرَةٍ
أَوْ زَوْرَقٌ مِنْ فِضَّةٍ عَائِمُ مُنْطَلِقٌ فِي أَبْحُرٍ ذَاخِرَةٍ
كَأَنَّ لُبْنَانَ بِأَطْوَادِهِ طَوَائِفُ الْأَجْنِ بِهِ دَائِرَةً

يَا حَبْدًا بُنَّانٌ مِنْ مَوْطِنِ
وَحَبْدًا مَاءٌ بِهِ بَارِدٌ
ذَكَرْتُهُ أَيَّامَ أَمْجَادِهِ
أَيَّامَ كَانَ الْغِزُّ فِي أَرْزِهِ
فَأَنهَكَ الْأَدْمُعُ مِنْ مُقْلَتِي
قَدْ عَيْتَ الدَّهْرُ بِأَمَالِهِ
الرُّومُ وَالْأَرَمَنُ مِنْ قَوْمِهِ
أَلَا تَرَى الْهَجْرَةَ تَسْتَأْهِمُ
وَأَرْضُهُ بَاتَتْ بِلا زَارِعٍ
وَهَدَدَ الْإِفْلَاسُ تِجَارَهُ
فِي ذِمَّةِ التَّارِيخِ مَنْكُودَةٌ
تُعْلِلُ النَّفْسَ بِنَيْلِ الْغَنَى
لَهْفِي عَلَيْهَا بَعْدَ آمَالِهَا
مَا أَصْغَبَ الْغَيْشَ عَلَى أُمَّةٍ
لَا حَقَّ فِي الدُّنْيَا لِمُسْتَضْعَفٍ
وَحَبْدًا أَرْبَعَةُ الزَّاهِرَةِ
وَحَبْدًا أَرْوَاحُهُ الْعَاطِرَةِ
فِيَا مَضَى مِنْ حِسْبِ غَايَةِ
أَيَّامَ كَانَتْ دُورُهُ عَايِرَةِ
حُزْنًا عَلَى حَالَتِهِ الْحَاضِرَةِ
وَبَاتَتْ الدُّنْيَا بِهِ غَادِرَةِ
وَقَوْمُهُ عَنِ أَرْضِهِ نَافِرَةِ
بَاخِرَةُ تَتَبَعَهَا بَاخِرَةُ
فَأَصْبَحَتْ قَاحِلَةً بِأَرْزَةِ
فَسَوْفَهُمْ كَاسِدَةٌ خَاسِرَةُ
جَارَتْ عَلَيْهَا أُمَمٌ جَائِرَةُ
أَضْفَاتُ أَحْلَامٍ بِهَا سَائِرَةُ
دَارَتْ عَلَى اسْتِفْلَالِهَا الدَّائِرَةُ
قَدْ قِيلَ عَنْهَا أُمَّةٌ قَاصِرَةُ
أَلْحَقْ فِي جَنْبِ الْقَوَى الْقَاهِرَةِ



مصايف لبنان

« من قصيدة لحليم دموس »

لُبْنَانُ أَيُّ الْحُسْنِ فِي صَفَعَاتِهِ وَضَاحَةٌ وَالْيَمْنُ فِي جَنَابَاتِهِ
فَأَنْزِلْ مَصَايِفَهُ الْجَمِيلَةَ إِنَّهَا أَنْسُ التَّرْيِيلِ وَمُنْتَهَى رَغَبَاتِهِ
وَأَنْهَلْ نَعِيرَ الْمَاءِ مِنْ سَلْسَالِهِ وَأَنْشِقْ عَيْرَ الْيَسَكِ مِنْ نَفَعَاتِهِ
أَلَكُوْثُ الْمَسُؤُولُ مِنْ أَنْهَارِهِ وَجَنَانُ « عِلْيَيْنَ » مِنْ جَنَابَاتِهِ
وَالْبَحْرُ مُنْطَرِحٌ عَلَى أَقْدَامِهِ وَالثَّلَجُ مُنْبَسِطٌ عَلَى ذُرُواتِهِ
وَالْحُسْنُ كُلُّ الْحُسْنِ فِي أَقْفَارِهِ وَالسِّحْرُ كُلُّ السِّحْرِ فِي ظَلِيَّاتِهِ
فَقَسْتُ عَنْ رَوْضِ الْخُلُودِ فَلَمْ أَجِدْ

فِي الْأَرْضِ إِلَّا الْأَزْدَ مِنْ شَجَرَاتِهِ
تَتَمَنَّوُ الْأَدْيَانَ فَوْقَ هِضَابِهِ كَتَمَانِقِ الْأَغْصَانِ فِي غَابَاتِهِ
جَمَعْتَهُمْ أُمُّ اللِّغَاتِ وَحَبْدًا صِلَةٌ بِرَأَاهَا الشَّعْبُ رَمَزَ حَيَاتِهِ
لَفَةً تَعَشَّقُ آيَاهَا فَتَغْلُغَلُ فِي صَدْرِهِ وَجَرَتْ عَلَى لَهَوَاتِهِ

تِلْكَ الْمَصَايِفُ مَا ذَكَّرْتُ بِجَالِهَا إِلَّا ثَنَيْتُ الْقَلْبَ عَنْ لَهَفَاتِهِ
فَقَسَى زَيُّ لُبْنَانَ رَابِطَةً بِهَا يَنْضَمُّ شَمْلُ الشَّرْقِ بَعْدَ شَتَاتِهِ
مَاذَا عَلَى أَبْنَائِهِ لَوْ أَنْصَفُوا وَتَمَهَّدُوا الْمَدْفُونِ مِنْ خَيْرَاتِهِ

وَتَمَارَقَتْ أَقْطَارُهُ وَتَأَلَّفَتْ لِحَيَاتِهِ وَتَحَالَفَتْ لِنَجَاتِهِ
وَإِذَا الْقُلُوبُ تَوَحَّدَتْ فِي مَوْطِنٍ عَطَقَتْ عَلَيْهِ وَفَرَّجَتْ كُرْبَاتِهِ
فَتَحْنُ ظَالِمَةٌ إِلَى اسْتِغْلَالِهِ وَتَرَفٌ حَائِمَةٌ عَلَى رَايَاتِهِ

المعلم

« بقلم الياس الى شبكة »

تَبَسُّمُ لَهُمْ عَنْ غِبْطَةٍ وَتَوَسُّمٍ قَبِي مُثْلَةِ التَّلْمِيزِ رُوحُ الْمُعَلِّمِ
تَمَرُّ الثَّوَابِي لَا أَحْسُ رُورَهَا أَمَامَ صِفَارِ عُطْشٍ لِلتَّقَدُّمِ
تُضِي زُيُوتُ الطُّهْرِ فِي حَدَقَاتِهِمْ يَمَارِجُهَا لُطْفُ الْقَمِ الْمُبَسِّمِ
أَمَامَ صِفَارِ جَانِحِينَ إِلَى أَلْمَى كَأَفْرَاحٍ نَسَرُ أَوْرُثُوا الْمُجْدَى الدَّمِ
لَهُمْ لُغَةُ مَادَنْسَ الْخَيْفِ عَرْضَهَا كَمَا لَهُمْ شَمَاءُ لَمْ تَهْدَمْ
أَقُولُ لَهُمْ فِي سَاعَةِ الدَّرْسِ إِنَّكُمْ بَقَايَا مِنَ الْأَجْلَالِ لِلْعَرَبِ تَنْتَبِي
فَإِنْ تَبَيُّنُوا فَالْمَجْدُ فِي وَثْبَانِكُمْ وَإِنْ تَقَدُّوا فَالْمَجْدُ هُنَّ النَّصْرُ
فَيُشْرِقُ فِي أَجْفَانِهِمْ إِثْرُ خُطْبَتِي شَمَاعُ مِنَ الْأَمَالِ لَمْ يَتَجَمَّ
فَأَبْصِرُ فَجْرًا مِنْ وُجُودِ مُلْتَمِ بِشَقَائِهِ مِنْ مُزْمِعٍ غَيْرِ مُبْتَمِ
أَعِدُّ شَرَابًا خَالِدًا لِنَفْسِهِمْ وَأُطْعِمُهُمْ مِنْ مُهْجَتِي خَيْرَ مَطْعَمِ
أَعْلَمُهُمْ كَيْفَ الْحَقِيقَةُ تَعْتَلِي

وَكَيْفَ أَرَى فِي الْكُونِ يَكُونُ وَيَزِيدُ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الثُّقُورَ مَسَارِجُ فَإِنْ تُشْعِلُوهَا بِأَلْمَائِبِ تُظْلِمُ

أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْجَادَ فَضِيلَةٌ تُبَارِكُهَا رُوحُ الْإِلَهِ الْمَعْلَمِ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْإِبَاءَ مُهْنٌ تُصَارِعُهُ الدُّنْيَا وَلَنَا يُحْطَمِ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْفِتَاقَ جِنَايَةٌ وَإِنْ رَيْبُ الْكَذِبِ أَفْطَعُ مَجْرَمِ
فَتَهْتَرُ فِيهِمْ فِطْرَةُ عَرِيَّةٍ بِغَيْرِ أَلْفٍ وَالصِّدْقِ لَمْ تَتَزَمِ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْعِلْمَ جَذْوَةٌ مِنْ اللَّهِ هَهَا تَقْتَرِبُ تَتَضَرَّمِ
فَيَضُنُّونَ إِصْنَافَ الْجَدَاوِلِ الصَّبَا فَأَشْعُرُ أَنَّ الْقَلْبَ يَنْطَرُ مِنْ قَبِي
أَقُولُ لِرَبِّي أَعْطِنِي الْوَدَّ إِنِّي أَرَى النَّفْسَ فِي لَيْلٍ مِنَ الْجَهْلِ أَقْتَمِ
لِأَسْكَبُهُ فِي كُلِّ رُوحٍ بَرِيَّةٍ وَأَهْدِي بِهِ قَلْبَ الْإِنْفَارِ لِيَحْتَمِي
أَقُولُ لَهُ أَنْعِمْ عَلَيَّ بِخَاطِرٍ نَفِيٍّ كَقَلْبِ الْبَطْلِ يَا خَيْرَ مُنْعِمِ
لَا تُزِلْ نَفْسِي مِنْزِلَ الطُّغْرِ فِي الْوَدَى وَأَرْفَعْ قَلْبِي عَنْ وَهَادِ الثَّلَاثِ
أَقُولُ لَهُ ضَعْ فِي كَلَامِي بَسَاطَةً وَأَلِّهِمْ فَوَادِي الْعُبِّ يَا خَيْرَ مُلْهِمِ
لِيَهَيِّئْ لِي تِلْكَ الْحَدَاثَةَ مِتَامًا فَوَيْتُ خِلَالَ الْأَمْسِ قَلْبَ مَعَمِي
أَفْكِرُونَ أَجَلَ أَسْدَانٍ عَالِيًا لِأَنَّ مَرَاتِي إِلَهُامٌ أَرْفَعُ سُلَامِ
فَمَا اسْتَجَبِي أَنِّي أَعْذِي عُقُولَهُمْ فَادْخُلْ ثَوَاتَا الصُّمَامِ فِيهِمْ
أَقُولُ لَهُمْ إِنَّ تَمَلُّكُوا الْحُكْمَ فِي غَايَةٍ فَلَا تَمْرُضُوا عَنْ أَدْمَحِ الْمَضَامِ
وَإِنْ تَعْتَلُوا عَرْشَ الْأَقْصَاءِ فَأَنْصِفُوا نَرُبَّ بَرِيٍّ غَيْلٍ فِي ثَوْبِ مُتَمِّمِ
أَقُولُ لَهُمْ إِنْ تُنْحُوا أَدْلَالِي فِي عَدِي فَلَا تُنْسِكُوهُ عَنْ يَتِيمِ وَأَتَمِ
وَلَا تَجْلُوهُ فِي الْحَيَاةِ ضَمِيرَكُمُ فَلَيْسَ خَيْرُ الْمَرْءِ كَرِيٍّ دِرْهَمِ

الباب السابع

في الفخر والحماسة

« قال ابو فراس من قصيدة يقتخر فيها بنفسه »

إِنْ لَمْ تَكُنْ طَالَتْ سِنِّي فَإِنْ لِي رَأْيَ الْكُهُولِ وَنَجْدَةٍ ^(١) الشَّبَانِ
يَا ذَهْرُ خُفْتُ مَعَ الْأَصَادِقِ خِلْتِي ^(٢) وَعَدَرْتُ بِي فِي جُمْلَةِ الْأَخْوَانِ
لَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَوْلَى الَّذِي لَمْ أَنَسْهُ وَأَرَاهُ لَا يَنْسَانِي
أَيُضِيعُنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ لِي حَافِظًا كَرَمًا وَيَخْضِبُنِي الَّذِي أَعْلَانِي
إِنِّي أَغَارُ عَلَى مَكَانِي أَنْ أَرَى فِيهِ رِجَالًا لَا تَسُدُّ مَكَانِي
وَلَطَالَمَا حَطَّنتُ صَدْرَ مُثَقِّبِي وَلَرَبَّمَا أَرَعَفْتُ أَنْفَ سِنَانِي ^(٣)
وَلَطَالَمَا قُدْتُ الْحِيَادَ إِلَى الْعِدَى قُبَّ الْبُطُونِ ^(٤) طَوِيلَةَ الْأَرْسَانِ
مَا زِلْتُ أَكْلَأُ كُلَّ فَنَرٍ مُوَحِّشٍ أَبْدَأُ بِمَقْلَةٍ سَاهِرٍ يَقْطُرَانِ
شَلَالٍ كُلِّ عَظِيمَةٍ ذَوَادِمَا ^(٥) ضَرَابِ هَامَاتِ الْعِدَى طَمَانِ
إِنْ يُنَمَّعَ الْأَعْدَاءُ حَدَّ صَوَارِمِي لَا يُنَمَّعُ الْأَعْدَاءُ حَدَّ لِسَانِي

(١) شجاعة وبأس وشدة (٢) مصادقتي وإخائي (٣) الملقب من الرماح

المقوم . وأرعى الأنف جمعه يسيل دماً (٤) جمع الأقب وهو من الحيل الرقيق

الحصر الضامر البطن (٥) الشلال والذوَاد طارد والدافع وكلاهما للمبالغة

« وقال ايضاً من قصيدة يفخر بها على المستق قائد الروم »

يَعِزُّ عَلَى الْأَجْبَةِ بِالشَّامِ حَيْبُ بَاتَ تَمْنُوعَ الْمَنَامِ
وَأَنِّي لِلصُّبُورِ عَلَى الرِّزَايَا وَلَكِنَّ الْكِلَامَ عَلَى الْكِلَامِ
جُرُوحٌ لَا يَذْنُ يَذْنُ مِنِّي عَلَى جُرْحٍ ^(١) قَرِيبَ الْعَهْدِ دَائِي
تَأْمَلْنِي الدُّمُتُوقُ إِذَا رَأَى فَأَبْصَرَ صِغَةً ^(٢) أَلْبَيْتَ الْهَمَامِ
أَتُنَكِّرُنِي كَأَنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي بِأَنِّي ذَلِكَ الْبَطْلُ الْمَحَامِي
وَأَنِّي إِنْ تَزَلْتُ عَلَى ذُلُولِ تَرَكَكَ غَيْرَ مُتَّصِلِ الْبَطَالِ
وَلَمَّا أَنْ عَقَدْتُ صَلِيبَ رَأْيِي تَحَلَّ عِندُ رَأْيِكَ فِي الْعَمَامِ ^(٣)
وَكُنْتَ تَرَى الْأَنَاءَ وَتَدْعِيهَا فَأَعْجَلَكَ الْبَطْلَانُ عَلَى الْكَلَامِ
وَبِتْ مُورَقًا مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ حَمَى جَفْنَيْكَ طِيبَ النَّوْمِ حَايِي
وَلَا أَرْضَى الْفَقَى مَا لَمْ يُكْمَلْ بِرَأْيِ الْكَمَلِ إِقْدَامَ الْفَلَامِ
وَأَصْعَبُ خُطَّةٍ وَأَجَلُ أَمْرٍ مُجَالَسَةَ الْإِسَامِ عَلَى الْكِرَامِ
يُرِيغُونَ ^(٤) الْيُوبَ وَأَجْزَعُهُمْ وَأَيُّ الْيَسْبِ يُوجَدُ فِي الْخُسَامِ
أَيُّتُ مُبْرَأٌ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَأَصْبَحُ سَالِمًا مِنْ كُلِّ دَامٍ ^(٥)
وَمَنْ أَبْقَى الَّذِي أَبْقَيْتُ هَانَتْ عَلَيْهِ مَوَارِدُ الْمَوْتِ الْزَوَامِ ^(٦)

(١) اي لا يذنب يذنب مني . وورد الشئ . اشرف عليه وبلغه (٢) اصل

(٣) اي رجعت عن رأيك في الاقامة (٤) يطلبون ويريدون (٥) عيب (٦) الكريه

فَنَاءَ طَيْبٍ لَا خَلْفَ^(١) فِيهِ وَأَثَارُ كَأَمَارِ الْقَمَامِ
 أَلَامٌ عَلَى التَّعَرُّضِ لِلْمَنَآيَا وَلِي سَمْعٍ أَصَمٌّ عَنِ الْمَلَامِ
 بَنُو الدُّنْيَا إِذَا مَاتُوا مَوَاتًا وَلَوْ عَمَرَ الْمُعَمَّرُ أَلْفَ عَامِ
 أَلَا يَا صَاحِبِي تَذَكَّرَانِي إِذَا مَا شِئْنَا الْبَرَقَ الشَّامِ
 إِذَا مَا لَاحَ لِي لَمَعَانُ بَرَقَ بَعَثْتُ إِلَى الْأَحْبَةِ بِالسَّلَامِ

❦

عرضت على سيف الدولة خيوله وبنو اخيه حضوراً فكل اختار
 منها وطلب حاجته . وامسك ابو فراس فقتب عليه سيف
 الدولة ووجد في ذلك فقال ابو فراس

غَيْرِي يُنِيرُهُ الْفَعَالُ الْجَانِي وَيَحُولُ عَنْ شِيمِ الْكَرِيمِ الْوَانِي
 لَا أَرْتَضِي وَدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ الْجَنَاءِ وَقَلَّةِ الْإِنْصَافِ
 إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِي الْمَنَآكِبِ حَافِي
 مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا وَإِذَا قَتِمَتْ قَبْضُ شَيْءٍ كَافٍ
 وَتَعَافٍ^(٢) لِي طَبَعُ الْحَرِيرِ بِإِبَائِي وَرُوءِي وَفَنَاعِي وَعَفَافِي
 مَا كَثُرَتْ الْخَيْلُ الْجِيَادُ بِزَانِدِي^(٣)

سَرَفًا وَلَا عَدَدُ السَّوَامِ الضَّافِي^(٤)

(١) الخلف الردي . من القول (٢) تكروه (٣) اي لا تريدني (٤) السوام
 الماشية والابل الزراعية . والضافي الكثير

خَلِيلِي وَإِنْ فَكْتُ كَثِيرٌ تَقْهَمَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَأَلْقَا الرُّعَافِ^(١)
وَمَكَارِنِي عَدَدَ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي مَاوَى الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَحْلَافِي^(٢)
شَيْمٌ عُرِفْتُ بَيْنَ مَنْذُ أَنَا يَافِعٌ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بَيْنَهَا أَسْلَافِي

وقال عنزة العبسي

إِذَا قَبِعَ أَلْفَقَى بِذِمِّهِمْ عَيْشٌ وَكَانَ وَرَاءَ سَجْفٍ^(٣) كَأَلْبَنَاتِ
وَلَمْ يَهْجُمْ عَلَى أَسَدِ الْأَسَايَا وَلَمْ يَطْعَنْ صُدُورَ الصَّافِيَاتِ^(٤)
وَلَمْ يَقِرَّ^(٥) الضُّيُوفَ إِذَا أَتَوْهُ وَلَمْ يُزِ الْيُوفَ مِنَ الْكُفَاةِ^(٦)
وَلَمْ يَبْلُغْ بِضَرْبِ الْهَامِ^(٧) بَجْدًا وَلَمْ يَكُ صَايِرًا فِي النَّائِبَاتِ
فَهْلٌ لِلنَّاعِيَاتِ إِذَا بَكَتَهُ أَلَا فَأَقْصِرْنَ نَدْبَ النَّادِيَاتِ
وَلَا تَنْدُبْنَ إِلَّا لَيْثَ غَابِ شَجَاعًا فِي الْعُرُوبِ الْكَائِرَاتِ
دَعُونِي فِي الْحَيَاةِ أُمْتُ عَزِيزَا فَمَوْتُ الْعِزِّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي
لَعَنِي مَا أَلْفَحَارَ بِكَسْبِ مَالِ وَلَا يُدْعَى الْغَنَى مِنَ السَّرَاقِ

(١) جمع الراعي وهو الذي يسيل دأ (٢) الاحلاف جمع الحلف وهو الصديق يحلف لصاحبه ان لا يندربه (٣) ستر (٤) جمع الصافن وهو من الحيل القائم على ثلاث قوائم (٥) من قرى الضيف اذا اضاف (٦) جمع الكمي وهو الشجاع (٧) جمع الهامة وهي الرأس
جوامر الثالث ١٢

سَتَذَكِّرُنِي الْمُنَاجِعَ^(١) كُلَّ وَاقْتَد
 فَذَلِكَ الَّذِي كَرَّ يَنْقَى لَيْسَ يَنْقَى
 وَلَمَّا نِيَّ الْيَوْمَ أَحْيَى عَرْضَ قَوْمي
 وَأَخَذُ مَا لَنَا مِنْهُمْ بِعَرْبٍ
 وَأَتْرَكُ كُلَّ نَاحِيَةٍ تُنَادِي
 عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ
 مَدَى الْأَيَّامِ فِي مَاضٍ وَآتٍ
 وَأَنْصُرُ آلَ عَبَسَ عَلَى الْعُدَاةِ
 تَخِرُ^(٢) لَهَا مُتُونُ^(٣) الرَّاكِبَاتِ
 عَلَيْهِمْ بِالتَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ^(٤)

وقال عامر العدواني مفتخراً بقومه

أُولَئِكَ قَوْمٌ شَبَدَ اللَّهُ فَخْرَهُمْ
 أَنَسُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْلَمَ وَجْهَهُ
 يَصُوتُونَ أَحْسَابًا وَبَجْدًا مُوْتَلَا
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَضَاءَتْ
 فَلَوْ مَسَّتِ الصَّخْرَ الْأَصَمَ أَكْفَهُمْ
 فَمَا فَوْقَهُمْ فَخْرُ وَإِنْ عَظُمَ الْفَخْرُ
 فَأَيُّدِيهِمْ يَبِضُّ وَأَوْجُهُمْ زَهْرُ
 يَبْذُلُ أَكْفَ دُونَهَا الْمَزْنُ وَالْبَحْرُ
 لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْبُثِيرَةُ وَالْبَدْرُ
 أَفَاضَ يَتَابِعُ النَّدَى ذَلِكَ الصَّخْرُ

وقال بشار بن برد

وَعَيَّرَنِي الْأَعْدَاءُ وَالْعِيبُ فِيهِمْ
 إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمَرْوَةَ وَالْتَمَى
 وَلَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِيرُ
 فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ

(١) جمع معصية وهي الحرب والفتنة (٢) تسقط (٣) جمع متن وهو

ظاهر أو الأرض الصلبة المرتفعة (٤) التفرق

ولاي الحسن التهامي من قصيدة

ظَنَنْتُ شَبِيهَتَهُ تَبَيَّنَتْ وَمَا عَلِمْتُ
 أَنَّ الشَّبِيهَةَ رِقَاقَةٌ إِلَى الْهَرَمِ
 مَا شَابَ عَزَمِي وَلَا حَزَمِي وَلَا خُلُقِي
 وَلَا وَقَانِي وَلَا دِينِي وَلَا حُرَمِي
 وَإِنَّمَا اعْتَادَ رَأْيِي غَيْرَ صَبْتِهِ
 وَالشَّبِيهُ فِي الرَّأْسِ غَيْرُ الشَّبِيهِ فِي الْهَمِّ
 لَا تَحْدُ الدَّهْرُ فِي ضَرَاءٍ يَصْرُفُهَا فَلَوْ أَرَدْتُ دَوَامَ الْبُوسِ لَمْ يَدُمِ
 فَالدَّهْرُ كَالطِّيفِ بُوْسَاهُ وَأَنْعَمُهُ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَلَا تَحْدُ وَلَا تَلُمِ
 لَا تَحْسَبَنَّ حَسَبَ الْأَبَاءِ مَكْرَمَةً لِمَنْ يَقْصُرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمْ
 حُسْنُ الرِّجَالِ بِحُسْنَاهُمْ وَفَخْرُهُمْ بِطَوْلِهِمْ^(١) فِي الْمَالِ لَا بِطَوْلِهِمْ
 مَا أَغْتَابَنِي حَاسِدٌ إِلَّا شَرُفْتُ بِهِ فَحَاسِدِي مُنِمْ فِي زِيٍّ مُنْتَقِمِ
 فَأَلَّهُ يَكْلَأُ^(٢) حُسَادِي فَأَنْعَمُهُمْ عِنْدِي وَإِنْ وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ قَصْدِهِمْ

(١) الطول النقي والسعة (٢) يحرمس ويحفظ

السيف والقلم والمحراث

« من قصيدة لمحمد توفيق علي »

لَا السِّيفُ فِي مِصْرٍ يُرْضِينِي وَلَا الْقَلَمُ
كِلَاهُمَا فِي يَمِينِ الْحُرِّ مُنْتَلِمُ
جَرَدْتُ سَيْفِي وَأَقْلَامِي وَبِي أَمَلُ
وَالْيَوْمَ أَعْمِدُهَا يَأْسًا وَبِي أَلَمُ
يُرِيدُ بِي الدَّهْرُ لَا تَمَتْ إِزَادَتُهُ
ذُلًّا وَقَفْرًا وَيَأْتِي أَلِيزُ وَالْكَرَمُ
سَأَصْرَفُ الْعُمَرُ حُرًّا لَا يُقِيدُنِي
إِلَّا أَلْتَقَى وَالنَّمَى وَالْمَجْدُ وَالشَّمُ^(١)
وَأَطْلُبُ أَلْمَالَ لَا زَهْوًا وَلَا سَرْفًا^(٢)
فَإِنَّمَا أَلْمَالُ فِي أَهْلِ أَلْنَمَى ذِمَمُ
وَحَبِيرُ مَا يَقْتَنِي أَلْمِصْرِيُّ مَرْزَعَةً
يَشْقَى بِهَا أَلْقَاسُ وَالْمَحْرَاثُ وَالنَّعَمُ

وقال معروف الرصافي

« من قصيدة يدعو فيها قومه الى التجند »

طَالَ عَنِّي عَلَى الْحَوَادِثِ فَيْكُمُ
مِثْلَمَا طَالَ مَطْلَهَا بِالْوُعُودِ
فَتَنِي سَمِيكُكُمْ وَمَاذَا أَلْتَوَانِي
وَالِي كَمُ أَحْكُمُ بِأَلْنَشِيدِ
أَنَا غَرِيدُ شَارِدَاتِ أَلْقَوَافِي
أَفَلَمْ يُشْجِكُمْ بِهَا تَفْرِيدِي
كُنْتُ قَبْلًا أَنَّنِي عَلَيْكُمْ لِأَنِّي
أَبْتَنِي أَلْحَثُ بِأَلْنَاءِ أَلْحَبِيدِ
فَاتَّقُوا أَلْيَوْمَ صَوْلَةً مِنْ بَرَاعِ
وَاقِفِ فِي مَوَاقِفِ أَلْتَّدِيدِ

(١) عزة النفس (٢) الزهو الكبر والفخر . والسرف تجاوز الحد والتبذير

أَيُّهَا الْقَوْمُ نَحْنُ فِي عَصْرِ عِلْمٍ جَعَلَ الْحَرْبَ فِي طَرَاذِيرِ جَدِيدٍ
جَعَلَ الْحَرْبَ تَدْرُسُ الْيَوْمَ فَنَّا مُنْهِيًا عَنْ شَجَاعَةِ الصَّنِيدِ
إِنَّ لِلْعِلْمِ فِي حُرُوبِ بَنِي الْمَضَرِّ لِبَاسًا يَفُوقُ بَأْسَ الْحَدِيدِ
فَاسْتَعِدُّوا لِرَدِّ كُلِّ عَدُوٍّ أَنْكَرَ الْحَقِّ نَاقِضًا لِلْمُؤَدِّ
وَأَعِزُّوا الْمَلِكَ الَّذِي نَبَتِيهِ بِجُنُودٍ مَبْنُوتَةٍ فِي الْحُدُودِ
قَدْ دَعَاكُمْ أَوْطَانُكُمْ فَأَجِيبُوا دَعْوَةَ الْأَمِيرِينَ بِالتَّجَنُّدِ
نَحْنُ لَا نَقْصِدُ الْحُرُوبَ وَلَكِنْ نَبْتَغِي الذُّودَ عَنْ تَرَاثِ الْجُدُودِ
أَرَأَيْتُمْ مُلْكَاً يَنْتَبِزُ جُنُودَ إِمَّا الْمَلِكُ قَائِمٌ بِالْجُنُودِ
فَاجْمَعُوا الْجَيْشَ فِي الْعِرَاقِ لِيَرْمَى مَا لَدَيْكُمْ مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَلِيدِ
وَدُدَّ الْعَدُوَّ عَنْكُمْ وَيَخْشِي عَيْشَكُمْ مِنْ شَوَابِ التَّكِيدِ
لَا تَقْرَؤْا عَلَى الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ عَرَبٌ مِنْ بَنِي الْأَبَاةِ الصَّيْدِ
أَشْرَفُ الْمَوْتِ عِنْدَهُمْ هُوَ مَوْتُ

فِي صَهَى الْخَيْلِ تَحْتَ خَنْقِ الْبُنُودِ
وَأَعِزُّوا الْأَعْمَارِ غُرٌّ قَصِيرٌ تَحْتَ ظِلِّهِ مِنَ السُّيُوفِ مَدِيدِ
وَأَذِلُّوا الْحَيَاةَ عِنْدِي حَيَاةٌ قَدْ أَهِنَتْ حُقُوقَهَا بِجُنُودِ

الباب الثامن

في الحكم

فلسفة الحياة

« من قصيدة لايليا ابي ماضي »

كَيْفَ تَنْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلاً	أَيُّهَاذَا الشَّاكِي وَمَا بِكَ دَاءٌ
تَتَوَقَّى قَبْلَ الرَّجِيلِ الرَّجِيلاً	إِنَّ شَرَّ الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ
أَنْ تَرَى قَوْفَهَا النَّدَى إِكْلِيلاً	وَتَرَى الشُّوكَ فِي الْوُرُودِ وَتَعْنَى
مَنْ يَظُنُّ الْحَيَاةَ عِبْنًا ثَقِيلاً	هُوَ عِبٌّ عَلَى الْحَيَاةِ ثَقِيلٌ
لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئًا جَمِيلاً	وَالَّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ
وَيَظُنُّ اللَّذَاتِ فِيهِ فُضُولاً	لَيْسَ أَشَقَى مِمَّنْ يَرَى الْعَيْشَ مُرًّا
عَالَمُهَا فَأَحْسَنُوا التَّغْلِيلاً	أَحْكَمُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ أَنْاسٌ
لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَا	فَتَمَتَّعَ بِالصُّبْحِ مَا دُمْتَ فِيهِ
قَصِرَ الْبَحْثُ فِيهِ كَيْ لَا يَطُولَا	وَإِذَا مَا أَظْلَمَ رَأْسَكَ هَمٌّ
فَمِنْ أَلَمٍ أَنْ تَظُلَّ جَهُولَا	أَدْرَكْتَ كُنْهَهَا ^(١) طُيُورُ الرُّوَايِ

(١) جوهرها . والضمير يعود الى حياة

مَا تَرَاهَا وَالْحَقْلُ مُلْكُ سِوَاهَا تَخَذَتْ فِيهِ مَسْرَحًا وَمَقِيلًا
تَتَنَقَّى وَالصَّغَرُ قَدْ مَلَكَ الْجِسْمَ عَلَيْهَا وَالصَّانِدُونَ السَّيْلًا
تَتَنَقَّى وَقَدْ رَأَتْ بَعْضَهَا يُؤْ خَذَحِيًّا وَالْبَعْضُ يَفْضِي قَتِيلًا
تَتَنَقَّى وَعُمْرُهَا بَعْضُ عَامٍ أَفْتَبِكِي وَقَدْ تَعِيشُ طَوِيلًا
فَهِىَ فَوْقَ النُّصُونِ فِي الْفَجْرِ تَتَلَوُ

سُورَ^(١) الْوَجْدِ وَالْهَوَى تَرْتِيلًا
وَهِيَ طَوْرًا عَلَى الثَّرَى وَاقِعَاتُ تَلْفُطُ الْحَبَّ أَوْ تَجُرُّ الذُّيُولَا
كَلَّمَا أَمْسَكَ النُّصُونُ سُكُونُ صَفَقَتْ لِلنُّصُونِ حَتَّى تَمِيلَا
فَإِذَا ذَهَبَ الْأَصِيلُ الرُّوَانِي وَقَفَتْ فَوْقَهَا تُنَاجِي الْأَصِيلَا
فَاطْلُبِ اللَّهْوَ مِثْلَمَا تَطْلُبُ الْأَطْيَارُ عِنْدَ الْهَجِيرِ ظِلًّا ظَلِيلَا
وَتَعْلَمُ حُبَّ الطَّيِّبَةِ مِنْهَا وَأَتْرَكَ الْقَمَالَ لِلْوَرَى وَالْإِيمِلَا
فَالَّذِي يَتَنَقَّى الْوَادِلَ يَلْقَى كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَخْصٍ عَذُولَا
كُنْ غَدِيرَ آيِسِيرٍ فِي الْأَرْضِ رَقْرَا^(٢) فَيَسْقِي مِنْ جَانِبَيْهِ الْحَقُولَا
تَسْتَجِمُّ النُّجُومُ فِيهِ وَيَلْقَى كُلَّ شَخْصٍ وَكُلَّ شَيْءٍ مِثْلَا
لَا وِعَاءَ يُقِيدُ الْمَاءَ حَتَّى تَسْتَجِيلُ الْإِيَاهُ فِيهِ وَحُولَا
كُنْ مَعَ الْفَجْرِ نَسْمَةً يُوسِعُ الْأَزْ هَارَ ثَمًا وَتَارَةً تَقِيلَا

(١) جمع سورة وهي في الاصل قطعة مستقلة من القرآن (٢) الرقراق كل

شيء له تلالو وبصيص

لَا سُوْمًا^(١) مِنَ السَّوَاكِى اللّٰوَاكِى

تَمَلُّ الْأَرْضَ فِي الظَّلَامِ عَوِيلاً
وَمَعَ اللَّيْلِ كَوَجِبًا يُؤْنِسُ النَّاسَ
لَا دَجَى يَكْزُهُ الْعَوَالِمُ وَالنَّاسُ
أَيَّاهَا ذَا الشَّاكِي وَمَا بِكَ دَا
كُنْ جَمِيلاً تَرَى الْوُجُودَ جَمِيلاً

الأم مدرسة

« من قصيدة حافظ بك ابراهيم »

إِنِّي لَتَطْرُبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً
وَيَهْزُنِي ذِكْرُ الْمَرْوَةِ وَالنَّدَى
مَا الْبَابِلِيَّةُ^(٢) فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا
وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَتَخْتَفِي
طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقِ
بَيْنَ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَاقِ
وَالشَّرْبُ^(٣) بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسَبَاقِ

وَالْبَدْرُ يَشْرُقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي
بِالَّذِي مِنْ خُلُقٍ كَرِيمٍ طَاهِرٍ
فَإِذَا رَزَقَتْ خَلِيقَةً مَخْمُودَةً
فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقْسِمُ الْأَرْزَاقِ
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا
عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَذْخِرْهُ مُحَصَّنًا
وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِفْهُ شَائِلًا
لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
كَمْ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا
وَطَيِّبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لِطَبِيعِهِ
وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ بَيْنَهُ
فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَبْجُ لُمَابُهُ^(١)
عَرِيتَ عَنِ الْخُلُقِ الْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ
لَوْ كَانَ دَا خُلُقٍ لَأَسْعَدَ قَوْمَهُ
مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا
الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَدْتَهَا
الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَمَّدَهُ الْحَيَا
الْأُمُّ أَسْتَاذُ الْأَسَاتِذَةِ الْأَلَى
رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا

بِالْعِلْمِ كَانَ نِهَآيَةَ الْإِمْلَاقِ
تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ
مَا لَمْ يُتَوَجَّزْ رُبُّهُ بِخِلَاقِ^(٢)
لَوْ قِيعَةٍ وَقَطِيعَةٍ^(٣) وَفِرَاقِ
مَا لَا تُحِلُّ شَرِيعَةُ الْخَلْقِ
قَطَعَ الْأَنَامِلَ أَوْ لَطَى الْأَحْرَاقِ
سُمَا وَيَنْفُثُهُ^(٤) عَلَى الْأَوْدَاقِ
فَجَاءَتْهُ ثِقَلٌ عَلَى الْأَعْنَاقِ
بَيَّانِهِ وَدَرَّاعِهِ السَّبَاقِ
فِي الشَّرْقِ عِلَّةُ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
أَعَدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
بِالرِّيِّ أَوْ رَقَّ أَيْمًا إِدْرَاقِ
شَفَلَتْ مَا يُرْهِمُ مَدَى الْأَفَاقِ
فِي الْمَوْقِعَيْنِ^(٥) لَهْنٌ خَيْرٌ وَتَاقِ

(١) الخلاق افعال الانسان المحمودة التي تكون خلقاً له (٢) القطيعة
المهجورة والوقيعة الغيبة والنسيمة (٣) مع اللعاب رماه من فيه والمراد باللعب
٥٨ الخبر (٤) يرميه (٥) يريد بالموقعين التضييق والاطلاق وقد ذكرنا في
آيات استقطنها

الاحياء وحي الاموات

« من قصيدة للرصافي »

تَبْقُظُ فَا أَنْتَ بِالْخَالِدِ وَلَا حَادِثُ الدَّهْرِ بِالزَّاقِدِ
فَخَلَّدَ بِسَمْعِكَ مَجْدًا يَدُو مُ دَوَامَ النُّجُومِ بِلا جَاحِدِ
وَأَبْقَى لَكَ الذِّكْرَ بِالصَّالِحَا تَ وَخَلَّ التُّرُوعَ ^(١) إِلَى الْفَاسِدِ
وَسَرَّ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ تُبَيِّتُ الْخُودَ مِنَ الْعَاقِدِ
فَإِنْ فَتَى الدَّهْرَ مَنْ يَدْعِي فَتَأْتِي أَعَادِيهِ بِالشَّاهِدِ
وَلَا تَكُ مُرْمَى بِدَاءِ السُّكُونِ فَتُصْبِحَ كَالْحَجَرِ الْجَامِدِ
إِذَا اطَّرَدَتْ ^(٢) حَرَكَاتُ الْحَيَاةِ وَمرَّتْ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدِ
وَلَمْ تَتَوَّعْ أَفَانِيهَا ^(٣) وَدَامَتْ بِوَجْهِ لَهَا بَارِدِ
وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ ^(٤) مِنْ السَّعْيِ فِي الشَّرَفِ الْخَالِدِ
فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ السَّوَامِ ^(٥) تَجُولُ مِنَ الْعَيْشِ فِي نَافِدِ
وَمَا يُدْتَجَّى مِنْ حَيَاةٍ أَمْرِي كَمَا عَلَى سَبْخَةٍ رَاكِدِ ^(٦)
وَلَيْسَ لَهُ فِي غُضُونِ ^(٧) الْحَيَاةِ قِيسُ سِوَى النَّفْسِ الْمُتَازِلِ الْمَاعِدِ

(١) الدهاب والميل (٢) طرد الامرئس بعضه بعضاً (٣) جمع افسون

وهو الصنف والوع (٤) الشئلة كسا دون المطيعة يشتمل به (٥) الابل

الرعاية (٦) ساكن وتابث (٧) رصيات وارباط

يَنْضُ^(١) عَلَى الْجَلِّ أَنْجَانَهُ
 فَذَاكَ هُوَ أَلَيْتُ فِي قَوْمِهِ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا فَتًى يَنْتَدِي
 سَعَى لِلْمَعَارِفِ فَأَحْتَازَهَا^(٢)
 وَطَالَعَ أَوْجَةَ أَقْمَارِهَا
 فَأَبْدَى الْحَقَائِقَ مِنْ حِلْمِهَا
 إِذَا هُوَ أَصْبَحَ نَادَى الْبِدَارَ^(٣)
 فَكَانَ الْمُجَلِّي^(٤) فِي شَأْوِهِ^(٥)
 وَإِنْ بَاتَ بَاتَ عَلَى يَقْظَةٍ
 وَأَحْدَثَ مَجْدًا طَرِيفًا^(٦) لَهُ
 وَمَا الْحَقُّ إِلَّا هُوَ إِلَّا تَكَ
 فَذَاكَ هُوَ الْحَيُّ حَيُّ الْفَخَارِ
 وَيَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِأَلْكَاسِدِ
 وَإِنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ
 إِلَى أَلِيمٍ فِي شَرْكِهِ صَائِدِ
 وَصَادَ الْأَنْيَسَ مَعَ الْأَيْدِ^(٧)
 بَعَيْنَ بَصِيرٍ لَهَا تَأْقِدِ
 وَأَنْقَى الْقُودَ عَلَى الشَّارِدِ
 وَشَرَّ السَّعْيِ عَنْ سَاعِدِ^(٨)
 يَزْمُ يَشُقُّ عَلَى الْحَاسِدِ
 يَطْرَفُ لِنَجْمِ أَلْعَى دَاصِدِ
 وَأَضْرَبَ عَنْ مَجْدِهِ التَّالِدِ
 لُ عَلَى شَرْفِهِ حَاءُ مِنْ وَالِدِ
 وَإِنْ لَحْدَتْهُ^(٩) يَدُ الْأَلَا حِدِ

(١) غَضَّ عَلَى الْأَمْرِ جَفَنَهُ إِذَا احْتَمَلَهُ (٢) جَمَّهَا (٣) الشَّارِدُ وَالْثَافِرُ
 وَاسْتَعِيرَ هُنَا لِلْفُظْ أَوْ الْمَعْنَى الصَّبُّ الْمُنَالُ (٤) الْأَسْرَاعُ وَالْفِعْلُ مَحْذُوفٌ أَيْ
 يَادِرُوا بِدَارًا (٥) التَّشْمِيرُ عَنِ السَّاعِدِ كِتَابِيَّةٌ عَنِ الْاجْتِهَادِ وَالنَّطَاطِ . وَالسَّاعِدُ
 الذَّرَاعُ (٦) الْمَجَلِّيُّ مِنَ الْحَيْلِ السَّامِقِ فِي الْحَلِيبَةِ (٧) عَايَتُهُ (٨) الطَّرِيفُ
 الْحَدِيثُ وَهُوَ خِلَافُ التَّالِدِ (٩) دَفَّتَهُ

الى أبني

« لندره حداد يخاطب طفله الحديد »

جِئْتَ يَا أَبْنِي مِثْلَمَا وَآ لِدُكَ الْيَسْكِينُ جَاءَ
جِئْتَ دُنْيَا كُلَّمَا مَحَّ صَتْهَا زِدْتَ أَزْدَرَاءَ
وَإِذَا أَزْدَدْتَ بِهَا مَعْرِفَةً زَادَتْ خَفَاءَ
أَغْيَاءَ قَدْ أَتَيْنَا هَا وَنَنْضِي أَغْيَاءَ
مَا طَلَبْنَاهَا وَلَكِنْ هَكَذَا الْخَالِقُ شَاءَ
رَقَصَ الْقَلْبُ لَدَى مَرَّ آكَ حُبًّا وَاحْتِفَاءَ
وَأَزْدَهَى أَلَيْتُ سُرُورًا لَا يُضَاهِي وَصَفَاءَ
وَعَدَوْتَ الْآيَرَ النَّاسَ هِيَ وَكُنَّا الْأَمْرَاءَ
كُلُّ مَا يُضِيكَ يُزْ ضِينًا وَمَا سَاءَ كَسَاءَ
يَا أَبْنِي الْيَوْمَ لِلْأَجْ دَادِ جَدَّدْتُ الْبِنَاءَ
فَقَسَى تَبْنِي لَهُمْ فِي الْآ نَاسِ ذِكْرًا وَدُعَاءَ
وَعَسَى تَعْدُو لِمَنْ حَوَّ لَكَ فَخْرًا أَوْ رَجَاءَ
أَنَا يَا أَبْنِي لَمْ أَنْلِ مَا عَدَّهُ النَّاسُ رَخَاءَ
لَمْ أَحْزَ مَالًا وَلَمْ أَحْ سُدَّ عَلَيْهِ الْأَغْيَاءَ
أَنَا لِلْمَالِ نَظِيرُ الْآ مِيسِ إِذْ تَحِلُّ مَاءَ

هُوَ لِلْغَيْرِ وَمَا نَدَى
أَعْظَمُ النَّاسِ نَجَاحًا
خَلِفُوا لِلْكَسْبِ لَا يَخُذُ
هُمْ قُصَاةُ الْقَلْبِ لَا يَزُودُ
وَهُمْ إِنْ يَسْتَطِيعُوا
لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ وَهْلٌ يُنْزِعُ
عِشْتَ بَيْنَ النَّاسِ لَا أَصْهَرُ
لَا أَبَالِي إِنْ أَكَلْتُ الصَّبْرَ
وَزَيْمْتُ الصَّمْتَ لَا أَشْهَرُ
وَعَلَى الْمَالِ وَأَهْلِهِ أَلْ
هَكَذَا عِشْتُ وَلَا أَطْأُ
كُنْ حَكِيمًا فَكِرَامُ أَلْ
كُنْ دَوَاءً فِي أَلْوَدَى إِيَّكَ أَنْ تَفْدُو دَاءَ
إِجْمَعَ الْمَالَ إِذَا أَسْطَمَ
حَسْبُ مَنْ يُعْطِي ثَنَاءً أَلْ
وَإِذَا أَخْفَشَتْ سَفِيَا
كُلْنَا فِي الْعُمْرِ يَلْقَى
تُ مِنْ الْمَالِ أَرْثَوَاءُ
أَعْظَمُ النَّاسِ دَهَاءُ
شُونَ فِي الْكَسْبِ السَّمَاءُ
عَوْنٌ عَهْدًا أَوْ إِخَاءُ
حَبَسُوا عَنَّا أَلْهَوَاءُ
لِمَحْ مِنْ عَاشَ حَيَاءُ
حَبُّ إِلَّا الْفُقَرَاءُ
حُ مَا كَانَ عَشَاءُ
كُوْهُمُومًا أَوْ شَقَاءُ
مَالٍ وَلَيْتُ أَلْيَاءُ
لُبُّ أَنْ تَعْبَا أَقْبَدَاءُ
نَّاسٍ عَاشُوا حُكْمَاءُ
كُنْ دَوَاءً فِي أَلْوَدَى إِيَّكَ أَنْ تَفْدُو دَاءَ
إِجْمَعَ الْمَالَ إِذَا أَسْطَمَ
حَسْبُ مَنْ يُعْطِي ثَنَاءً أَلْ
وَإِذَا أَخْفَشَتْ سَفِيَا
كُلْنَا فِي الْعُمْرِ يَلْقَى
حَسْبُ الْفِعْلِ الْجَزَاءُ

الباب التاسع

في الشوق والفراق

« من قصيدة لبهاء الدين زهير »

دُونِيكَ ^(١) قَدْ أَفْضَيْتَ يَا بَيْنَ ^(٢) أَدْمِي
 وَحَبْلِكَ قَدْ أَضَيْتَ ^(٣) يَا شَوْقُ أَضْلِي
 إِلَى كَمْ أَقْلِي فُرْقَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ
 وَحَتَّى مَتَى يَا بَيْنُ أَنْتَ مَعِيَ مَعِيَ
 لَقَدْ ظَلَمْتَنِي وَأَسْطَالَتَ يَدُ النَّوَى
 وَقَدْ طَمِعْتَ فِي جَانِبِي كُلَّ مَطْمَعٍ
 فَلَا كَانَ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَلْبَيْنَ مَوْضِعِي
 لَقَدْ كُنْتُ مِنْهُ فِي جَنَابٍ ^(٤) مُنْعٍ ^(٥)
 فَيَا رَاحِلًا لَمْ أَدْرِ كَيْفَ رَحِيلُهُ
 لِمَا رَاعَنِي ^(٦) مِنْ خَطِيئِهِ ^(٧) أَلْتَسَرَّعَ
 يُلَاطِفُنِي بِالْقَوْلِ عِنْدَ وَدَاعِهِ لِيُذْهِبَ عَنِّي لَوْعَتِي وَتَفْجِئَتِي

(١) مهلاً (٢) يابعد (٣) اتقلت (٤) ناحية (٥) قروي (٦) انزعني

(٧) امره المكروه

وَمَا قَضَى التَّوْدِيعُ فِينَا قَضَاءَهُ
 رَجَعْتُ وَلَكِنْ لَا تَسَلْ كَيْفَ مَرْجِي
 يَا عَيْنِي الْعَبْرَى ^(١) عَلَيَّ تَسْكِي
 وَيَا كَيْدِي الْحَرَى ^(٢) عَلَيْهِمْ تَقْطِئِي
 جَزَى اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ خَيْرَ جَزَائِهِ وَحَيْثُ عَنِيَ الشَّمْسُ فِي كُلِّ مَطْلَعٍ
 وَيَا رَبِّ جَدِّدْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا سَلَامِي عَلَى ذَلِكَ الْحَبِيبِ الْمَوْدِعِ
 فَهَوَا بَعْدَنَا تَلَقَّوْا مَكَانَ حَدِيثِنَا لَهُ أَرْجُ ^(٣) كَالْعَبْرِ الْمَضْوَعِ
 وَيَعْلَقُ فِي أَنْوَاجِكُمْ مِنْ تَرَابِهِ
 شَذَا أَلِيسَكِ مَهْمَا يُنْسَلِ الثُّوبُ يَنْسَطِعِ
 أَحْبَابَنَا لَمْ أَنْسَكُمْ وَحَبَاتِكُمْ وَمَا كَانَ عِنْدِي وَذُكُكُمْ بِضُيْعِ
 رَحَلْتُمْ فَلَا وَاللَّهِ مَا خُنْتُ عَنْدَكُمْ وَمَا كُنْتُ فِي ذَلِكَ الْوَدَاعِ يَدْعِي
 وَقُلْتُمْ عَلِمْنَا مَا جَرَى مِنْكَ كُلُّهُ فَلَا تَظْلِمُونِي مَا جَرَى غَيْرُ أَدْمِئِي
 كَمَا قُلْتُمْ يَهْنِيكَ نَوْمُكَ بَعْدَنَا
 وَمَنْ أَيْنَ نَوْمُ لِّلْكَتِيبِ الْعُرُوعِ ^(٤)
 إِذَا كُنْتُ يَقْظَانَا أَرَاكُمْ وَأَنْتُمْ
 مُقِيمُونَ فِي قَلْبِي وَطَرَفِي وَمَسْمِي

(١) الدامعة (٢) موتى الحراز وهو ذو العطر الشديد (٣) الارج

الريح الطيب (٤) من روعه اذا خوفه وافزع

وقال ابن الدمينه

أَلَا يَا صَبَا نَجِدْ مَتَى هَجْتِ مِنْ نَجْدِ
 لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدَاً عَلَى وَجْدِ
 لَيْنِ هَمَّتْ وَرَقَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى
 عَلَى فَتَنِ غَضْرِ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ^(١)
 بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْحَزِينُ وَلَمْ أَكُنْ
 جَزُوعاً وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْحُبَّ إِذَا دَنَا

يُمَلُّ وَأَنَّ الْتَأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
 بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرُ مِنَ الْبُعْدِ
 عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّرِّ لَيْسَ بِتَافِعٍ إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وَدِّ

وقال آخر

وَالَّذِي بِالنِّينِ وَأُنْبَعِدِ ابْتِلَانِي مَا جَرَى ذِكْرُ الْحِمَى إِلَّا شَجَانِي
 حَذَا أَهْلُ الْحِمَى مِنْ حَيْرَةٍ شَفَّنِي الشُّوقُ إِلَيْهِمْ وَبَرَانِي^(٢)
 كَمَا رَمْتُ سُلُوءًا عَنْهُمْ جَذَبَ الشُّوقُ إِلَيْهِمْ يِعْنَانِي

(١) رونق الضحى حسنه وشراره . والرند شجر طيب الرائحة (٢) شفه

دَهَبَ النُّعْرُ وَلَمْ أَحْظَ بِهِمْ وَتَقَضَّى فِي تَنْبِيهِمْ زَمَانِي
لَا تَرِيدُونِي غَرَامًا بَعْدَكُمْ حَلَّيْ مِنْ بُعْدِكُمْ مَا قَدْ كَفَانِي
يَا خَلِيلِي أَذْكُرَا الْعَهْدَ الَّذِي كُنْتُمَا قَبْلَ النَّوَى عَاهِدْتُمَانِي
وَأَذْكُرَانِي مِثْلَ ذِكْرِي لَكُمَا فَمِنْ الْإِنْصَافِ أَلَا تَنْسِيَانِي
وَأَسْأَلَا مَنْ أَنَا أَهْوَاهُ عَلَى أَيِّ جُرْمٍ صَدَّ عَنِّي وَجْهَانِي

وقال ابو الحسن النوري

رُبُّ وَرَقَاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي قَتَرِ
ذُكُورَتِ إِنْفَاءً وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فُبُكَائِي رُبَّمَا أَرْقَمَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَنِي
وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ تَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي

وقال ياقوت بن عبد الله المستعصي الكاتب

يَا مَجْلِسًا مُذْ فَقَدْتُ بَهْجَتَهُ أَصْبَحْتُ وَالْحَادِثَاتِ فِي قَرَنٍ^(١)
وَأَوْجَهَا مُذْ عَدِمْتُ رُؤْيَيْهَا مَا نَظَرْتُ مُقَلَّتِي إِلَى حَسْرٍ
لَا بَلَغَتْ مُهْجَتِي مَا رَيْبَهَا إِنْ سَكَنْتَ بَعْدَكُمْ إِلَى سَكَنٍ^(٢)

(١) القرن جبل يجمع به البعيران . ويريد انه اصبح ملتصقا بالخادئات

(٢) سكنت مالت وارتاحت . والسكن كل ما يستأنس به

ومن قصيدة لداود بك عمون

هَاجَ أَشْوَاقِي إِلَى الدِّمَنِ طَائِرٌ غَنَى عَلَى قَتَنِ
إِيهِ يَا قُمْرِيَّ إِنَّ يَنَا فَوْقَ مَا يُبْكِيكَ مِنْ شَجَنِ
وَلَوْ أَنَّ الدَّمْعَ مُنْطَلِقٌ لَهَمَى كَالْعَارِضِ الْهَتَنِ^(١)
حَبْدًا الْمُصْطَافُ فِي جَبَلٍ يَنْطَحُ الْجُوزَاءُ بِالْقَتَنِ^(٢)
مَوْتِلُ الْأَحْرَارِ مِنْ قَدَمِ وَأَبَاةِ الضَّيْمِ مِنْ زَمَنِ
قَبْنُو لُبْنَانَ أَسْدٌ وَغَى أَطْلَقَتْ فِيهِمْ يَدُ الْعَحَنِ
وَأَخْتِلَافُ الدِّينِ أَوْزَنُهُمْ عِلَلُ الْأَحْقَادِ وَالْإِخَنِ
لَيْتَ ذَا عَزْمٍ يَضُمُّهُمْ ضِمَّةَ الْأَعْضَاءِ فِي الْبَدَنِ
فَيُمِيدُوا السَّابِقَاتِ مِنْ آلِ مَجْدٍ وَالْعَلِيَاءِ لِلْوَطَنِ
يَا بَنِي أُمِّي إِذَا حَضَرَتْ سَاعَتِي وَالطَّبُّ أَسْلَمَنِي
اجْعَلُوا فِي الْأَرْضِ مَقْبَرَتِي وَخُذُوا مِنْ ثَلْجِهِ كَفْنِي

(١) القمري ضرب من الحمام (٢) همى الدمع سال لا يثنيه شيء . .
والعارض السحاب والهنق المنصب وهو خطأ وقع فيه المتن . والصحيح الهاتن
(٣) الجوزاء . برج في السماء . والقن جمع القنة وهي الجبل الصغير

الباب العاشر

في الشكوى والعتاب والاستعطاف

« من قصيدة لابي فراس بعث بها الى سيف الدولة من الاسر »

يَا حَسْرَةً مَا أَكَادُ أَحْيَلَهَا آخِرُهَا مُزْعِجٌ وَأَوَّلُهَا
عَلِيلَةٌ بِالشَّامِ مُفْرَدَةٌ بَاتَ بِأَيْدِي الْعِدَى مُعْلَلَهَا^(١)
تَسْكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرْقٍ تُطْفِئُهَا وَالْهُومُ تُشْعِلُهَا
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ هَلْ لَكُمَا فِي حَمْلِ نَجْوَى يَخْفُضُ حَبْلُهَا^(٢)
قُولَا لَهَا إِنْ وَعَتْ كَلَامُكُمَا وَإِنْ ذِكْرِي لَهَا لِيُذْهِلَهَا
أَسْلَمْنَا قَوْمَنَا إِلَى قُوبٍ أَيْسَرُهَا فِي الْقُلُوبِ أَقْتَلَهَا
يَا سَيِّدَا مَا تُعَدُّ مَكْرَمَةٌ إِلَّا وَفِي رَاحَتِهِ أَكَلَهَا
أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا أَنْتَ بِلَادٌ وَنَحْنُ أَجْبَلُهَا
أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابِلُهُ أَنْتَ يَمِينٌ وَنَحْنُ أَنْفَلُهَا
بِأَيِّ عُذْرٍ رَدَدْتَ وَالْهَمَّةَ عَلَيْكَ دُونَ الْوَرَى مُعَوَّلُهَا^(٣)
جَاءَتْكَ تَمَاتُحٌ^(٤) رَدَّ وَاحِدَهَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُقِيلُهَا^(٥)

(١) علاه بالشيء لهاء به (٢) التجوى السر (٣) عول عليه اتكل

(٤) تماتح تطلب (٥) ترجبها

سَمَحْتَ مِنِّي بِمُهْجَةٍ كَرَّمْتَ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَبْذُلِ الْفِدَاءَ لَهَا
 تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ كَيْفَ تُهْمِلُهَا
 تِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتَ لَنَا
 أَرْحَامَنَا مِنْكَ لَمْ تُقْطِعْهَا
 أَتَيْنَ الْمَالِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا
 يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ لَوْ بَصُرْتَ بِنَا
 رَأَيْتَ فِي الضَّرِّ أَوْجُهًا كَرَّمْتَ
 قَدْ أَثَرَ الدَّهْرِ فِي مَحَاسِنِهَا
 لَا يَفْتَحُ النَّاسُ بَابَ مَكْرَمَةٍ
 أَيْتَبِرِي دُونَكَ الْكَرَامُ لَهَا
 فَإِنْ سَأَلْنَا سِرَّاكَ عَارِفَةً
 لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ أُمَّةٌ عُرِفَتْ
 أَنْتَ عَلَى يَأْسِهَا مُؤَمِّلُهَا
 فَلَمْ أَزَلْ فِي رِضَاكَ أَبْذُلُهَا
 تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ كَيْفَ تُنْفِلُهَا
 كَيْفَ وَقَدْ أَحْكَمْتَ تُحْلِلُهَا
 وَلَمْ تَرَلْ دَائِبًا تُوصِلُهَا
 تَقُولُهَا دَائِمًا وَتَقْعَلُهَا
 فَحِيلُ أَقْيَادَنَا^(١) وَنَنْفِلُهَا
 فَارَقَ فِيكَ الْجَمَالَ أَجْمَلُهَا
 تَعْرِفُهَا تَارَةً وَتَجْهَلُهَا
 صَاحِبُهَا السُّتَنَاتُ يُثْقِلُهَا
 وَأَنْتَ قَمَقَامُهَا وَمَعْقِلُهَا^(٢)
 فَبَعْدَ قَطْعِ الرِّجَاءِ نَسَأَلُهَا
 إِلَّا وَفَضْلُ الْأَمِيرِ يَشْمَلُهَا

«وقال ايضاً»

كَيْفَ أَنْبِي الْأَمْلَاحَ مِنْ سَعْيِ قَوْمٍ حَبَبُوا الْخَزَمَ فِيهِ أَيُّ ضَيَاعٍ
 فَطَاعَ الْقَالَ غَيْرُ سَيِّدٍ رَسِيدُ الْقَالَ غَيْرُ مُطَاعٍ

(١) جمع قيد (٢) انا لا امرض به راقعة ام السيد الكثير الطاء

« وقال من قصيدة يشكو فيها من الدهر »

ويفتخر بقومه

وَكَيْفَ تَرْجُونَ لِي سُلوًا وَعِنْدِي الْمَعْدُ الْمَقِيمُ
وَمُقَلَّتِي مِلْوَهَا دُمُوعُ وَأَضْلِي حَشْوَهَا كُلوُ
تَدِيئِي النَّجْمُ طُولَ لَيْلِي حَتَّى إِذَا غَارَتْ النُّجُومُ
أَسَامَنِي الصُّبْحُ لِلْبَلَايَا فَلَا حَيْبُ وَلَا نَدِيمُ
تِلْكَ سَجَايَا مِنْ أَلْيَالِي لِلْبُؤْسِ مَا يَخْلُقُ النَّعِيمُ^(١)
وَنَحْنُ مِنْ عَصَبَةِ وَأَهْلِ يَضُمُّ أَعْضَاءَنَا الْأَرْوَمُ^(٢)
لَمْ تَتَفَرَّقْ لَنَا خُوُلُ فِي أَلِيزٍ مِنَّا وَلَا عُمُومُ
وَدَادُهُمْ خَالِصٌ صَحِيحُ وَعَهْدُهُمْ ثَابِتٌ مُقِيمُ
وَهَلْ يُسَاوِيهِمْ قَرِيبُ أَمْ هَلْ يُدَانِيهِمْ حَمِيمُ
يَغَيِّرُ الدَّهْرُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ صَحِيحٌ لَهُمْ سَلِيمُ
أَيَّدِي لَهُمْ عِنْدُ كُلِّ خَطْبٍ يُشْنِي بِهَا أَلْحَادِثُ الْجَسِيمُ
لَمْ تَنَأْ عَنَّا لَهُمْ قُلُوبُ وَلَا نَأَتْ عَنْهُمْ جُسُومُ
وَلَا عَدِمْنَا لَهُمْ ثَنَاءً كَأَنَّهُ أَلْوُلُؤُ النَّظِيمُ
لَقَدْ نَهْنَأَ لَهُمْ أَصُولُ مَا مَسَّ أَغْرَاقُهُنَّ لَوْمُ

(١) أي ان الذي يخلقه النعم مصيره للبؤس (٢) الاصل

« وله من قصيدة »

أَعْيَا عَلَيَّ أَخٌ وَثَقْتُ بِوَدِّهِ وَأَمِنْتُ فِي الْحَالَاتِ عُقْبَى غَدْرِهِ
وَحَبَرْتُ هَذَا الدَّهْرَ خَبْرَةً نَاقِدٍ حَتَّى أُنْسْتُ بِخَيْرِهِ وَبِشَرِّهِ
لَا أَشْتَرِي بَعْدَ التَّجَرُّبِ صَاحِبًا إِلَّا وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي لَمْ أَشْرِهِ
وَيَجِيءُ طَوْرًا ضُرُّهُ فِي نَفْعِهِ جَهْلًا وَطَوْرًا نَفْعُهُ فِي ضُرِّهِ
أَنْفِقُ مِنَ الصَّبْرِ الْجَبِيلِ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْشَ قَرَأَ مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ
فَأَحَبُّ إِنْخَوَانِي إِلَيَّ أَبْشُهُمُ بِصَدِيقِهِ فِي يَسَرِّهِ أَوْ جَهْرِهِ
لَا خَيْرَ فِي بِرِّ الْفَقَى مَا لَمْ يَكُنْ أَصْفَى مَشَارِبِ بِرِّهِ فِي يَسَرِّهِ
أَلْقَى أَلْفَتِي فَأَرِيدُ فَاِضْ بِشَرِّهِ وَأَجِلُّ أَنْ أَرْضَى بِفَاِضِ بِرِّهِ

وقال عبد الرحمن الاربلي

« من قصيدة »

رُبُّ دَارٍ بِأَلْفَضَا طَالَ بِلَاهَا عَكَفَ الزَّكْبُ عَلَيْهَا وَبَكَاهَا
دَرَسْتُ إِلَّا بَقَايَا أَسْطَرِ سَمَحَ الدَّهْرُ بِهَا ثُمَّ حَمَاهَا
كَانَ لِي فِيهَا زَمَانٌ وَمَضَى فَسَقَى اللَّهُ زَمَانِي وَسَقَاهَا
وَقَفْتُ فِيهَا النَّوَادِي وَقَفَّةً أَلْصَقْتُ حُرَّ حَيَاهَا^(١) بِثَرَاهَا
وَبَكْتُ أَطْلَالَهَا نَائِبَةً عَنْ جُفُونِي أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاهَا

(١) اي مطرها الكريم

قُلْ لِيَجِيرَانَ مَوَائِبُهُمْ
 كُنْتُ مَشْغُوفًا بِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
 لَا تَبْتَئُ اللَّيْلَ إِلَّا حَوْلَهَا
 وَإِذَا مُدَّتْ إِلَى أَغْصَانِهَا
 فَتَرَاحَى الْأَرْضُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
 تَنْخَبِبُ الْأَرْضُ فَلَا أُطْرِقُهَا
 لَا يَرَانِي اللَّهُ أَرَعَى رَوْضَةً
 وَإِذَا مَا طَمَعُ أَغْرَى بِكُمْ
 فَصَابَاتُ الْهَوَى أَوْلَهَا
 لَا تَظُنُّوا لِي إِلَيْكُمْ رَجْعَةٌ
 كُلَّمَا أَحْكَمَتَهَا دَثَّتْ قَوَاهَا
 شَجَرًا لَا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهَا
 حَرَسُ تَرْشَحُ بِالْمَوْتِ طُبَاهَا
 يَدُ جَانٍ قُطِعَتْ دُونَ جَنَاهَا
 هَمَلًا يَطْمَعُ فِيهَا مَنْ يَرَاهَا
 رَانِدًا إِلَّا إِذَا عَزَّ جِهَاهَا
 سَهْلَةً إِلَّا كُتَافٍ مَنْ شَاءَ رَعَاهَا
 عَرَضَ الْيَأْسُ لِنَفْسِي فَنَنَاهَا
 طَمَعُ النَّفْسِ وَهَذَا مُنْتَهَاهَا
 كَشَفَ التَّجْرِبُ عَنْ عَيْنِي عَمَاهَا

نجوى

« لخير الدين الزركلي »

أَلَيْتَ بَعْدَ فِرَاقِهَا الْوَطَنَا
 رِيَانَةٌ بِالْذَّمِّ أَقْلَمَهَا
 كَانَتْ تَرَى فِي كُلِّ سَانِحَةٍ
 وَالْقَلْبُ لَوْلَا أَنَّهُ صَدَّتْ
 لَيْتَ الَّذِينَ أَحْبَبُّهُمْ عَلِمُوا
 لَا سَاكِناً أَلِفْتُ وَلَا سَكَنًا
 أَنْ لَا تَحِسَّ كَرَى وَلَا وَسَنًا
 حُسْنًا وَبَاتَتْ لَا تَرَى حَسَنًا
 أَنْكَرْتُهُ وَشَكَّكْتُ فِيهِ أَنَا
 وَهُمْ هُنَالِكَ مَا لَفَيْتُ هُنَا

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي مُفَارِقَهُمْ
 يَا مَوْطِنَا عَيْتَ الزَّمَانِ بِهِ
 قَدْ كَانَ لِي بِكَ عَنْ سِوَاكَ غِنَى
 مَا كُنْتُ إِلَّا دَوَّضَةً أَنْفًا^(١)
 عَطَفُوا عَلَيْكَ فَأَوَسَّعُوا أَذَى
 وَجَنُوا عَلَيْكَ فَجَرَّدُوا قُضْبًا
 يَا طَارِئًا غَنَى عَلَى حُصْنِ
 زِدْنِي وَهَجَّ مَا شِلْتَ مِنْ شَجْنِي
 أَذْكَرْتَنِي مَا لَسْتُ نَاسِيَهُ
 أَذْكَرْتَنِي (بَرْدَى) وَوَادِيَهُ
 وَأَجَبَةً أَسْرَدْتُ مِنْ كَلْفِي
 كَمْ ذَا أَغَالِبُهُ وَيَقْلِبُنِي
 لِي ذِكْرِيَّاتٌ فِي رُبُوعِهِمْ
 إِنَّ الْغَرِيبَ مُعَذِّبٌ أَبَدًا
 لَوْ مَقُلُوا لِي مَوْطِنِي وَتَنَا

حَتَّى تَفَارِقَ دُوحِي الْبَدَنَا
 مَنْ ذَا الَّذِي أَغْرَى بِكَ الزَّمَنَا
 لَا كَانَ لِي سِوَاكَ عَنْكَ غِنَى
 كَرَّمْتَ وَطَائِبْتَ مَغْرَسًا وَجَنَى
 وَهُمْ يُسُونُ الْأَذَى مِثْنَا
 مَسْنُونَةً وَتَقَدَّمُوا بِقَنَا
 (وَالْبَيْلُ) يَسْقِي ذَلِكَ الْفُصْنَا
 إِنْ كُنْتُ مِثْلِي تَعْرِفُ الشَّجَنَا
 وَلَرُبُّ ذِكْرِي جَدَّدَتْ حَزْمَا
 وَالطَّيْرَ آحَادًا بِهِ وَتَنَا^(٢)
 وَهَوَايَ فِيهِمْ لَا عَجَابَ كَمْنَا^(٣)
 دَمَعٌ إِذَا كَفَّكَتُهُ هَتَا
 هُنَّ الْحَيَاةُ تَأَلَّفَا وَسَنَى
 إِنْ حَلَّ لَمْ يَنْعَمْ وَإِنْ ظَلَمْنَا
 لَهَمَّتْ أَعْبُدُ ذَلِكَ الْوَتْنَا^(٤)

(١) الروضة الأنف التي لم يرها احد (٢) اصله تَنَا قَصِيرٌ للشعر ومناه

اثنين اثنين (٣) معنى اسر هنا اظهر . واللاع الهوى المحروق . وكن توارى

(٤) اعيد منصوب بأن المحذوفة للضرورة

ومن قصيدة لولي الدين يكن

لِيَا لِيْ أَبْلِي مِنْ هُمُومِي وَجَدِيدِي لَكَ الْأَمْرُ لَا تَقْوَى عَلَى دَدِهِ يَدِي
فَا أَرْتَجِي وَالْأَرْبَعُونَ تَصَرَّمْتُ وَلَا عَيْشَ إِلَّا يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَدِي
سَكَتٌ سَكُونًا لَا يُرَبِّكَ أَمْتِدَادُهُ فَلَا خَاطِرِي بَاقٍ وَلَا الشَّعْرُ مُسْعِدِي
وَلَا فِي مِنْ رُوحِ الشَّبَابِ بَقِيَّةُ وَلَسْتُ بِشَتَاقٍ وَلَا مُتَوَجِّدِ
حَزَنْتُ عَلَى الْمَاضِي ضَلَالًا وَمَنْ يَعِشْ كَمَا عِشْتُ لَمْ يَحْزَنْ وَلَمْ يَتَجَلَّدِ
سَمَى اللَّهُ دَارَاتِ الْقَرَّافَةِ (١) دِيَّةُ تُرِفُّ عَلَى قَوْمٍ هُنَا لِكَ هُجْدِ
تَعَوَّدَ كُلُّ بُؤْسَهَا وَنَعِيمَهَا وَعِشْنَا عَلَى بُؤْسٍ وَلَمْ نَتَعَوَّدِ
أَجْنُ إِلَى تِلْكَ الْمُرَاقِدِ فِي الثَّرَى وَلَوْ اسْتَطِيعَ الْيَوْمُ لَاخْتَرْتُ مُرْقَدِي
فَأَنْزَلْتُ جِسْمِي مَنْزِلًا لَا يَمْلَهُ يَكُونُ بَعِيدًا عَنِ أَعَادٍ وَحُسْدِ
وَمَا يَتَمَنَّى الْحُرُّ فِي ظِلِّ عَيْشَةٍ تَمُرُّ لِأَحْرَارٍ وَتَحُلُو لِأَعْبُدِ
لَقَدْ أَتَعَبْتَنِي وَالْمَتَاعُ جَمَّةُ مَسِيرُهُ يُؤْمِي بَيْنَ أَمْسِي وَالْفَدِ
أَلْمَآئِينَ أَنْ يَسْتَرِيحَ مُجَاهِدُ أَلْمَآئِينَ أَنْ يَبْلُغَ الْمَنْهَلُ الصَّدِي (٢)
تَرَهَّدْتُ فِي وَصْلِ الْمَعَالِي جَمِيعِهَا وَمَنْ يَطْلُبُنَا كَاظِلًا لِي يَزْهَدِ
وَبَتْ تَسَاوَتْ فِي فَوَادِي مَنَاهِجُ تُؤَدِّي لِنُخْضٍ أَوْ تُؤَدِّي لِسُودَدِ

(١) الدارات اراض واسعة بين جبال والقرافة مكان بسفح المقطم في جوار

القاهرة (٢) الصدي العطشان وهو فاعل يبلغ

حِلَاثِي فِي يَنْتِ صَنِيرٍ مُهْدَمٍ كَأَنِّي فِي قَعْرِ كَبِيرٍ مُشِيدٍ
 عَمَّا اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ أَتَانِي غَدْرُهُمْ قَرُبٌ مُسِيءٌ لَمْ يُسَيِّ عَنْ تَعْدٍ
 وَكَمْ مِنْ نَفُوسٍ يَسْتَطِيلُ ضَلَالُهَا وَلَكِنْ مَتَى مَا تُبْصِرَ النُّورَ تَهْتَدِ
 فَيَارِيحُ إِنْ يَعْصِفُ بِي الشَّجْوُ سَكَنِي وَيَا غَيْثُ إِنْ يُضْرِمْنِي الْوَجْدُ أَخْمِدِ
 وَيَا سَاكِنَاتِ الطَّيْرِ فِي دَوْلَةِ الدُّجَى أَرَى إِنْ دَعَاكَ الصُّبْحُ إِلَّا تُغَرِّدِي
 لَدَيَّ شِكَايَاتٍ وَأَنْتِ شَجِيَّةٌ فَإِنْ تَسْتَطِيعِيهَا لِشَجْوِكَ أَنْشِدِي
 وَلَا تَخْشِي التَّقْلِيدَ يَذْهَبُ حُسْنُهَا فَكَمْ حَسَنَاتٍ قَدْ أَتَتْ مِنْ مُقْلِدِ
 تَرَكْتُ أَلْفَنِي لَا عَاجِزَ عَنْ طَلَابِهِ وَأَزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَنَازِلِ حَتِيدِي
 وَهَذِي بِحَدِّ اللَّهِ مِنِّي بَرَاءَةٌ فَيَا أَفُقَ سَجَلْهَا وَيَا أَنْجُمَ أَشْهَدِي

صلى الياس

« من قصيدة لامين ناصر الدين »

آثَرُ الدَّهْرِ أَنْ أَعِيشَ كَغَيْبَا بَيْنَ قَوْمِي وَفِي بِلَادِي غَرِيبَا
 تَلْتَجِي قَلْبِي الْهُمُومُ دِرَاكًا وَإِلَى الْخُطُوبِ تُرْجِي الْخُطُوبَا
 حَسِبَ الدَّهْرُ أَنَّي مِنْ جَمَادٍ فَرَمَانِي بِالنَّائِبَاتِ ضُرُوبَا
 غَيْرَ أَنَّ الْأَرْزَاءَ مَا أَفْهَدْتَنِي جَادًا رَاسِخًا وَعُودًا صَلِيبَا
 ضَاعَ رَأْيِي فِي مَنْ أَرَى حِينَ أَمَسَتْ أَلْسُنُ النَّاسِ لَا تُطِيعُ الْقُلُوبَا
 تَارَةً أَحْسَبُ الْحَبِيبَ بَيْضًا وَرَمَانَا أَرَى الْبَغِيضَ حَبِيبَا

وَلَكُمْ بِتِ رَاضِيًا عَنْ أَنَاسٍ
وَلَكُمْ قَدْ وَثِقْتُ بِالْبَعْضِ لَكِنِ
يَنْتَجِبُنِي الْأَنَامُ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ
يَخْسَبُونَ الْجَبِيلَ أَتَسَوًّا صُنْعِ
وَدَّ غَيْرِي دَوَامَ عَصْرِ شَبَابِ
حَبْدًا الشَّيْبُ فِي دُجَى الشَّرْطِ صَبْحًا
لَا تَظُنُّ أَنَّ فِي الْعَيْشِ طِيبًا
أَرْقُبُ النِّجَمَ فِي الدِّيَاجِي وَمَا مِنْ
غَيْرِ أَنِّي أَرَى لَهُنَّ خُفُوقًا
وَيَزِيدُ النَّسِيمُ قَلْبِي حَرًّا
وَلِذَا مَا رَأَيْتُ إِشْرَاقَ شَمْسٍ
يَا هَزَارَ الْأَرَاكِ إِنَّكَ أَوْفَى
أَنْتَ تَشْدُو عَلَى الْغُصُونِ سُرُورًا
أَنْتَ تَبْغِي الْبَقَاءَ فِي ظِلِّ دَوْحِ
لَكَ فِي الطَّيْرِ أَوْفَىاءَ وَلِإِنِّي
يَا هَزَارَ الْأَرَاكِ لَوْ كُنْتُ مِثْلِي
لَيْسَ مِنْ طَبْعِي الْكَاتِبَةُ لَكِنِ

حِينَ أَصْبَحْتُ غَادَرُونِي غَضُوبًا
قَدْ أَبَى الْخَيْرُ أَنْ أَكُونَ مُصِيبًا
وَمَتَى أَدْعُ لَا أَلَاقٍ مُجِيبًا
وَالسَّجَايَا الْمُكَمَّلَاتِ عُيُوبًا
يَتِمَّا جِئْتُ أَسْتَحِثُّ الْمَشِيبَا
مُنْبَأً أَنْ لِلْحَيَاةِ غُرُوبًا
ضَلَّ مَنْ خَلَنَ فِي الْخَبَائِثِ طِيبَا
وَلَهُ بِتِ لِلنُّجُومِ رَقِيبَا
كَمْوَادٍ يُخَيِّ الطَّلَامَ طَرُوبًا
مِثْلَ قَارٍ بِالرَّيْحِ زَادَتْ لَهِيْبَا
قُلْتُ يَا لَيْتَهُ يَعُودُ مَغِيبَا
فِي الْمَلَذَّاتِ مِنْ سِوَاكَ نَصِيبَا
وَأَنَا أَجْعَلُ الْقَرِيبَ نَجِيبَا
وَأَنَا أَبْتَغِي الْفَنَاءَ الْقَرِيبَا
لَمْ أَجِدْ فِي الْأَنَامِ إِلَّا مَرِيبَا
لَا سَتَحَالَ الصَّدَاحُ مِنْكَ نَعِيبَا
آثَرَ الدَّهْرِ أَنْ أَعِيشَ كَنِيبَا

أيها الأغنياء

« بقلم بشاره الحوري صاحب البرق »

رَجُلٌ ذُو رُوءٍ وَ سَخَاءٍ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ إِنْ كَانَ فِيكُمْ
نَبْتَيْهَا مَعَايِرَ الْفُقَرَاءِ	فَلْيَبْرَهَنَّ عَلَى الرُّوءِ إِنَّا
بَدَّ هَذَا السَّخَاءُ فِي الْأَغْنِيَاءِ	وَلْيَبْرَهَنَّ عَلَى السَّخَاءِ لَكِنِّي نَهَ
قَامَ فِيكُمْ يُخَيِّ دَفِينَ الرَّجَاءِ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ أَيُّ مَسِيحٍ
لِصِفَارٍ بَاتُوا بِدُونِ عَشَاءِ	كَمْ قَصِيرٍ فِي اللَّيْلِ يَبْكِي دِمَاءَ
رَمَى أَجْهَشُوا لَهُ بِالْبُكَاءِ	لِصِفَارٍ أَبْوَهُمْ يَقْضُمُ الْجَنَّةِ
مَهْدِ نَيْنِ الرَّغِيفِ وَالْأَحْشَاءِ	لِصِفَارٍ نَسُوا الرَّغِيفَ لَطُولِ أَلَا
لَا تَرَى فِي حَشَاهُمْ غَيْرَ مَاءِ	لِصِفَارٍ إِذَا شَقَّتْ حَشَاهُمْ
فِي اللَّيَالِي وَآمَشُوا عَلَى الْقُبَرَاءِ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ جُولُوا قَلِيلًا
سِ كَفَقْتُمْ مِنْ أَدْمَعِ الْبُوسَاءِ	عَلَّكُمْ إِنْ لَسْتُمْ الْبُوسَ فِي النَّأِ
كَمْ صَبِيٍّ يَنْوَحُ كَمْ عَذْرَاءِ	كَمْ عَجُوزٍ يَنْفُ فَوْقَ عَصَاهُ
كَفَّ مُسْتَظِرٌّ نَدَى الْكُرْمَاءِ	لَبَسُوا اللَّيْلَ بَاسِطِينَ وَرَأَاهُ
نَفَرٌ لَا يُعَدُّ فِي الشَّرَفَاءِ	أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ عَفُوا قَبِيْكُمْ

(١) نظمت عام ١٩١٤ يوم انتشر الجراد في سماء بيروت وظهر جشع
الاغنياء باحتكار القوت والنور فأقضوا مضاجع الفقراء وزادوا في شقاء البوساء

يَا لَهُمْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَنْهَاءٍ
فَأَطِيقِ بِالشَّبَةِ الْخَضْرَاءِ^(١)
وَأَنْشِرِ الْمَوْتَ فَهُوَ عَدْلُ جَزَاءِ
مَيِّ وَلَا يَبْقَى بَعْدَنَا ذُو تَرَاءِ
مِنْكَ شَرٌّ مِنْ كَاسِرِ الْجَمَاءِ
وَإِحْدٍ يَخْزُونَهُ لِلْفَنَاءِ
بَعْضُهُ يَا جَرَادُ مِلْهُ الْقَضَاءِ
رَفِيًّا لَيْلُ أَيْنَ عَيْنُ ذُكَاةِ
نَحْنُ نَحْيَا بِمُخِيزَاتِ السَّمَاءِ
شَيْدَتُهُ سَوَاعِدُ الْفُقَرَاءِ
مَنْ بَنَاهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ
مَنْ تَرَى حَاكِمَهَا سِوَى الْفُقَرَاءِ
طَائِفُهُ لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ
غَارِسُوهَا لَكُمْ سِوَى الْفُقَرَاءِ
كَانَ مِنْ صَدْرِ مُعْظَمِ الْفُقَرَاءِ
فَأَذْكُرُوهُمْ لُطْفًا بِبَعْضِ الْجَزَاءِ

سَاعِدَ الْفَقْرَ وَالْجَرَادَ عَلَيْنَا
أَيُّهَا ذَا الْجَرَادُ عَذْرُكَ مَقْبُولُ
إِهْطِ الْحِطْلَ وَاللَّهْمَ مَا تَرَاهُ
أَنْشِرِ الْمَوْتَ مَا اسْتَطَعْتَ فَلَا نَبْ
أَيُّهَا ذَا الْجَرَادُ فِي النَّاسِ شَرُّ
يَقْتُلُونَ الْفَقِيرَ حُبًّا بِفَلَسِ
مَمْنُونًا الدَّقِيقَ وَهُوَ كَثِيرُ
مَمْنُونًا الضِّيَاءِ فَاحْتَكِرُوا النُّو
أَيُّ شَيْءٍ لَمْ يَمْنُوهُ عَلَيْنَا
أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ إِنَّ غَنَاكُمْ
الْفُصُورُ الَّتِي يُقِيمُونَ فِيهَا
وَالْيَابُ الَّتِي تُبَاهُونَ فِيهَا
وَالطَّعَامُ الَّذِي تَلَذُّونَ مِنْهُمُ
وَالرِّيَاحِينَ فِي الْجَنَائِنِ مِنْهُمُ
وَالْحَلِيبُ الَّذِي رَضَعْتُمْ صَغَارًا
كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ هُمْ أَفْصَاعِلُوهُ

(١) الباء الداخلة على الشبهة بمعنى على أي أطبق على الشبهة الخضراء من

طبقت الحمى عليه إذا داءت وكانت مطبقة فلم تفارق

لَا تَقُولُوا وَسَاوِسُ مِنْ قَتِيرٍ دَوَّخُهُ طَوَارِقُ الْأَرْزَاءِ
إِنَّ الْفَقْرَ قُوْدَةٌ لَوْ عَلِمْتُمْ تَسْبَحُ النَّاسُ دُونَهَا فِي الدِّمَاءِ

اجل سمننا الموانا^(١)

«الشاعر نفسه»

قَدْ سَمِنَا أَجَلَ سَمِنَا أَلْهَوَانَا	وَسَمِنَا مِنْ أَجْلِهِ لُبْنَانَا
فَهَجَرْنَا تِلْكَ الرُّبُوعَ أَلْسَوَاتِي	تَخَذَتْهَا أَجْدَادُنَا أَوْطَانَا
أَرْبَعُ ثُلُثُ الدَّلِيلِ مِنَ النَّاسِ	سِ وَتَزَعَى أَلْسِيمَ وَالْقَرْنَانَا
وَيَعِيشُ الْأَدِيبُ فِيهَا غَرِيبًا	وَيَظَلُّ الْأَبِيُّ فِيهَا مُهَانَا
وَيَبِيتُ الضَّعِيفُ فِيهَا عَلَى الضَّيِّ	مِ فَلَا يَأْلَفُ الْكَرَى الْأَجْنَانَا
حَالَةً نَسْتَمِيدُ بِالْمَدْلِ مِنْهَا	لَا سَلَامًا لَا غِبْطَةً لَا أَمَانَا
إِنِّي لُبْنَانُ وَالْجَدَاوِلُ تَجْرِي	فِيكَ بَرْدًا فَتَشُ أُلْطَانَا
إِنِّي لُبْنَانُ وَاللَّسِيمُ عَلِيلًا	يَتَهَادَى فَيَمِطُ الْأَغْصَانَا
حَبْدًا السَّفْحُ مَعْبَدًا لِيَصْغَارِ أَلْ	طَيْرٌ تَشْدُوا لِرَبِّهَا أَلْأَلْحَانَا
خَافَقَاتِ الْجَنَاحِ لِلشَّمْسِ أَنَا	خَافَقَاتِ الْفَوَادِ لِلْحُبِّ أَنَا

(١) نظمت سنة ١٩١١ على أثر الحوادث الدموية التي جرت ذلك العام في
شمال لبنان وقد حمل الشاعر فيها على يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان
لذلك العهد

آمَنَاتٍ فِي السَّفْحِ كَأَسْرَةِ الْجَوْرِ فَلَا تَأْتِلِي بِهِ طَيْرَانَا^(١)
 وَإِذَا الشَّمْسُ وَدَعَتْ وَدَعَتْ تِلْكَ السَّوَادِي وَالْزَّهْرُ وَالْأَفْئَانَا
 وَأَسْتَرَتْ فِي وَكْرَهَا آمَنَاتٍ كُلُّ قَلْبَيْنِ يَخْضَمَانِ حَنَانَا
 مُطَبَّاتِ الْجُفُونِ يَحْفَظُهَا الْأَمْسَنُ كَمَا الْجَفْنُ يَحْفَظُ الْإِنْسَانَا
 أَيُّهَا ذِي الطُّيُورُ مَنْ قَسَمَ الْحِطُّ وَمَنْ قَالَ لِشَقَا كُنْ فَكَانَا
 أَيُّهَا ذِي الطُّيُورُ لَمْ نَهْدِ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلُ يَخْصُدُ الْحَيَوَانَا
 أَيُّهَا ذِي الطُّيُورُ حَسْبُكَ فِي السَّفْحِ أَنْطِلَاقًا جَوَانِحًا وَلِسَانَا
 أَنْجِيدِنَا الْبَيَانَ عَلَى الْأَفْسَانِ وَالنَّاسُ لَا تُجِيدُ الْبَيَانَا
 وَتُعِيشِينَ وَالرِّجَالُ يَلْبَنَانِ يَمُوتُونَ شَوْعَةً وَهَوَانَا
 إِنْ كَفَا تَفْصِيلُ الْقُوبِ لِلْعُرْسِ لَكَفُ تَفْصِيلُ الْأَكْفَانَا
 رَحْمَةً بِالْقُلُوبِ يَا طَيْرُ غَنِي فَسَانَا نَسْلُو الشَّقَاءَ عَسَانَا
 وَأَسْحَرِينَا بِمَا تُنْقِنُ حَتَّى لَا تَرَى مَضْرَعَ الْعُلَى عَيْنَانَا
 وَأُزْرِعِي طَوْفَكَ الْخَضْبَ إِنَّا نَحْسَبُ الطُّوقَ خَضْبَتَهُ دِمَانَا
 نَحْنُ صِنَوَانِ يَا حَائِمُ فِي الْأَبْوِ سِ كِلَانَا مُطَوَّقَانِ كِلَانَا
 كَيْفَ حَالُ الشِّمَالِ مِنْ أَرْضِ لُبْنَانَا نَ أَمَا ذَالَ يَقْذِفُ النَّيْرَانَا
 وَيُزِيْقُ الْفَتَى دِمَاءَ أَخِيهِ وَنِعَهُ كَانَ قَلْبُهُ صَوَانَا
 إِنْ مَنْ يَزْرَعُ الدِّمَاءَ بِأَرْضِ أَيُّهَا النَّاسُ يَخْصُدُ الْأَهْرَانَا

أَيُّهَا الْحَاكِمُ الَّذِي رَاحَ يَلْهُو إِنَّ فِي اللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ شَقَاتَنَا
 نَبِيَّ الْجَنِّ مِنْ كَرَاكَ فَقَدْ حَا مَت نُسُورُ الْقَلَا عَلَى قَتْلَانَا
 أَرْبَعٌ مِنْ يَدَيْكَ مَاتَتْ وَلَوْلَا أَمَلٌ بِالرَّحِيلِ مَاتَ رَجَانَا
 مَا عَرَفْنَا وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ فِينَا أَمَلِكَا قُوَّتِ أَمْ سُلْطَانَا
 عَجَبًا كَيْفَ رَبُّ يَلْدِزْ يَنْحَطُّ وَيَعْلُو وَيَلْدِزْ شَانَا
 مِثْلُ عَبْدٍ الْحَبِيدِ عِنْدَكَ أَعْوَا نٌ وَلَكِنْ لَمْ يُخْلِصُوا أَعْوَانَا
 مَنُحُوكَ اللِّسَانِ مِنْحَةً تَدْلِيْسُ وَلَكِنْ لَمْ يَمْنُحُوا الْجَنَانَا
 فَإِذَا صَادَفْتِكَ دُهمُ اللَّيَالِي وَتَطَلَّتْ لَا تَرَى إِنْسَانَا

دمعة على الشرق
 « من قصيدة للشاعر نفسه »

لَا أَلُومُ الزَّمَانَ يَا أَيُّهَا الشَّرُّ قُ عَلَى الدَّلِّ بِلِ أَلُومُ الرِّجَالَ
 أَنْتَ كَأَنْتَ غَيْرَ أَنَّ رِجَالَ السُّرْبِ أَمْضَى عَزْمًا وَأَمْضَى مَقَالًا
 كُنْتَ لِأَنْتَ قُدْوَةٌ وَمِثَالًا قَدْ دَا أَلُومُ قُدْوَةٌ وَمِثَالًا
 كُنْتَ مَجْلَى الْأَنْوَارِ فِي سَائِفِ الدَّهْرِ قَبْلًا لِحَالِهِ كَيْفَ حَالًا^(١)
 عِزَّةٌ تَنْطَحُ السَّمَاءَ^(٢) وَمَجْدٌ فِي جَبِينِ الْأَيَّامِ يَحْكِي الْهَلَالَ
 وَرِجَالُ كَمَا نَشَاءُ الْمَلَايِ أَلْبَسُوا الشَّرْقَ رَوْثًا وَجَمَالًا

أَيْنَ تِلْكَ النَّفُوسُ أَخَمَدَهَا الْمَوْتُ تَرَى أَلِيمَ وَالْحَجَى كَيْفَ ذَالَا
 وَتَرَى عَرْشَ عِزِّهَا كَيْفَ تَلَا (١) يَدُ الْفَاشِيَيْنِ (٢) ظُلُمًا فَلَا
 فَتْدَا الْعُرْ حَامِلًا (٣) وَخُمُولُ الْحُسْرِ أَضْحَى فِي الشَّرْقِ شَيْئًا حَلَالًا
 فَإِذَا عَاشَ عَاشَ نَحْمٌ ذَلِيلًا وَإِذَا مَاتَ مَاتَ نَحْمٌ أَغْنِيَالًا (٤)
 أَيُّهَا الشَّرْقُ أَيْنَ أَبْنَاؤُكَ الشَّمْسُ (٥) الْأَوَّلَى فَيْكَ غَامَرُوا الْأَهْوَالَ
 وَالْأَوَّلَى يَبْذُلُونَ فِي سُبُلِ الْمَجْدِ نَفُوسًا لِلذَّلِّ تَأْتِي أَجْتِمَالًا
 هَاجَرُوا خَوْفَ أَنْ يَبَالَهُمُ الظُّلُمُ وَحَطُوا لَدَى سِوَاكَ الرِّجَالَا
 غَيْرَ أَنَّ الْحَيْنَ لِلْوَطَنِ أَلَمَ بُوبُ كَالنَّارِ فِي الْقَوَادِ أَشْتَعَلَا
 يَا سَمَا الشَّرْقِ أَيْنَ أَنْجَمُكَ الرُّزْمُ رُ أَلَيْ قَدْ كَانَتْ لَنَا تَتَلَا
 أَتْرَاهَا حَنَّتْ إِلَى الْقَرَبِ شَوْقًا أَمْ تُرَى أَنْتَ صَفَّتْ عَنْهَا مَجَالَا
 فَأَدَلَّهُمُ الْأَفَقُ الْجَبِيلُ غَدَاةَ أَدَّ شَحَ الشَّرْقِ بِالدَّجَى سِرْبَالَا (٦)
 وَغَدَاً وَالشَّقَاءُ مِلْهُ يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْ جَرَّ لِهِنَا أَذْيَالَا
 يَا بَنِي الشَّرْقِ أَيْنَ كُنْتُمْ سَلَامٌ مِنْ مُجِبِّ يَذْكُرْكُمْ يَتَغَالَى (٧)
 أَنْتُمْ الْقُوَّةُ الَّتِي نَتَرَجَّى ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ تُنْعِشَ الْأَمَالَا
 أَنْتُمْ الْكَفُّ وَالْحَسَامُ فَشَلُّوا كُلُّ غُضُوٍّ تَرَوْنَ فِيهِ أَخْتِلَالَا
 وَأَنْبِذُوا (٨) الْحِشْدَ وَالتَّافَرُوا وَالْأَغْ رَاضٍ وَالْكَبِيرِيَاءُ وَالْأَخْتِيَالَا

(١) هدمته (٢) الظالمين (٣) ساقطاً (٤) الاعتبال القتل على غرة اي غفلة

(٥) جمع اسم وهو السيد الكريم ذو الانفة (٦) قيصاً (٧) يرتفع (٨) اطرحوا

وَأَسْحَبُوا مَفْرَقَ^(١) الْبَقَاةِ وَدُوَسُوا نُصْرَاءَ التَّعَصُّبِ الْأَنْذَالَ
عُصَبِ^(٢) غَلَتِ^(٣) أَلْمَقُولَ وَوَيْلُ الَّذِي رَاحَ يَكْسِرُ الْأَغْلَالَ^(٤)
أَيْهَا الْقَوْمُ حَسْبُكُمْ وَكَفَاكُمْ أَنْ مَكَّنَّا فِي أَسْرِكُمْ أَجْيَالًا
أَيْهَا الْقَوْمُ قَدْ مُنِحْنَا عُقُولًا لَا تُبْقِي وَهْمًا وَلَا إِشْكَالًا
وَمُنِحْنَا حُرِّيَّةً وَإِخَاءً وَمَسَاوَاةً مِنْ لَدُنْهُ تَعَالَى

الامل الهاوي

« للشيخ ابراهيم منذر »

يَادِرَّةَ الشَّامِ بَلْ يَا قِبْلَةَ الشَّامِ كُمْ فِي سَمَائِكَ مِنْ وَحْيٍ وَإِلْهَامِ
يَا رُوحَ سُورِيَّةِ الرَّاقِي وَسُودَدَهَا الْبَاقِي وَبَدَّرَسَنَاهَا السَّاطِعِ السَّامِي
دِمَشْقُ فِي صَفَحَاتِ الْمَجْدِ خَالِدَةٌ ذِكْرُكَ تُزَوِّي بِإِجْلَالِ وَإِعْظَامِ
كَانَ الْخَلِيفَةُ نُورًا فِي جِوَاهِرِ جَمَالِ وَلَمْ يُصَبِّ بَنُوكَ بِإِزْهَاقِ وَإِظْلَامِ
وَكَانَتْ أَلْفَةُ الْفُصْحَى مُعَزَّزَةً تَخْتَالُ عَجَبًا بِأَقْطَابِ وَأَعْلَامِ
وَالْيَوْمَ لَا كَانَ هَذَا الْيَوْمَ لَنْتَ أَرَى فِي الشَّرْقِ إِلَّا أَلْفَوَادَ الشَّامِي الْأَدَامِي
تَرَاظَنَ^(٥) الْقَوْمُ وَالْجِدْنَانُ فَرَقَهُمُ وَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَعْرَابِ وَأَعْجَامِ
لَا أَعْلَمُ زَاهٍ وَلَا رَوْضُ الْجَمِيِّ نَضِيرُ وَلَا كَرَامَةَ لِابْنِ الشَّامِ فِي الشَّامِ
وَرَأَتْ أَلْفَةُ الْفُصْحَى تَقُولُ لَنَا نَكْسَتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَجْدِ أَعْلَامِي
« إِنْ كَانَ مَثَرَتِي فِي الْحَبِّ عِنْدَكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُ قَدْ ضَيَعْتُ أَيَّامِي »

(١) الفرق وسط الرأس (٢) جماعات (٣) علاه وضع الثقل في يده او عثقه

(٤) جمع غل وهو طوق من حديد (٥) تراطن القوم تكلموا بالاعجمية

الشاعر والبورصة

« بقلم الشيخ امين تقي الدين »

قَرَّشُوهَا لَآئِنَا وَنَضَارَا نَمَّ قَالُوا هَٰذَا الطَّرِيقُ فَسَادَا
 لَا تَلُومُوهُ غَرَّهُ الْوَصْفُ حَتَّى قَاتَهُ أَنْ قَضَى سِوَاهُ اغْتِرَادَا
 رَبِّ سَمْعٍ يَجِي ۖ لِلْمَرْءِ عَفْوَا وَشَقَاءُ لَكِنْ يَجِي ۖ اضْطِرَادَا
 طَمَعٌ فِي النَّفْسِ أَنْ يَحْسَبَ الْمَرْءُ طَرِيقَ الْغِنَى تَكُونُ اخْتِصَارَا
 وَفَسَادٌ فِي الرَّأْيِ أَنْ لَا يُرِينَا أَلَوْهُمْ إِلَّا سَمَادَةٌ وَيَسَارَا
 شَهِدُوهَا فِي الْقُرْبِ تَبْنِي قُصُورَا مَا رَأَوْهَا فِي الْقُرْبِ تَنْجِي دِيَارَا
 غَرُّهُمْ ظَاهِرُ أَلْبَاهَا فَتَعَامُوا عَنْ قَبِيحٍ تَحْتَ الْقَبِيحِ تَوَادَى
 وَأَتَوْنَا بِهَا وَقَدْ غَرَّبُوهَا فَهَرَّأْنَا فِيهَا الشَّقَا وَالْبَوَادَا
 إِنَّ فِي بَعْضٍ مَا اقْتَبَسْنَا مِنَ الْقَرْءِ بِ كَمَالٍ وَإِنْ فِي الْبَعْضِ عَادَا
 فَخَلَقْنَا التَّمَدُّنَ الْحَقَّ عَنَّا وَلَيْسْنَا التَّمَدُّنَ الْمُسْتَعَارَا
 يَا ابْنَةَ الْقُرْبِ حَبِّبِي وَجْهَكَ الْكَأَمَا لِحَ عَنِّي وَأَوْسَمِينِي نِفَادَا
 وَأَسْتَرِي ذَلِكَ الْجَمَالَ الْمُدَاجِي وَأَمْنِي ذَلِكَ أَلْبَاهَا الْفَرَادَا
 قَبِّحَ اللَّهُ كُلَّ حُسْنٍ يُحْلِيكَ وَلَوْ كَانَ يُخْجِلُ الْأَقَارَا يَشَتَّ وَأَسْتَوْقِي لَكَ الْأَنْظَارَا
 يَا ابْنَةَ الْقُرْبِ مَلَقِي النَّاسَ مَهْمَا لَعَنَ اللَّهُ هَٰذِهِ الْأَسْعَارَا
 فَصُودَا طَوْرَا وَطَوْرَا هُبُوطَا

رَبِّ هَلْ كَانَ مِثْلَ حَظِّي حَظًّا لَيْسَ اللَّيْلُ فِي الْحَيَاةِ شِعَارًا
 أَفَأَسَمَى وَرَاءَ رِزْقِي دَهْرًا وَالْآيُ فِي لَحْظَتَيْنِ الدَّمَارَا
 زَادَ شَيْخُوخَتِي الضَّنَى وَشَبَابِي ضَاعَ لَكِنْ فِي الْقَلْبِ أَبْقَى شِرَارَا
 طَائِرٌ كَانَ فِي يَمِينِي قَلَمًا مَلْفُوهٌ غَنَى قَلِيلًا وَطَارَا

أنقذوا الطفل

« من قصيدة حافظ بك ابراهيم »

أَيُّهَا الْبَطْلُ لَا تَخَفْ عَنَتَ الدَّهْرِ رَ وَلَا تَخْشَ عَادِيَاتِ الْإِلْيَاسِي ")
 قَيْضَ اللَّهِ لِلضَّعِيفِ نُفُوسًا تَعْشَقُ الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْجِبَالِ
 أَيُّ ذَوَاتِ الْجِبَالِ عِشْتَنَ لِأَيِّ بَرٍّ وَمُتْنٍ قُدُوءَ لِلرَّجَالِ
 لَمْ يَكُونُوا يَدْرِكُوا الْمَجْدَ لَوْ لَا كُنْ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
 رَاعِنِي مِنْ نُفُوسِكُنْ جَمَالَ يَتَجَلَّى فِي هَالِكَةٍ مِنْ جَلَالِ
 وَجَمَالَ النُّفُوسِ وَالشَّعْرِ وَالْأَخْ لَاقُ عِنْدِي أَسْمَى بَجَائِلِ الْجَمَالِ
 قُمْنَ عَلِمْنَا الْمُرُوءَةَ وَالْمَطَ فَعَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالِ
 قُمْنَ عَلِمْنَا الْوَحْشَانَ عَلَى الطِّفْ لَمْ يَمُرِّدَا فَرِيَسَةَ الْمُفْتَالِ
 قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَ كُنْ وَجِئْنَا نَسْأَلُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النُّوَالِ

(١) مراد الشاعر ان يقول : لا تخف ان يبتلك المهراي ان يبتل بك

ما يشق عليك تحمله فاستعمل الغنة بدلا من التثنية فانقلب المعنى

لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ لَجَدْنَا أَنْقِدُوا الْبَطْلَ إِنَّ فِي شَفْوَةِ الْبَطَّةِ
 لَشَقَاءَ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنْ يَعْشُ بِنِسَاءٍ وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْ
 مِنْ يَمِينِ نَكْبَةٍ عَلَى الْأَجْبَالِ رَبِّ بُؤْسٍ يُخَبِّثُ^(١) النَّفْسَ حَتَّى
 يَطْرَحُ الْمَرْءُ فِي سَهْوِي الضَّلَالِ أَنْقِدُوهُ قَرِيبًا كَانَ فِيهِ
 مُصْلِحٌ أَوْ مُغَايِرٌ لَا يُبَالِي رُبَّمَا كَانَ تَحْتَ طَرَفِيهِ^(٢) عَزَمٌ
 ذُو مَضَاهِ يَدُكُ شَمِّ الْأَجْبَالِ

على شاطئ النهر

«بقلم الياش الى شبكة»

أَضْعِي فَلَانُمَاوِ فِي النَّهْرِ صَوْتُ يُشَاهِي زَفْرَةَ الصَّدْرِ
 أَتَأْتُلُمُ هَذَا الزَّفِيرُ أَمْ الْأَمَ وَاجُ فِي مَدِيٍّ وَفِي جَزْرِ
 النَّهْرُ يَا نَفْسِي إِذَا اضْطَرَبْتَ أُمَوَاهُ فِي قَفْرِهِ السَّرِيِّ
 لَا شَكَّ يَفْهَمُ وَهُوَ مُضْطَجِبٌ أَسْرَارَ مَدَمِّكَ الَّذِي يَجْرِي

...

كَالنَّهْرِ يَا نَفْسُ نِهَائِيَسًا هُوَ لِلْجَارِ وَنَعْنُ لِلْقَبْرِ



(١) يقال أخبث إذا أفسده لا خبثه (٢) الطمر الثوب البالي

الباب الحادى عشر

في المدح والتهنئة

قال ابو فراس الحمداني من قصيدة يمدح بها سيف الدولة

وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ إِلَّا فِرَارًا	أَشَدَّ مِنَ الْمَيَّةِ أَوْ حِمَامًا
حَمَلْتُ عَلَى وَرُودِ الْمَوْتِ نَفْسِي	وَقُلْتُ لِصُحْبَتِي مُوْتُوا كِرَامًا
وَهَلْ عُذْرٌ وَسَيْفُ الدِّينِ رُكْبِي	إِذَا لَمْ أَزْكِبِ الْخُطَطَ ^(١) الْعِظَامَا
وَقَدْ أَصْبَحْتُ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ	وَحَسْبِي أَنْ أَكُونَ لَهُ غُلَامًا
أَرَانِي كَيْفَ اكْتَسَبَ الْمَعَالِي	وَأَعْطَانِي عَلَى الدَّهْرِ الذِّمَامَا
وَرَبَّانِي هَفَفْتُ بِهِ الْبَرَايَا	وَأَنْشَأَنِي فَسَدْتُ بِهِ الْأَنَامَا
فَأَحْيَاهُ الْإِلَٰهَ لَنَا طَوِيلًا	وَزَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ دَوَامَا

وقال يمدح عدة الدولة ابا تغلب بن ناصر الدولة

دَعَوْتُهُ فَأَجَابَنِي مَكَارِمُهُ	وَلَوْ دَعَوْتُ سِوَى نِعْمَاهُ لَمْ تُجِبْ
لَوْ فَاتَهُ النَّسَبُ الْوَضَاحُ كَانَ لَهُ	مِنْ فَضْلِهِ نَسَبٌ يُغْنِي عَنِ النَّسَبِ
إِذَا دَعَتْهُ مُلُوكُ الْأَرْضِ سَيِّدَهَا	طُرًّا ^(٢) دَعَتْهُ الْمَعَالِي سَيِّدَ الْعَرَبِ

ومن قصيدة لبهاء الدين زهير في مدح الملك الناصر يوسف

ابن الملك العزيز بن ايوب لما ملك دمشق سنة ٦٤٨

وكان متغير المزاج ثم عوفي

لَكُمْ مِنِّي أَلُوْدُ الَّذِي لَيْسَ يَبْرَحُ وَلِي فِيكُمْ الشُّوْقُ الشَّدِيدُ الْمُبْرَحُ
وَكَمْ لِي مِنْ كُذْبٍ وَرُسُلٍ إِلَيْكُمْ وَلَكِنَّمَا عَنْ لَوْعَتِي لَيْسَ تَنْصَحُ
زَعَمْتُمْ يَا نِي قَدْ نَقَضْتُ عُهُودَكُمْ

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاثِي الَّذِي لَيْسَ يَنْصَحُ
خُلِقتُ وَفِيَّ لَا أَرَى الْقَدْرَ فِي الْهَوَى وَذَلِكَ خُلِقَ عَنْهُ لَا أَرْحَحُ
سَلَوُ النَّاسِ غَيْرِي عَنْ وَقَائِي بِعَهْدِكُمْ فَأَنِي أَرَى سُكْرِي لِنَفْسِي يَقْبَحُ
أَحْبَابَنَا حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى أَعْرِضْ بِالشُّكْوَى لَكُمْ وَأَصْرَحُ
حَيَاتِي وَصَبْرِي مُذْ هَجَرْتُمْ كِلَاهُمَا غَرِيبٌ وَدَمْعِي لِلْقَرِيْبَيْنِ يَشْرَحُ
رَعَى اللَّهُ طَيْفًا مِنْكُمْ بَاتَ مُوَلِّسِي وَمَا ضَرَّهُ إِذْ بَاتَ لَوْ كَانَ يُصْبِحُ
وَأَسْرَ أَمَّا قَدُّهُ فَهُوَ أَهْيَفُ رَشِيقٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَهُوَ أَصْبَحُ
كَأَنَّ الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحَسَنِ وَالضِّيَاءِ تَدَاخَلَهُ زَهْوٌ^(١) بِهِ فَهُوَ يَبْرَحُ
كَأَنِّي قَدْ أَنْشَدْتُهُ مَدَحَ يُوسُفَ فَأَطْرَبَهُ حَتَّى أَنْتَنِي يَتَرَنِّحُ^(٢)
وَإِنْ مَدِيحَ أَنْتَاصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ لِيَصْبُو إِلَيْهِ كُلُّ قَلْبٍ وَيَجْنَحُ^(٣)
وَلَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَى مَدَحٍ مَادِحٍ مَكَارِمُهُ تُثْنِي عَلَيْهِ وَتَمْدَحُ

وَكُلُّ فَصِيحٍ الْكَنُّ^(١) فِي مَدِيحِهِ
وَقَدْ قَاسَ قَوْمُ جُودٍ يُنَاهُ بِالْحَيَا^(٢)
فَلَوْ سِيلَ الدُّنْيَا دَاهَا حَصِيرَةً
كَثِيرُ حَيَاءِ الْوَجْهِ يَفْطُرُ مَاوَهُ
مَنَاقِبُ قَدْ أَضْحَى بِهَا الدُّهْرُ حَالِيَا
مِنَ النَّفَرِ الْغَرِّ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ
كَذَلِكَ بَنُو أَيُّوبَ مَا زَالَ مِنْهُمْ
أَنَاسُ هُمْ سَنُوا الطَّرِيقَ إِلَى أَلْمَلِ
لِيَهْنِي دِمَشْقَ الْيَوْمَ صَحَّتِكَ أَلْيِ
فَلَا زَهَرَ إِلَّا ضَاحِكٌ مُتَعَاطِفٌ^(٣)
وَلَا غَضَنُ إِلَّا وَهُوَ لَشَوَانُ رَاقِصُ
أَمْوَلَايَ سَامِخِي فَإِنَّكَ لَمْ تَرَلِ
فَمَا كُلُّ لَفْظٍ فِي خِطَابِكَ يُرْتَضَى
لَعَمْرُكَ كُلُّ النَّاسِ لَا شَكَّ نَاطِقُ
وَقَدْ يُحْسِنُ النَّاسُ الْكَلَامَ وَإِنَّمَا
كَلَامٌ يَسُرُّ السَّامِعِينَ كَأَنَّمَا
لَانَ لِسَانَ الْجُودِ بِالْمَدْحِ أَفْصَحُ
وَقَدْ غَلِطُوا يُنْبَاهُ أَسْحَى وَأَسْحَى
وَجَادَ بِهَا سِرًّا وَلَا يَتَبَجَّحُ^(٤)
عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَاسِهِ النَّارُ تَلْفَحُ^(٥)
فَهَا عِظْمُهُ مِنْهَا مُوشَى مُوشَعُ
مَصَابِيحُ فِي الظُّلُمَاءِ بَلْ هِيَ أَصْبَحُ
عَظِيمُ مُرْجَى أَوْ كَرِيمُ مُمْدَحُ
وَهُمْ أَعْرَبُوا عَنَّا وَقَالُوا فَأَفْصَحُوا
بِهَا فَرِحَتْ وَالْمَدَنُ كَأَنَّمَا تَفْرَحُ
وَلَا دَوَّحَ إِلَّا مَا نَسُ مُتَرَنِّحُ
وَلَا طَيْرَ إِلَّا وَهُوَ فَرَحَانُ يَصْدَحُ
نُسَامِحُ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَنَسْمَحُ
وَمَا كُلُّ مَعْنَى فِي مَدِيحِكَ يَصْلَحُ
وَلَكِنْ ذَا يَلْفُو^(٦) وَهَذَا يُسَبِّحُ
كَلَامِي هُوَ الدُّرُّ الْمُنْقَى الْمُنْتَحِ
لِسَامِعِهِ فِيهِ الشَّرَابُ الْمَفْرَحُ

(١) الاكن الثقل اللسان (٢) المطر (٣) يريد بذلك انه لا يفتخر بجود.

(٤) تحرق (٥) متبخر (٦) لنا في قوله اخطأ وقال باطلا

ومن قصيدة لاسماعيل صبري باشا انشدها في الحفلة التي اقيمت في مصر
تكريماً لواصل بن بطرس باشا غالي الذي التقى في باريس
المعاضرات والخطب الباهرة في آداب اللغة العربية

أَيُّ صَوْتٍ حَيَّنَهُ بِالْأَمْسِ بِأَرِيْسٍ مَقَرُّ الْعُلُومِ وَالْعُلَمَاءِ
مَنْ تُرَى ذَلِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ حِكْمَةَ الشَّيْبِ فِي رَيْعِ الْفِتَاءِ^(١)
ذَلِكَ الْأَسْمَرُ الَّذِي بَهَرَ أَرْ بِيضَ^(٢) مُطَّلًا مِنْ وَتَرِ الْخُطَبَاءِ
وَأَمَاطَ اللَّثَامَ^(٣) عَنْ آدَبِ الْعُرُ بِ كِرَامِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ
بِلِسَانِ^(٤) مَا اعْتَادَ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَخْ ضَعَ إِلَّا لِأَهْلِهِ مِنْ إِبَاءِ
يَا سِجِلُ الْخُلُودِ فَتَحْ مَجَالًا لِأَنَسِهِ فِي صَحِيفَةِ الْقَضَاءِ
وَأَرِ الْأَعْصَرَ الْأَوَاقِي أَنْ أَرِ ذِكْرُ عُمَرُ مُجَبَّلُ الْآفَاءِ^(٥)
ذَلِكَ صَوْتُ ابْنِ بَطْرُسٍ قَدْ عَرَفْنَا هُ بِمَا هَاجَهُ مِنَ الْأَصْدَاءِ
أَلْقِ بِالسَّمْعِ^(٦) تَسْتَخْفُكَ مِنْهُ نَفْسُهُ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِ الْوَفَاءِ
ذَلِكَ نَجْمٌ أَطْلَعْتَهُ أَنْتِ يَا مِمْ رُ قَهْرِي بِنَجْمِكَ الْوَضَاءِ
وَأَحْلِيهِ حَيْثُ تَقْتَقِدُ الْبَدَ رَعُونَ السَّرَاةِ فِي الظُّلُمَاءِ

(١) الفتوة (٢) اراد بالبيض الغربيين وكفى عن المدح والاسمر لكونه
مصرياً اسمر اللون (٣) اماط كشف واللثام ما تقطع به الشفة من ثوب وكفى
باماطة اللثام عن الكشف (٤) يريد به اللسان الفرنسي (٥) جمع الأني وهو
كل النهار والمجبل الأبيض اي ان الذكر عمر ابيض الايام (٦) التقى اليه السمع
أصغى اليه

كَمْ لَهُ دُونَ بَيْضَةِ الشَّرْقِ مِنْ غَضٍّ
 كَمْ لَهُ مِنْ مَوَاقِفٍ هَزُّ عِطْفِ الْ
 إِيهِ يَا ابْنَ الْأَمْجَادِ قُمْتَ بِأَعْبَةٍ
 وَأَزَيْتَ الْأَنَامَ بِرِذْوِي الْفَرْ
 فَاسْتَمَعَ مَا يُقَالُ حَوْلَكَ يَا وَا
 إِنْ مِنْ طَيْبِ الشَّاءِ لَزَهْرًا

بَةِ حُرٍّ وَكَمْ لَهُ مِنْ بَلَاءٍ^(١)
 حَقَّ فِيهَا بِالْحُجَّةِ الْيَضَاءِ
 إِدْ كِبَارِهِ وَالْمَجْدُ ذُو أَعْبَاءِ
 بَنِي وَرَأَى الْكَرِيمِ فِي الْكُرْمَاءِ
 صِفْ ذَا الْيَوْمِ مِنْ ضُرُوبِ الشَّاءِ
 تَجَنَّبِيهِ مَسَامِعُ الْأَكْفَاءِ

وقال خليل بك مطران من قصيدة يهني فيها

أحمد شوقي بك بمرجانه

يَا بَاعِثَ الْمَجْدِ الْقَدِيمِ بِشِعْرِهِ
 أَنْتَ الْأَمِيرُ وَمَنْ يَكُنْهُ بِالْحِجَى
 الْيَوْمَ عَيْدُكَ وَهُوَ عِيدٌ شَامِلٌ
 عِيدٌ بِهِ اتَّحَدَتْ قُلُوبٌ شُعُوبَهَا
 كَمْ رِيمٍ تَجْدِيدُ لِفَايِرٍ مَجْدِهَا
 يَأْمِضُ بِأَهْيَ كُلِّ مِضْرٍ بِالْأُولَى
 حَفَلُوا لِأَحْمَدَ حَفَاةً مِمْرَنَةً
 مَا أَحْمَدُ إِلَّا لِيَوَاءِ بِلَادِهِ

وَمُجَدِّدَ الْعَرَبِيَّةِ الْعَرَبَاءِ
 فَلَهُ بِهِ تِيَهُ عَلَى الْأَرَاءِ
 لِلضَّادِ فِي مُتَبَايِنِ الْأَرْجَاءِ
 وَلَقَدْ تَكُونُ كَثِيرَةً الْأَهْوَاءِ
 فَجَنَى عَلَيْهِ نَشْبُ الْأَرَاءِ
 أَنْجَبَتْ مِنْ أَبْنَائِكَ الْعُظَمَاءِ
 لَمْ تَأْتِ فِي نَبَأٍ مِنَ الْأَنْبَاءِ
 فِي الشَّرْقِ يَخْفِقُ فَوْقَ كُلِّ لِيَوَاءِ

مِنْ فِطْنَةٍ خَالِبَةٍ وَذَكَ
 فِي صُورَةٍ لَمَّاحَةٍ الْأَلَاءِ^(١)
 تَصْطَادُهُ الْأَنْعَامُ بِالْإِصْفَاءِ
 وَيَلَادِهِ . فِي الْأَزْمَةِ الْتُكَرَّاءِ
 زَارًا كَزَارِ الْأَسَدِ فِي الْهَيْجَاءِ
 مَا ذَالَ فَوْقَ مَطَامِعِ الْنُظْرَاءِ
 شَرَفًا إِلَيْهِ جَزَالَةُ الْقُصْحَاءِ
 فِي الْمُهْجَةِ الظَّمَاى مَسِيلُ الْمَاءِ
 لَمْ تَعَزْهُ إِلَّا إِلَى الْقُدَمَاءِ
 مَا شَاءَ فِي الدِّيَابِجَةِ الْحَسَنَاءِ^(٢)
 مَسَرَى الصَّبَا فِي الرُّوضَةِ الْفَنَاءِ
 تَسِي خَبَايَا النَّفْسِ كُلِّ سِبَادِ
 طُوبِتَ عَلَيْهِ سَرَائِرُ الْأَحْيَاءِ
 وَأَرَى الْقَدِيمَ يَزِيدُ فِي الْإِشْجَاءِ
 الْفَيْتَهُ كَمُتَّقِ الصَّهْبَاءِ
 بِطَرَائِقِ الْأَحْوَالِ وَالْأَشْيَاءِ
 بِجَمَالِ تِلْكَ الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ

عَظُمَتْ مَوَاهِبُهُ وَأَحْرَزَ مَا أَشْتَمَى
 إِنْ تَلَقَّاهُ تَلَقَّى النَّبُوءَ مُمَثَّلًا
 فِي نُطْقِهِ الدَّرُّ النَّفِيسُ وَإِنَّمَا
 أَعْظَمَ بِشَوْقِي ذَائِدًا عَنْ قَوْمِهِ
 لَتَكَادُ تَسْمَعُ مِنْ صَرِيرِ بَرَادِهِ
 فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُؤُونِ قَرِيضِهِ
 أَمَا جَزَالَتُهُ فَعَايَةُ مَا أَنْتَهَتْ
 وَتَكَادُ رِقَّتُهُ تَسِيلُ بِلَقْظِهِ
 لَوْلَا الْجَدِيدُ مِنَ الْحُلَى فِي نَظْمِهِ
 نَاهِيكَ بِالْوُشْيِ الْأَلْيَقِ وَقَدَّرَهَا
 يَسْرِي تَسِيمُ اللَّطْفِ فِي زِينَتِهَا
 هَتَكَتْ قَرِيحَتَهُ السُّجُوفُ وَأَقْبَلَتْ
 فِي شَدْوِهِ وَفُؤَادِهِ رَجْعُ لِمَا
 يُشْجِي قَدِيمُ كَلَامِهِ كَجَدِيدِهِ
 فَمِنْ الْكَلَامِ مُعْتَقٌ إِنْ ذُقْتَهُ
 اللَّهُ شَوْقِي فِي طَرَائِقِ أَخْذِهِ
 فِي يَرَمِهِ يَبْلَادِهِ وَهَيَامِهِ

فِي وَصْفِهِ النِّعَمَ الَّتِي خُصَّتْ بِهَا
 فِي فَخْرِهِ بِتَوْضُوحِهَا حَيْثُ الرَّدَى
 فِي شُكْرِهِ لِلْعَالَمِينَ حَيَاضُهَا
 فِي وَصْفِهِ الْآيَاتِ بِمَا أَبْدَعَتْ
 وَصَفُ تَقَنُّنٍ فِيهِ يُفْرِي قَوْمَهُ
 لَمْ يُبْقِ مِنْ عَجَبِ عَجَابٍ خَافِيَا
 بَلَّغَتْ خِلَالَ الْمَبَرِّيَةِ ثَمَّهَا^(١)
 فَإِذَا عَيِنْتُ وَلَمْ أَقُمْ بِحُوقِهَا
 مِنْ حُسْنٍ مُرْتَبِعٍ وَطِيبِ هَوَاهُ
 يَهْوِي بِهَا مِ شَبَابِهَا النَّبَاهُ
 وَحُمَاةُ يَنْصِتُهَا مِنَ الشُّهَدَاءِ
 أُمَمٌ يَقْظَنُ وَتَحْنُ فِي إِغْفَاءِ
 بِالْأَخْذِ عَنْهَا أَشْرَفَ الْأَغْرَاءِ
 فِي بَطْنِ أَرْضٍ أَوْ يَظْهَرُ سَمَاءِ
 فِيهِ وَجَازَتْ شَاوُ كُلِّ ثَنَاءِ
 فَلَقَدْ يَوْمُ الْمَذْرُ بِالْإِبْلَاءِ

وقال امين بك تقي الدين من قصيدة يعنى بها استاذه
 الشيخ عبد الله البستاني بيوبيله الذهبي

شَجَاهَا^(٢) أَنْ تَرِيدَ الْعِيدَ جَاهَا
 أَنَا مَنْ تَعْلِمِينَ فَتَى الْقَوَائِي
 أَجَلُ « الْحِكْمَةِ الْغُرَاءِ » أَمَا
 عَذِيرِي أَنْ أَبَاهِي فِي بَيَانِي
 أَنَا مِنْ أُمَّةٍ أَطْلَعَتْ مِنْهَا
 وَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ رَكَنْتَ إِلَيْهِ
 فَتَادَتْنِي فَلَبَّاهَا فَتَاهَا
 إِذَا أَطْرَأْتُ أَسَاذِي أَبَاهَا
 وَأَكْرَمُ « شَيْخَهَا » أَلْبَانِي عُلَاهَا
 فَمَنْ أَدْبَتَ يُعْذَرُ إِنْ تَبَاهِي
 هُدَى حَقًّا وَأَقْلَامًا زَرَاهَا^(٣)
 فَتَادَ جُنُودَهَا وَحَمَى لَوَاهَا

أَخَذْنَا عَنْكَ عَاطِرَةَ الْمَسَانِي
وَنَفْسُكَ وَهِيَ لَمْ تَبْرَحْ هُدَانَا
أَلَسْتَ إِمَامَ مَنْ نَظَّمَ الْقَوَائِي
غَوَانِدَ فِي كِسَاءِ جَاهِلِيَّةٍ
أَعَارَتْهَا الْبِدَاوَةُ كُلُّ حُسْنٍ
لَيْسَتْ عَبَاءَةُ الْعَرَبِيِّ تُرْهِى
وَوَشْتَهَا عُلُومُ الْيَوْمِ وَشَيْءٌ
وَقَدْ أَحْبَبْنَا لَنَا الْمَصْرَ الْخَوَالِي
كَأَنَّكَ كُنْتَ «رَافَائِيلَ» فَنَّا
رَأَى فَأَجَادَهَا صُورًا وَمَعْنَى

وَفَرَّقْنَا عَلَى الدُّنْيَا شَذَاهَا
أَصَانَا كُلَّ قَطْرِ مِنْ هُدَاهَا
فَارْقَصَتِ النَّفُوسُ عَلَى صَدَاهَا
يُرْوِحِي الْيَوْمَ عَصْرِيًّا كَسَاهَا
وَزَادَتْهَا الْحَضَارَةُ مِنْ سَنَاهَا
بِهَا حَتَّى بَدَذَتْ مِنْ أَرْتَدَاهَا
كَأَنَّ سَنَاءَهُ مِنْ كَهْرِبَاهَا
رَوَايَاتُ أَجْلِكَ مَنْ رَوَاهَا
تُضِيفُ لِقَنِيهِ لُغَةً وَقَاهَا
وَأَسْتَازِي أَجَادَ وَمَا رَاهَا

وقال وديع عقل احد خريجه من قصيدة

يهته فيها باليوبيل نفسه

أُمَمٌ أُنْصَحَى رَزَبٌ بَيَانُهَا
وَنُزُوا وَهُمْ أَمْرَاؤُهَا وَشُيُوعُهَا
نَارُوا بِبَدِ اللَّهِ بَعْدَ «زِيَادِهَا»^(١)
نَادُوا بِهِ مَلِكَ الْبَلَاغَةِ فَاسْتَوَى

هَذَا مَقَامُكَ فِي بَنِي قَطَايْنَا
لِبَايَعُوكَ وَأَنْتَ فَرْدُ زَمَانِهَا
يُخَيِّ مَفَاخِرَهَا وَعِزَّةَ شَائِنَا
فِي الْمُنْبَرِ الْمُرُوثِ عَنْ «ذُبْيَانِهَا»

وَمَشَى بِرِيدٍ هُمْ إِلَى أَقْطَايِهَا
أَدَى الْبَلَاغِ لِيَصْرَهَا وَشَأِهَا
أَنْهَى إِلَيْهَا أَنْ حُجَّتَا عَلَى
فِي دَوْلَةِ عَرَبِيَّةٍ مُتَتْ^(١) إِلَى
نَسَبٍ بِهِ الْأَرْزِيُّ يَسْتَمْلِي عَلَى
مَا كَانَ لُبْنَانُ عَلَى اسْتِفْلَالِهِ
مُتَوَثِّقٌ صَلََّةً بِهَا فَلِسَانُهُ
هُوَ بَيْتُ أَنْجَبِ أُمَّةٍ عَرَبِيَّةٍ
عَرَبِيَّةٍ فِي دِينِهَا فَالضَّادُ فِي
وَالضَّادُ فِي تَوَارِثِهَا وَحَدِيثِهَا
وَالضَّادُ فِي أُنُوحِهَا وَقُصُورِهَا
فِي مُعْجَمِ كَالسُّورِ حَاطَ أَصُولُهَا
فَلَتَعْلَمَ الْعَرَبُ الْكَرِيمَةُ أَنَّهَا
سَلِمَتْ لَهَا الْقُصْحَى قَدُونُ حُصُونِهَا
سَلِمَتْ لَهَا فِي قَلْبِ لُبْنَانٍ كَمَا
لُتَّةٌ يَهُونُ عَلَى بَيْتِهَا أَنْ يَرَوْا

بِبَلَاغِهِمْ يُتْلَى عَلَى أَعْيَانِهَا
فَمِرَاقِهَا فَحِجَازِهَا فَيَمَانِهَا
عَرْشِ الْبَلَاغَةِ قَامَ فِي لُبْنَانِهَا
الْأَصْلَابِ وَالْأَرْحَامِ مِنْ عَسَائِهَا
الْأَنْسَابِ مُفْتَخِرًا عَلَى غُرَانِهَا
إِلَّا حَتَّى التَّرْبَاءِ مِنْذُ كِيَانِهَا
يَلْسَانِهَا وَجَنَانُهُ بِجَنَانِهَا
نَشَرَتْ عَلَى الدُّنْيَا لَوَاءَ بَيَانِهَا
إِنْجِيلِهَا وَالضَّادُ فِي قُرْآنِهَا
وَالضَّادُ فِي تَرْتِيلِهَا وَأَذَانِهَا
وَالضَّادُ كُلُّ الضَّادِ فِي بُسْتَانِهَا^(٢)
لِيرَدِّ كَيْدِ الدَّهْرِ عَنْ دِيَوَانِهَا
حَظِيَّتْ بِأَمْنٍ صَانِطٍ لِلسَّانِهَا
تَتَدَحَّرُجُ الْعُجْبَاتُ فِي خِذْلَانِهَا
سَلِمَتْ لَهَا فِي الْقَلْبِ مِنْ نَجْرَانِهَا^(٣)
يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَبْلَ يَوْمِ هَوَانِهَا

(١) وصلت (٢) بريد، معجم «البستان» لصاحبه الشيخ عبد الله المحضى

به (٣) نجران بلد باليمن

الْخَافِقَانِ فِدَى لَهَا وَكَلَامُهَا
 لُفَّةُ الطَّيْبَةِ فَالطَّيْبَةُ أَهْمَا
 مَحْكِيَةٌ عَنْ طَلِيرِهَا وَسَبَاعِهَا
 مَنُحَوَّتُهُ مِنْ هَيْئَمَاتِ نَسِيمِهَا
 وَأَيْنِ تَكَلَّاهَا وَبَثَّ عَمِيدُهَا
 وَتَوَاحٍ سَاجِمَةٌ عَلَى أَعْوَادِهَا
 هِيَ فَتَةُ الْخُلُقَاءِ فِي بَغْدَادِهَا
 رَكِبَتْ مُتُونَ الْكَهْرَبَاءِ فَعَيْسُهَا
 وَتَرَى الْبَوَاخِرَ وَالطَّوَارِزَ أَصْبَحَتْ
 مِثْلَ الضَّوَاوِرِ مِنْ جِيَادِ رِهَانِهَا

مَا ضَرَّهَا دَهْرٌ يَثُلُ غُرُوشُهَا
 فَلَهَا مِنَ الْأَكْبَادِ عَرْشُ خَالِدٍ
 تِلْكَ الْأَرِيكَةُ لَنْ تُقَوِّضَ قَبْلَ أَنْ
 وَيَجْرُدُ أَلْهَامَاتِ مِنْ تَبَجَانِهَا
 لَا يَسْتَمِلُ بِهِ سِوَى سُلْطَانِهَا
 تَقْوُضُ الدُّنْيَا عَلَى أَرْكَانِهَا

غَادِ الرِّيَاضِ رِيَاضَ بُسْتَانِيهَا
 وَتَبِينِ الْفُصْحَى عَلَى لَهَوَاتِهِ
 وَتَنَسِّمِ الرِّيحَانَ مِنْ رِيحَانِهَا
 سَيَّالَةً بِعَقِيْشِهَا وَجُمَانِهَا^(٤)

(١) جمع الدجن وهو المطران الكثير (٢) الهينة الصوت الحقي . وتريب
 الظبي تصويته (٣) غمدان قصر باليمن (٤) اللهوات جمع اللهات وهي اللحمة
 المشرفة على الخلق في أقصى سقف الفم والمراد بها هنا الافواه . والعقيق خرز احمر

هَٰذِي عُكَاظُ وَسُوقُهَا مَنفُودَةٌ «وَالشَّيْخُ» رَاحَتُهُ عَلَى مِيزَانِهَا
لَوْ لَمْ تَجِدْهُ الضَّادُ حَبَّتْهَا لَمَّا نَقَلْتُ عُكَاظُ إِلَى حَمِي وَمَطَرَانِهَا^(١)

وقال حافظ بك ابراهيم في حفلة كلية البنات الاميركية

يخاطب الاميركيين

أَيُّ رِجَالِ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ هَٰلَا قَدَّشَاوْتُمْ يَا الْمُعْجَزَاتِ الرِّجَالَ^(٢)
وَفَهِمْتُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ فَأَرَضْتُمْ ثُمَّ عَلَيْهَا لِكُلِّ نَفْسٍ كَمَالًا^(٣)
وَحَرَضْتُمْ عَلَى الْقَوْلِ فَحَرَمْتُمْ عَصِيرًا يَرَاهُ قَوْمٌ حَلَالًا
وَقَدَّرْتُمْ دَقِيقَةَ الْعِلْمِ حِرْصًا وَسَوَاكُم لَا يَقْدُرُ الْأَجْيَالُ^(٤)
كَمْ أَحَالُوا عَلَى غَدٍ كُلِّ أَمْرٍ وَالْحَبِيلُ الْأُمُورَ يَنْفِي الْمَحَالُ^(٥)
قَدْ تَحَدَّيْتُمْ النِّيَّةَ حَتَّى هَمَّ أَنْ يَغْلِبَ الْبَقَاءُ الزَّوَالَ^(٦)
وَطَوَيْتُمْ فَرَايِخَ الْأَرْضِ طَلِبًا وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْهَوَاءِ اخْتِيَالًا
ثُمَّ سَخَّرْتُمْ الرِّيحَ فَسُتْتُمْ حَيْثُ شِئْتُمْ جُنُوبَهَا وَالشِّمَالُ
تُسْرُجُونَ الْهَوَاءَ إِنْ زَمْتُمْ السَّيْرَ وَفِي الْأَرْضِ مَنْ يَشْدُو الرِّجَالَ^(٧)
وَتَخَذْتُمْ مَوْجَ الْأَثِيرِ بَرِيدًا حِينَ خَلْتُمْ أَنْ الْبُرُوقَ كَسَالًا^(٨)

(١) أي إلى مدرسة الحكمة (٢) شأوتهم سبقتم (٣) ارصدتم اعددتهم

(٤) قدرتم عظمتكم (٥) أحاله عليه - حرقه إليه أو جعله مقصوراً عليه مطلوباً به

(٦) تحدوا - باراه في فعل ونازعه - انقلب (٧) شد الرجال أوثقها وقواها وهو كناية

عن المفر (٨) الاثير الفلك التاسع

ثُمَّ حَاوَلْتُمْ الْكَلَامَ مَعَ النُّجُومِ فَحَمَلْتُمْ الشُّعَاعَ مَقَالًا
وَمِمَّا «فُورِدُ» آيَةُ الْمُنَى حَتَّى شَرَعَ النَّاسُ يَنْبِذُونَ التَّعَالَا
وَأَنْتَرَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَظْهَرُ أَلْ أَرْضٍ أَوْ بَطْنِهَا الْمُحْجَبِ مَا لَا
وَأَقَعْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحًا تَنْطَحُ السُّحُبُ شَامِخَاتٍ طَوَالًا
وَعَرَسْتُمْ لِلْعِلْمِ رَوْضًا أَيْقًا فَوْقَ دُنْيَا الْوَرَى يَبْدُو الظَّلَالَا
وَحَلَلْتُمْ بِأَرْضِنَا فَرَقْنَا كَيْفَ تُثْنُونَ يَتَنَا الْأَطْفَالَا
وَدَأَيْنَا الْبَنَاتِ كَيْفَ يُثَقِّنَ بِعِلْمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمَالَا
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ فِي حِمَى اللَّهِ تُنْبِتُ الْأَبْطَالَا
وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَادُونَكُمْ عِلْمًا وَوُثْبًا إِلَى الْعُلَى وَنَضَالَا
قَدْ نَفَضْنَا عَنَّا الْكُرَى وَأَبْتَدَرْنَا فُرْصَ الْعَيْشِ وَأَنْتَمَلِكَا أَنْتَمَالَا^(١)
وَعَلَيْنَا بِأَنْ عَقْلَةً يَوْمَ تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَمِيَهُ أَحْوَالَا^(٢)
فَشَقَقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقًا وَأَصَبْنَا عَلَى الزَّحَامِ مَجَالَا
وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ «فُؤَادِ» وَرَفَعْنَا بِمَهْدِهِ يَتَمَالَا
قَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى أَلْنَا سِ وَإِنْ ضَاقَتْ أُلُوجُهُ عِيَالَا



(١) ابتدره عاجله (٢) جمع حول وهو السنة

الباب الثاني عشر

في التعازي والمرائي

من مرثاة لبهاء الدين زهير يرثي بها بعض اودائه

وَذُقْتَ مِنَ الصَّبَابَةِ مَا كَفَاكَ	نَهَاكَ عَنِ النِّوَايَةِ مَا نَهَاكَ
وَقَدْ أَصْبَحْتَ لَمْ تَحْمَدْ سُرَاكَ	وَطَالَ سُرَاكَ ^(١) فِي لَيْلِ التَّصَايِي
وَقُلْ لِي إِنْ جَزَعْتَ فَمَا عَسَاكَ	فَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ الْإِيَّاسِي
وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ	أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ	عَهْدُكَ ^(٢) لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَاكَ ^(٣)	فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ بِلَكَ السَّجَايَا
فَكُلُّ النَّاسِ تَغْدُرُ مَا خَلَاكَ	فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا
دَهَاكَ مِنَ النِّسَةِ مَا دَهَاكَ	وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِنْ
وَكَيْفَ أَطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكَ	فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَلَمْ يَكْ عَنْ رِضَايَ وَلَا رِضَاكَ	لَقَدْ حَكَمْتَ بِفُرْقَتِنَا الْإِيَّاسِي
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ	فَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضُفْفِ حَالِي

(١) السرى سيد عامة الليل (٢) عرفتك (٣) صرفتك

يَمُزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
وَلَمْ أَرَ فِي سِوَاكَ وَلَا أَرَاهُ
خَتَمْتُ عَلَى وَدَائِكَ فِي ضَمِيرِي
لَقَدْ عَجَلْتَ عَلَيْكَ يَدُ النَّسَايَا
فَوَا أَسْنِي لِجَسَمِكَ كَيْفَ يَلِي
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي
تَمُوتُ وَلَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
وَيَا خَجَلِي إِذَا قَالُوا مُجِبٌ
أَرَى أَلْبَا كَيْنَ فَيْكَ مَعِي كَثِيرًا
فَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ
فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي
سَقَاكَ أَلْقَيْتُ هَهُنَا^(١) وَإِلَّا
وَلَا زَالَ أَسْلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي

أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
ثُمَّ إِنَّكَ أَلِمْلَحَ وَلَا حِلَاكَ
وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكَ
وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَقَّكَ مِنْ صَبَاكَ
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بَلَاكَ
وَحَقٌّ هَوَاكَ خُتُّكَ فِي هَوَاكَ
وَلَمْ أَنْفَكْ فِي خَطْبِ أَنَاكَ
وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدْتَبَاكَ^(٢)
مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ نَوَاكَ
وَأَعْلَمْ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَ
حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي تَرَاكَ
فَصَبُّكَ مِنْ دُمُوعِي مَاسِقَاكَ
يُرْفُ مَعَ اللَّسِيمِ عَلَى ذَرَاكَ^(٣)



(١) تكلف البكاء (٢) الهتان الكثير الانسكاب (٣) الذرى فاء

الدار ونواحيها ويريد به هنا القبر

ولاي السعادات الحسيني النحوي يرثي صديقاً له

كُلُّ حَيٍّ إِلَى الْفَنَاءِ يُوَلُّ قَتَرَوْذَ إِنَّ الْمَقَامَ قَلِيلُ
 نَحْنُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ كُلُّ يَوْمٍ يَتَقَضَّى جِيلٌ وَيَحْدُثُ جِيلٌ^(١)
 وَكَأَنَّا فِي ذَلِكَ دُكْبَانُ رَكْبٌ مُزْمِعُ رُحْلَةٍ وَرَكْبٌ قَقُولُ^(٢)
 فَالْيَايَا فِي صَرْفِهَا تَتَلَاَفَا نَا يَنْصَحُ لَوْ أَنَّهُ مَقْبُولُ
 كَيْفَ أَنْجُو مِنَ الْبُيُوتِ وَالشَّيْبُ بِفَوْدِي صَارِمٌ مَسْلُولُ^(٣)
 أَيْنَ رَبُّ الْأَيَّامِ كَيْسَرَى أُنُوشِرُ وَإِنْ مَلَكَ الْمُلُوكِ غَالَتُهُ غُولُ^(٤)
 أَيْنَ مَنْ طَبَّتْ صَوَاهِلُهُ الْأَرْضَ وَكَادَتْ لَهَا الْجِبَالُ تَرُولُ
 قَشَعْتُهُمْ رَبِّبُ النَّوْنِ عَنِ الْأَرْضِ كَمَا تَقْشَعُ الْفَنَاءُ السُّيُولُ^(٥)
 وَلَقَدْ قَطَعَ الْقُلُوبَ وَأَذْرَى مِنْ مَصُونِ الدُّمُوعِ رُزْءُ جَلِيلُ^(٦)
 فَابْنَا فَهَوَى فِي الْعُيُونِ سُهَادٌ دَائِمٌ وَهُوَ فِي الْقُلُوبِ غَلِيلُ^(٧)
 مَنْ يَكُنْ صَبْرُهُ جَبِيلًا فَمَا صَبْرِي عَلَيْهِ يَا صَاحِبِي جَبِيلُ
 وَعَجِيبُ آتِي أُعْزِي مُحِيبِهِ وَحَظِّي مِنَ الْمَصَابِ جَزِيلُ

(١) الجيل الصنف من الناس ويطلق على اهل الزمان الواحد (٢) ازمع الامر اراده . والقول الرابع من السفر (٣) فودي مثني فود وهو معظم شعر الرأس بما يلي الاذن (٤) غاله اهلكه واخذنه من حيث لا يدري . والقول المصيبة (٥) قشعه فرقعه وكشفه . والثناء البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل (٦) اذرى السمع صبه (٧) الغليل حرارة الحزن

صدي مصر

« من مرثاة لحافظ ابراهيم »

أَيَا قَبْرُ هَذَا الضَّيْفُ آمَالُ أُمَةٍ
عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى فِيكَ مُصْطَفَى
وَيَا قَبْرُ لَوْ أَنَا فَقَدْنَاهُ وَحْدَهُ
وَلَكِنْ فَقَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِفَقْدِهِ
فَيَا سَائِلِي أَيْنَ الرُّوءُةُ وَالْوَفَا
هَيْنًا لَهُمْ فَلْيَأْمِنُوا كُلَّ صَانِحٍ
وَمَاتَ الَّذِي أَحْيَا الشُّعُورَ وَسَاقَهُ
مَدْحُكَ لَمَّا كُنْتَ حَيًّا فَلَمْ أَجِدْ
يَمُوتُ الْمُدَاوِي لِلنُّفُوسِ وَلَا يَرَى
شَهِيدَ أَلْمَلَى مَا زَالَ صَوْتُكَ يَبِينَا
يُهِيبُ بِنَا^(١) هَذَا بِنَا أَقْمَتُهُ
فَرُوحِي فِي هَذَا الْمَقَامِ مُطَالَةٌ
فَلَا تُحْزِنُونَهَا بِالْخِلَافِ فَإِنِّي

فَكَبِيرٌ وَهَلَلٌ وَأَلَقَ ضَيْفَكَ جَائِيًا
شَهِيدَ أَلْمَلَا فِي زَهْرَةِ الْعُمَرِ ذَاوِيَا^(٢)
لَكَانَ النَّاسِي مِنْ جَوَى الْحُزْنِ شَافِيَا
وَهِيَئَاتِ أَنْ يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ ثَانِيَا
وَأَيْنَ الْحَجَى وَالرَّأْيُ وَيَحْكُ هَاهِيَا
فَقَدْ أَسْكَتَ الصَّوْتُ الَّذِي كَانَ عَالِيَا
إِلَى الْمَجْدِ فَاسْتَحْيَا النُّفُوسَ الْبَوَاقِيَا
وَأِنِّي أَجِيدُ الْيَوْمَ فِيكَ الْمَرَاثِيَا
لَمَّا فِيهِ مِنْ دَاءِ النُّفُوسِ مُدَاوِيَا
يَرْنُ كَمَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ ذَاوِيَا
فَلَا تَهْدُمُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُ بَانِيَا
تُشَاهِدُكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ بَالِيَا
أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي اخْتِلَافِ الدَّوَاهِيَا

أَجَلُ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ إِنَّا
 قَسَاؤُكَ مَحْضُوطٌ وَطَيْفُكَ مَائِلٌ
 عَهْدُ نَاكَ لَا تَبْكِي وَتُنْكِرُ أَنْ يُرَى
 أَخُو النَّاسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بَاكِ
 فَرَحْصَ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءُ وَفِي غَدٍ
 تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا وَوَاوِيسَا
 فَيَا نِيلُ إِنْ لَمْ تَجْرِبْ بَعْدَ وَقَاتِهِ
 دَمَا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَا نِيلُ جَارِيَا
 وَيَا أَهْلَ مِصْرَ إِنْ جِهَلْتُمْ مُصَابِكُمْ
 ثِقُوا أَنَّ نَجْمَ السَّعْدِ قَدْ غَارَ^(١) هَاوِيَا
 عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا قَوْمٌ أَنْتَ هَانِيَا
 وَصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ وَإِنْ كُنْتَ نَانِيَا

ومن مرثاة لاسماعيل صبري باشا رثى بها اسماعيل ماهر بك
 القاضي في المحكمة المختلطة

أَنَاعِي مَاهِرٍ لَمْ تَذَرِ مَاذَا أَثَرَتْ مِنَ الشُّجُونِ الْكَامِنَاتِ
 نَعَيْتَ إِلَيَّ أَيَّامًا تَقَضَّتْ بِإِسْمَاعِيلَ غُرًّا صَافِيَاتِ
 أَلَا مَنْ لِلضَّعِيفِ إِذَا تَقَاضَى وَلَمْ يَدَّ شَخْصُهُ بَيْنَ الْقَضَاةِ
 وَمَنْ لِلْعَدْلِ إِنْ رَفَعَتْ بُنَاةٌ دَعَائِمُهُ وَلَمْ يَكُ فِي الْبُنَاةِ
 فَمَا لِي وَالْأَنَاءُ مِلاكَ نَفْسِي هَلِفْتُ وَلَمْ تُجَمِّلْنِي أَنَانِي^(٢)
 وَمَا لِي إِنْ أَمُرْتُ بِبَعْضِ صَبْرٍ رَأَيْتُ الصَّبْرَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ
 أَمَا هِرُكُنْتَ فِي مَا مَرَّ أَنَسِي فَمَنْ لِي فِي اللَّيَالِي الْبَاقِيَا
 وَكُنْتَ إِذَا شَكُوتُ تَبَيْتُ وَجَدَا تُرَدِّدُ مَا يُرِيكَ مِنْ شِكَاكِي^(٣)

وَتَسْأَلُ سَادِي السَّمَاتِ عَنِّي خُؤًا وَالْبُرُوقِ الْوَامِضَاتِ
وَمَنْ يَفْقِدُ شَبِيهَكَ يَبْكُ دُنْيَا تَوَلَّتْ بِالْمُودَّةِ وَالْأَلِمَاتِ
كَذَّبْتُكَ لَوْ صَدَّقْتُكَ بَعْضَ وَدِّي لَهْدَ جَوَانِبِي صَوْتُ النُّعَاةِ
يُرْغِمِي أَنْ تَقْلُسَ مِنْكَ ظِلٌّ وَقَانِي حُبَّةً لَفَحَ الْحَيَاةِ^(١)
وَأَنْ نَضَبَتْ خِلَالَ كُنْتُ مِنْهَا أَعْبُ لَدَيْكَ فِي عَذْبٍ فُرَاتٍ^(٢)
أَخِي مَا حِيلَتِي إِلَّا سَلَامٌ يَزُودُكَ فِي الْمَسَاءِ وَفِي الْقَدَاةِ
وَالْأَلَمِ أُنْثَرُهُ عَقِيقًا^(٣) عَلَى ذِكْرِي حِلَاكَ الْقَائِمَاتِ
قَضَيْتَ فَكُنْتَ أَسْرَعَنَا مَسِيرًا إِلَى غُرَفِ الْجَنَانِ الْعَالِيَاتِ

«وله من مرثاة يعزي بها سابا باشا عن فقد ولده فريد»

سَابَا أَتَقَى اللَّهَ وَخَلَّ الْأَسَى لَجَائِلٍ يُعَذِّرُ فِي جَهْلِهِ
لَا تَكْتَرِثُ بِالزُّدَى وَأَنْهَضَ بِهِ قَالَرَأَيْ كُلُّ الرُّأْيِ فِي حَمْلِهِ
مِثْلَكَ مَنْ يَلْجَأُ إِنْ رَاعَهُ يَوْمٌ بِمَكْرُوهِهِ إِلَى عَقْلِهِ
قَضَى فَرِيدٌ وَهُوَ غَضُّ الصَّبَا وَخَلَفَ الْحَسْرَةَ فِي أَهْلِهِ
وَقَابَلَتْهُ فِي الْجَنَانِ أَلْمَى مَلَايِكُ اللَّهِ فِي شَكَايِهِ
مَا لَهُ مِنْ غُصْنٍ مَا نَمَا حَتَّى ذَوَى وَاجْتَثَ مِنْ أَصْلِهِ^(٤)

(١) تقلص الظل اتزوى وانضم ضد امتد . والحبة المدة من الدهر . واللفح الاحراق (٢) نضب عار في الارض وذهب . وعاء شرب . والفرات العذب ج. ا. (٣) اي احمر كالعقيق (٤) ذوى ذبل . واجتث الشجر قطعه واقتلعه من اصله

سَابَا أَبُكَ لَكِنْ كَأَلْحَكِيمِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُطْعَنَ فِي ثَبَلِهِ^(١)
وَأَصِيرَ فَكَمْ مِنْ جَزَعٍ آكِلٍ مِنْ صِحَّةِ الْمَرْءِ وَمِنْ فَضْلِهِ
فَالَيْتُ لَا تُنْسِيَهُ أَحْزَانُهُ مَقَامُهُ إِنْ ضَيَّ^(٢) فِي شَيْلِهِ

« ومن قصيدة خليل مطران يعزبه بها ايضاً عن ولده »

مَا فِي الْأَسَى مِنْ تَقَشُّرِ الْكَدِّ مِثْلُ أَسَى وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كَمْ بَطَلَ عَاشَ وَهُوَ ذُو صَبَدٍ فَرَدَّهُ الْتُكُلُ غَيْرَ ذِي صَبَدٍ^(٣)
أَهْوَنُ مِنْ رُزْئِهِ عَلَيْهِ أَدَى كِفَاحُ جَيْشٍ أَوْ مُلْتَقَى أَسَدٍ
سَابَا لَكَ اللَّهُ وَهُوَ أَلْطَفُ مَنْ يَأْسُو^(٤) جَرِيحاً وَأَنْتَ دُورُشْدٍ
إِنْ قُلُوباً مُحِيطَةٌ بِكَ مِنْ كَرَامَةِ سَاهَمَتِكَ^(٥) فِي الْكَدِّ
لَهْفِي عَلَى ذَلِكَ الْحَبِيبِ ذَوِي مُنْهَصِرِ الْفَضْلِ لَمْ يُنَلْ يَسَدٍ
فِي عِزِّ مُلْكِ الصَّبَا وَحَاشِيَةِ وَنَ غُرِّ آمَالِهِ بِسَلَا عَدَدٍ

وقال الياس بك فياض يرثي « فتحي وصادقاً » الطيارين

العثمانين في حفلة أقيمت لهما في بيروت

رُوحِي قَمِيدَنَا السَّلَامُ عَلَيْكُمَا أَبَدَا جَوَانِحُنَا تَحْنُ إِلَيْكُمَا
رَوْعَتُنَا بَعْدَ السُّرُورِ قُلُوبُنَا اللَّهُ فِي فَرَحٍ تَحَوَّلَ مَأْتُمَا
نَبَأُ أَمَضٍ^(٦) الشَّامُ وَقَعُ مُصَابِهِ وَغَدَا يَفِيضُ الْبَيْلُ مِنْهُ تَأَلَّمَا

(١) الثبل الفضل (٢) ظَلِمَ (٣) الشكل فقدان الولد . والصيد الكبرياء

(٤) أساء عزاه (٥) شاركك (٦) اوجع واحرق

يَا مِصْرُ قَدْ صُنْتَ أَلْتَأْمُنُنَّ^(١)
 إِنْ حَالَ صَرْفُ الدَّهْرِ دُونَهُمَا فَقَدْ
 يَا أَيُّهَا الْبَطْلَانِ حَسْبُكُمَا أَلْعَلَى
 حَلَفْتُمَا حَتَّى النَّسُورُ جَوَافِلُ
 وَزَحْنُهَا يَا لَنَا كِبَرُ زَحْمَةٍ
 وَعَلَوْتُمَا وَعَلَوْتُمَا وَعَلَوْتُمَا
 قَمَرَانِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ تَلَاقِيَا
 أَحْرَزْتُمَا لِلْجَيْشِ فَخْرًا بَاقِيَا
 وَآيِنْتُمَا مَوْتًا كَمَا مَاتَ الْوَرَى
 فَتَحِي أَطْلُ مِنْ أَلْمَلَاءِ مُكَذِّبَا
 مَنْ قَالَ إِنْ الشَّرْقَ شَمْبُ غَافِلُ
 فَالْيَوْمَ قَدْ جَدَدْتُمَا لِسَبَابِهِ
 وَأَرْقُمَا لِلْعِلْمِ أَكْرَمَ سُهْجَةٍ
 فَلْيَقْدُ مَوْتُكُمَا حَيَاةَ شُعُونَا
 وَلْتَقْدَمَنَّ عَلَى الْعَالِي مِثْلَمَا
 هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الْمُبِيدُ وَهَذِهِ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ أَنْ يَمُوتَ مُكْرَمًا

فَتَبَدَّلِي مِنْهُ أَلْهَاءَ مُنْظَمَا
 حَمَلَا إِلَيْكَ مَعَ الصَّبَا رُوحَيْهَا
 ذِكْرًا وَحَسْبُ الْمَجْدِ أَنْ خُلِدْتُمَا
 جَزَعًا لَسَائِلُ أَيُّ طَيْرٍ أَنْتُمَا
 فَتَدَّتْ تَصْبِيحُ وَتَسْتَيْثُ الْأَنْجُمَا
 حَتَّى رَأَيْنَا مَشْهَدًا مَا أَعْظَمَا
 عَطَفَ أَلْهَالُ عَلَى أَلْهَالٍ مُسْلِمًا^(٢)
 وَفَتَحْتُمَا فَتْحًا أَجَلُ وَأَكْرَمَا
 فَاخْتَرْتُمَا كَيْدَ أَلْعَلَى قَبْرِيكُمَا
 مَنْ قَالَ إِنَّا أُمَّةٌ لَنْ تُقْدِمَا
 لَا يَسْتَطِيعُ مَعَ الشُّعُوبِ تَقْدُمَا
 عَهْدًا سَيْنِي عَهْدُهُ الْمُتَصَرَّمَا
 كَانَتْ تَرَاقُ عَلَى الْمَطَالِمِ قَبْلَمَا
 وَلِيَمْحُ طَيْبُ دِمَاكُمَا ذَاكَ أَلْدَمَا
 أَقْدَمْتُمَا لِنَالٍ مَا قَدْ زِلْتُمَا
 عِظَةُ الزَّمَانِ فَهَلْ لَنَا أَنْ نَعْلَمَا
 هَيْهَاتَ يَعْرِفُ أَنْ يَعِيشَ مُكْرَمًا

(١) يشير الى الحفلة التي اعدتها مصر لاستقبالها (٢) يريد الالهال العثماني والقصر

ربنا سعد باشا زغلول

« قال خليل بك مطران من قصيدة »

لَيَنْتَشِرَ بَعْدَ طَيِّ ذَلِكَ الْعِلْمُ وَلَيَنْتَعِشَ أَمَلٌ يَكْبُو بِهِ الْأَلَمُ
لَا خُطْبَ أَكْبَرُ مِمَّا رَاعَ اثْبَتَكُمْ لَكِنْ أُعِيدُكُمْ أَنْ تَضُمَّ أَلِهَكُمْ
ذَلِكَ أَلْوَاهُ الَّذِي لَفَّ الرَّئِيسُ بِهِ زِيدَتْ لَهُ الْيَوْمَ فِي أَعْنَاقِنَا ذِمَّتُكُمْ
وَعَادَ أَوَّلَى بِإِجْلَالٍ وَتَقْدِيرَةٍ مِنْ حَيْثُ أُدْرِجَ فِيهِ الْمَقْرَدُ الْعِلْمُ
لَا تَأْخُذِ الْقَمَّةَ الْكُبْرَى مَا خَذَهَا مِنْكُمْ وَإِنْ صَغُرَتْ تِلْقَاءُهَا أَلْنَمُ
أَمَاتَ سَمْعٌ وَرُوحُ الشَّعْبِ بَاقِيَةٌ وَالرَّأْيُ مُوْتَلَفٌ وَالشَّمْلُ مُلْتَمِمْ
وَالرَّمْزُ بَاقٍ وَذَلِكَ الصَّوْتُ نَسْمَعُهُ مِمَّا تَنَوَّعَتِ الْأَصْوَاتُ وَالْكَلِمُ
يَا مِصْرُ خُطْبُكَ خُطْبُ الشَّرْقِ أَجْمَعِ عَلَى اخْتِلَافِ بَنِيهِ وَالْأَسَى عَمُّ
تَلْجَلِجَ الْبَرْقُ إِذْ طَارَ النَّبِيُّ بِهِ وَاسْتَشْرَعَتْ وَقْرَهُ الْوَخَادَةُ الرَّسْمُ^(١)
لَمْ تَشْهَدْ الْعَرَبُ يَوْمًا فِي قَوَادِحِهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ مَشْهُودٌ أَوْ لَا الْعَجَمُ
قَضَى الَّذِي كَانَ نَادِيهِ وَمَحْضَرُهُ قِلَادَةَ لِكِرَامِ النَّاسِ تَنْتَظِمُ
إِذَا تَحَدَّثَ أَصَفَتْ كُلُّ جَارِحَةٍ إِلَيْهِ لَا الْكَذْبُ يَفْذِيهَا وَلَا أَلْسَامُ

(١) اي النياق الوخادة وهي السرعة الخطو . والرسم جمع الرسوم وهي
الناقة التي توتر اخفافها في الارض من سدة الوطاء

حَدَّثَ عَنْ الْبَلَسَمِ الشَّارِفِ يَرْثِيهِ
 حَدَّثَ عَنْ الْبَلْبَلِ الْغَرِيدِ مُخْتَلِفًا
 يَسُوسُ كُلًّا بِأَجْدَى مَا يُسَاسُ بِهِ
 وَمَا يَنْصُ عَنْ الْمُهْوَفِ نَاطِرُهُ
 مَنْ لِلرُّقِيِّ بِنَهَاضٍ كَهَضَّتِهِ
 تُرْعَى لَهُ حُرْمَةٌ فِي كُلِّ مَنَزَلَةٍ
 أَعْدَاءُ أَوْطَانِهِ أَعْدَاؤُهُ جَهْلُوا
 إِنْ عَاهَدُوهُ بِإِنصَافٍ فَذَلِكَ وَإِنْ
 تَضُّهُ وَالرِّفَاقَ الْمُتَقَدِّينَ بِهِ
 وَمَا صَحَابَتُهُ إِلَّا شُبُوحُ نُهَى

إِنْ سُوِّهُوا فِي مَجَالَاتِ الْعُلَى سَهُّوا^(٣)

وَفَتِيَّةٌ نُجِبُ صِيَابَةٌ غُلِبُ^(٤)
 بَرُّوا بِمَا أَقْسَمُوا طَوْعًا لِأَنْفُسِهِمْ
 سَارُوا بِأَمْرَتِهِ وَالْحَقُّ رَأَيْدُهُمْ
 رَأَوْا بِهِ أَمْتَلُ الْأَعْلَى بِأَبْعَدَ مَا

(١) اعتفاه اتاه يطلب معروفة (٢) قريب (٣) ساهمة قارعه ويريد بالمساهمة

عنا المسابقة . وسهمه غلبه في المساهمة (٤) صيابة القوم خيارهم والغلب جمع الاغلب
 وهو الاسد حرك عينه هنا للضرورة (٥) الوكل الحاجز الذي بكل اموره الى غيره
 والبرم الضجر (٦) جمع البهمة وهو الشجاع الذي لا يدرى من اين يوثق اشدته بأسه

أَعْظَمُ بِهِ إِذْ تَوَلَّى الْأَمْرَ أَجْمَعَهُ
وَيَوْمَ رُدَّتْ عَلَى الدُّسُورِ هَيْبَتُهُ
دَعَاهُ دَاعِيهِ بِالشَّيْخِ الْجَلِيلِ وَمَا
يَبْنِي بِهِ سَقَمُ يُوهِي عَزِيمَتَهُ
يَا لَأَمْسِ أُمَّتُهُ مِنْ بَيْنِهِ اتَّخَذَتْ
وَالْيَوْمَ شَادَتْ لَهُ قَبْرًا بِجَانِبِهِ
تَسَافَسَ النَّابِغُونَ الْقَائِنُونَ بِهِ

حَتَّى أَزْدَرَى كُلَّ صَرْحٍ ذَلِكَ أَرْجَمُ^(١)
وَلَوْ أَطَاعُوا هَوَاهُمْ فِي تَجَلَّتِهِ
مَا مِنْ عَظِيمٍ سِوَى سَعْدٍ أُتِيحَ لَهُ
فِي النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا ذَلِكَ الْعِظَمُ

وقال بشاره عبدالله الحوري « صاحب البرق » من قصيدة في رثائه

قَالُوا دَهَتْ مَصْرَدَهَا فَقُلْتُ لَهُمْ
قَالُوا أَشَدُّ وَأَدْهَى قُلْتُ وَيَحْكُمُ
لَمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْقَرْبَ قَاطِبَةٌ
لَمْ لَا تَقُولُونَ إِنَّ الْقَرْبَ مُضْطَرِبٌ
عَدَرْتُكُمْ كَانِ مِلْءُ الْكَوْنِ صَاحِبُكُمْ
هَلْ غُبِضَ الْبَيْلُ أَمْ هَلْ زُلْزِلَ الْهَرَمُ
إِذَا لَدَمَاتِ سَعْدٌ وَأَنْطَوَى الْعَلَمُ
تَبَتُّمُوا كَانَ زَغَاوُلُ آبَا لَهُمْ
فَكَيْفَ تَمَلُّ أُذُنَ السَّامِعِ الْكَلِمُ

جَاءَ التَّيُّونَ مِنْ قَبْلِ مَا لَا مَوَا
وَجَاءَ سَعْدُ فَشَلُّ الشَّرْقِ مُلْتَمِمْ
يَطْوِي الضَّلُوعَ عَلَى جُرْحٍ إِذَا نُكِتَ
إِحْدَى حَوَاشِيهِ عَمَّ الْمَشْرِقَ الْأَلَمُ
كَانَ سِلْكَ مَنِ الْكَهْرَابِ يُنْسِكُهُ
سَعْدُ عَلَى طَرْفِهِ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ
إِنْ أَنْ أَنْتَ لَهُ بَدَادُ وَأَنْخَلَتْ
لَهُ دِمَشْقُ وَرَاحَ الْبَيْتُ يَلْتَطِمُ
الْقَائِلُ الْحَقُّ لَا تُفْنِي عَزَائِهِ
وَالْوَاحِدُ الْقَرْدُ فِي أَثَوَاهِ أُمَمُ
رِجَالٍ مِصْرَ شَفِيعِي إِنْ عَتَبُكُمْ
أَنْ الْحُبُّ لَدَيْكُمْ لَيْسَ يُتَمُّ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي تَحْزِينِكُمْ
أَنْ تَنْصُرُوا الْخَصْمَ وَهُوَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ
وَوَحِّدُوا بِأَسْمِ مِصْرٍ فِي تَجَمُّعِهَا
وَعَالِلُوا ثَمَرَ مِصْرٍ كَيْفَ يَنْتَسِمُ
سَعْدُ أَرَادَ كُمْ حِلْفًا فَلَا قُسِمَتْ
أَجْزَاؤُكُمْ حُبُّ مِصْرٍ لَيْسَ يَنْقَسِمُ

أَوْطَانُكُمْ وَهِيَ أَعْرَاضُ مُطَهَّرَةٌ
 فَخَيَّرُوا «الْقَوْمَ» عَنْهَا إِنَّهَا حَرَمٌ
 وَلَقِينَا جِهَادَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا
 (فَإِنْ أَمَرَ كُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمُّ (١))
 مَنْ مُبْلِغٌ وَمَصْرَ عَنَّا مَا نُكَابِدُهُ
 إِنَّ الْعُرُوبَةَ فَيَا يَتَّسَا ذِمَّتُ
 رُكْنَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُقْصَمْ عُرَى لَهَا
 هُمْ نَحْنُ إِنْ دُرِّتْ يَوْمًا وَنَحْنُ هُمْ
 فِي قَلْبِ لُبْنَانَ جُرْحٌ لَا أُنْدِمَالُ لَهُ
 لَكِنَّهُ بِجَبِيلِ الصَّبْرِ يَعْتَصِمُ



الباب الثالث عشر

﴿ في اللغة ﴾

مقتطف من كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد

في العلم والعلماء

يُقَالُ : فُلَانٌ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ . وَمِنْ حَتَلَةِ الْعِلْمِ . وَمِنْ أُولِي الْعِرْقَانِ وَأَهْلِ التَّحْصِيلِ .

وَلَهُ لَكِنَّ الْعُلَمَاءَ الْمُتَحَقِّقِينَ وَمِنْ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ . وَمِنْ ذَوِي الْبَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ . وَذَوِي الْعِلْمِ الْوَاسِعِ .

وَهُوَ عَالِمٌ أُمَّتِهِ وَعَالِمٌ عَصْرِهِ وَأَوْحَدُ زَمَانِهِ

وَهُوَ قُطْبُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَنَجْمُهُمْ وَرَعِيَّتُهُمْ وَإِمَامُهُمْ .

وَتَقُولُ : فُلَانٌ بَحْرُ الْعِلْمِ الْآخِرُ وَبَدْرُ الْعُلَمَاءِ الْآخِرِ ، وَالَّذِي يُدْجَعُ

إِلَيْهِ فِي الْمَشْكِلَاتِ وَيُسْتَصْبَحُ بِضَوْوِهِ فِي الْمَغْضَلَاتِ

وَيُقَالُ : تَضَلَّعَ فُلَانٌ مِنَ الْعِلْمِ وَتَبَخَّرَ فِيهِ وَاسْتَبَخَّرَ وَتَعَمَّقَ وَتَبَسَّطَ

وَأَوَّغَلَ فِي الْبَحْثِ وَأَمَّنَ فِي التَّنْقِيبِ وَتَعَمَّى فِي التَّدْقِيقِ

وَقَدْ اسْتَبْطَنَ دَخَائِلَ الْعِلْمِ وَاسْتَجْلَى غَوَامِضَهُ وَخَاضَ مُجَابَهُ وَغَاصَ

عَلَى أَسْرَارِهِ وَأَحْصَى مَسَائِلَهُ وَاسْتَفْرَى دَقَائِقَهُ وَاسْتَفْرَجَ مُجَبَّاتِهِ وَمَخَصَّ

حَقَائِقَهُ وَوَقَفَ عَلَى أَغْرَاضِهِ وَجَمَعَ أَشْتَاتَهُ وَاسْتَقْصَى أَطْرَافَهُ وَاحْطَأَ بِأُصُولِهِ

وَفُرُوعِهِ

وَهُوَ حُجَّةٌ فِي عِلْمٍ كَذَا وَهُوَ عَالِمٌ فِيهِ وَوَاحِدٌ فِيهِ . وَقَدْ انْتَهَتْ إِلَيْهِ
الرَّئِيسَةُ فِي عِلْمٍ كَذَا . وَهُوَ فِيهِ رَاسِخٌ الْقَدَمِ طَوِيلُ الْبَاعِ غَزِيرُ الْمَادَّةِ
وَاسِعُ الْإِطْلَاعِ . وَإِنَّهُ لَبَحْرٌ لَا يُسَبَّدُ غَوْرُهُ

وَيُقَالُ : فُلَانٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَمِنْهُ انْقَطَعَ لِطَلَبِهِ وَتَحَلَّى لَهُ وَقَصَرَ
عَلَيْهِ نَفْسَهُ وَوَقَفَ عَلَيْهِ جَهْدَهُ وَأَنْفَقَ أَوْقَاتَهُ عَلَى طَلَبِهِ

وَيُقَالُ : قَدْ حَذَقَ عِلْمَ كَذَا وَهَمَّ فِيهِ وَأَتَقَنَهُ وَأَحْكَمَهُ وَمَلَكَ عِنَانَهُ
وَمَلَكَ قِيَادَهُ وَتَوَقَّرَ حَظَّهُ مِنْهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَوْضِعًا جَلِيلًا . وَأَصْبَحَ يَمُنُّ بِشَارِ
إِلَيْهِ بِالْبَتَانِ

وَيَقُولُ : طَلَبْتُ الْعِلْمَ عَلَى فُلَانٍ وَدَرَسْتُهُ عَلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ عَنْهُ وَأَقْبَسْتُهُ
عَنْهُ وَتَلَقَّيْتُهُ عَنْهُ وَتَلَكَّيْتُهُ مِنْهُ . وَقَدْ تَأَدَّبْتُ عَلَيْهِ وَتَحَرَّجْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا خَرِيجُهُ
وَيُقَالُ : شَدَا فُلَانٌ فِي عِلْمٍ كَذَا وَشَدَا شَيْئًا مِنْ الْعِلْمِ إِذَا أَخَذَ
طَرَفًا مِنْهُ

وَيَقُولُ : فُلَانٌ قَسَهُ عِلْمُ كَذَا إِذَا كَانَ الْعِلْمُ الَّذِي أَنْصَرَفَ إِلَيْهِ
وَأَحْكَمَهُ . وَهُوَ مُشَارِكٌ فِي عِلْمٍ كَذَا إِذَا كَانَ لَهُ إِطْلَاعٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْ
مَبَاحِثِهِ وَأَصُولِهِ فَلَاوَةٌ عَلَى فِيهِ الْمُخْصُوصِ بِهِ . وَلَهُ لِمَالُهُ يَقْنَرُ كَذَا وَهُوَ
الْعِلْمُ الْيَسِيرُ بِشَيْءٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِهِ .

في التأليف

تَقُولُ : هَذَا كِتَابٌ غَزِيرُ الْمَادَّةِ جَزِيلُ التَّبَاحِثِ جَمُّ الْفَوَائِدِ سَدِيدُ
الْمَنْهَجِ قَرِيبُ الْمَتَالِ سَهْلُ الْأَسْلُوبِ عَذْبُ التَّوَرِيدِ . وَقَدْ تَصَفَّحْتُ مُؤَلَّفَ
كَذَا فَإِذَا هُوَ كِتَابٌ أُنِيقٌ حَسَنُ الدِّيْبَاجَةِ مُحْكَمُ الْوَضْعِ مُتَنَاسِقُ التَّبْوِيسِ

وَقَدْ طُورِيَ عَلَى كَذَا بَابًا وَكُتِبَ عَلَى كَذَا بَابًا
 وَهُوَ كِتَابٌ فَرِيدٌ فِي قَبْلِهِ جَامِعٌ لِشَيْئِ الْقَوَائِدِ وَمَشْهُورٌ الْمَسَائِلِ .
 قَدْ اسْتَوْعَبَ أَصُولَ هَذَا الْعِلْمِ وَأَحَاطَ بِفُرُوعِهِ . لَمْ يَصِفْ فِي بَابِهِ أَجْمَعُ
 مِنْهُ وَلَا أَرَصَفُ تَعْيِيدًا . وَقَدْ تَوَدَّ عَنْ التَّعْقِيدِ وَالْإِشْكَالِ وَالْإِنْهَامِ وَاللَّبْسِ
 وَالْحُلَلِ وَالْفَوِّ وَالْحَشْوِ وَالرَّكَكَةِ

وَتَقُولُ : هَذَا مَوْأَفٌ مُخْتَصَرٌ وَجِيزٌ وَمَوْجَزٌ جَزَلٌ التَّعْيِيدُ حَسَنُ التَّفْرِيعِ
 الْمَسَائِلِ مُتَابِعُ النَّسَقِ . وَقَدْ لَفِضَتْ فِيهِ قَوَائِدُ الْعِلْمِ أَحْسَنَ تَلْخِصٍ
 وَحُرَرَتْ مَسَائِلُهُ أَحْسَنَ تَخْرِيجٍ . وَعَلَيْهِ سَمَرُحٌ لَطِيفٌ كَافِلٌ بَيَانٌ غَامِضٌ
 وَإِبْطَاحٌ مُبْهِمٌ وَتَفْصِيلٌ مُجَلِّدٌ وَبَسْطٌ مُوَجِّزٌ وَتَعْرِيبٌ بَعِيدٌ

في الفصاحة

تَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ فَصِيحٌ مُعَبَّرٌ مُهَذَّبٌ الْفُظُّ مُنْعَجٌ الْبَارَةُ مِنْكُمْ
 السَّبَكِ . لَمْ تَطْلُقْ بِهِ رَكَكَةً وَلَا ظِلًّا عَلَيْهِ لِلْإِبْتِدَالِ
 وَهَذَا كَلَامٌ عَلَيْهِ طَابَعُ الْفَصَاحَةِ وَعَلَيْهِ مِثْمُ الْفَصَاحَةِ وَرَوْنَقُ الْفَصَاحَةِ
 وَقَدْ حَاطَتْ عَلَيْهِ الْفَصَاحَةُ ذُخْرُهَا . وَقَدْ أَفْرَغَ فِي قَالِبِ الْفَصَاحَةِ وَنَسَجَ
 عَلَى مَنَوالِ الْفَصَاحَةِ وَطَبَعَ عَلَى غِرَارِ الْفَصَاحَةِ

وَتَقُولُ : فُلَانٌ مَطْبُوعٌ عَلَى جِزَالَةِ الْأَلْفَاظِ وَقَضَامَةِ الْأَسَالِبِ . وَهَذَا
 كَلَامٌ رَقِيقٌ رَشِيقٌ سَلِسٌ مَأْنُوسٌ رَخِيمٌ رَقِيقٌ أَخْوَاشِي حَسَنٌ الْإِنْجَامِ
 عَذْبُ التَّوَرِدِ سَانِعُ التَّوَرِدِ يَقَعْلُ بِالْأَلْبَابِ فَعَلَ السَّلَافِ .

وَتَقُولُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ : هَذَا كَلَامٌ نَافِرٌ مُتَوَعَّرٌ عَلَيْهِ جَعْرَةُ الْأَعْرَابِ
 وَخُشُونَةُ الْبَاهِلِيَّةِ . وَإِنَّهُ لَكَلَامٌ فِجٌّ عَلَى الدُّوقِ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ ثَقِيلٌ
 جواهر الثالث ١٦

عَلَى الْإِلْسِنَةِ . وَإِنَّ تَمَجُّعَ الْأَسْمَاعِ وَتَثْبُوعَهُ الْأَسْمَاعُ وَتَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَذَانُ .
 قَدْ تَجَافَى عَنْ مَضَاجِعِ الرِّقَّةِ وَمَذَاهِبِ السَّلَاسَةِ
 وَتَقُولُ : هَذِهِ لَقَّةٌ مَهْجُورَةٌ وَلَقَّةٌ وَحْشِيَّةٌ
 وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ رَكِيكٌ سَخِيفٌ سَقِيمٌ سَاقِطٌ مُبْتَذَلٌ عَائِي الْأَلْفَاظِ
 سُورِي الْأَلْفَاظِ

وَإِنَّ لِكَلَامٍ تَنْفِيهِ الْأَذَانُ وَتَسْبُحَةَ الْأَذْوَاقِ السَّلِيحَةُ . وَإِنَّ رَمَلًا يَدُلُّ
 عَلَى خِفَّةِ الْبِضَاعَةِ وَتَرَادُفِ الْمَادَّةِ . وَلَمَّا هُوَ مِنْ سَقَطِ السَّمَاعِ .
 وَتَقُولُ فِي وَصْفِ الشَّكْلِ : رَجُلٌ لِينٌ وَمِلْسَانٌ وَهِنْطِقٌ وَمُفَوِّهٌ .
 فَصِيحُ الْفَلْظِ فَصِيحُ الْهَجَةِ فَصِيحُ الْمَنْطِقِ طَلِيقُ الْإِلْسَانِ حَدِيدُ الْإِلْسَانِ
 ذَلِيقُ الْإِلْسَانِ ذَرِبُ الْإِلْسَانِ عَضْبُ الْإِلْسَانِ . حُرُّ الْمَنْطِقِ حُرُّ الْكَلَامِ بَيْنُ
 الْهَجَةِ حَسَنُ السَّبْكِ أَيْقُ الْفَلْظِ سَلِيمُ الْمَلَكَةِ سَلِيمُ الذَّوْقِ لَطِيفُ الذَّوْقِ
 بَصِيرٌ بِاخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ عَالِمٌ بِمَوَاقِعِ الْكَلِمِ .
 وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : هُوَ رَجُلٌ كَلِيلُ الْإِلْسَانِ بَطِيءُ الْمَنْطِقِ .
 وَقَدْ احْتَبَسَ لِسَانَهُ عَنِ النُّطْقِ وَاعْتَقَلَ عَنِ الْكَلَامِ . وَفِي مَنْطِقِهِ حُبْسَةٌ
 وَعَقَّةٌ وَعُقْدَةٌ .

في البلاغة

يُقَالُ : فُلَانٌ قَدْ قَبَضَ عَلَى أَرْزَمَةِ الْبَلَاغَةِ وَمَلَكَ اعْتِقَاقَ الْمَعَانِي
 وَسُغَرَتْ أَهْلُ الْأَلْفَاظِ وَأَوْقَى فَضْلَ الْخَطَابِ وَأَوْقَى جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَتَوَابَعَ
 الْحِكْمِ . وَهُوَ مِنْ أَمْرِهِ الْكَلَامِ ، وَإِنْ كَلَامُهُ لَا يُخَذُّ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ ،
 وَإِنْ كَلَامُهُ أَخْمَرُ أَوْ أَعْدَبُ وَإِنْ بَيَانُهُ التَّسْعَرُ أَوْ أَعْرَبُ . وَإِنَّهُ لَا يَأْتِي مِنْ

آيَاتِ اللَّهِ فِي بَلَاغَةِ التَّعْبِيرِ .

وَيَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : فَلَنْ يَمِيَّ اللِّسَانُ حَصِرُ اللِّسَانِ كَلِيلُ الذِّهْنِ .
بَلِيدُ الطَّلَبِ . مَيِّتُ الْخَيْرِ . جَامِدُ الْقَرِيحَةِ . خَامِدُ الْفِكْرَةِ . وَهَوَّاثُ الْكَلَامِ .
سَقِيمُ الْأَدَاءِ . مُنْخَطَّ عَنْ مَقَامَاتِ الْبُلْغَاءِ . قَدْ مَلَكَتْ لِسَانَهُ الرِّسَاكَةُ وَمَلَكَتْ
ذِهْنَهُ الْعَمِيَّةُ .

في الخطابة

يُقَالُ : فَلَنْ خَطِيبٌ مَضْعُوقِي الْمَارِضَةِ رَحِيبُ السَّجَالِ بَعِيدُ الْغَايَةِ
بَعِيدُ الْأَمَدِ مَضْعُوقُ الْخَاطِرِ سَنَحُ الْقَرِيحَةِ حَسَنُ الْيَسَانِ عَذْبُ الْمَنْطِقِ .
نَدِيءُ الصَّوْتِ .

وَلَمَّا تَسَرَّعَ الْخَاطِرُ حَاضِرُ الذِّهْنِ لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَوَقَّفُ . إِذَا سَكَنَ
مَلَأَ الْأَسْمَاعَ وَالْقُلُوبَ .

وَلَمَّا فَلَا أَمَحَدِيثٌ بِمَا فِي الْقُلُوبِ صَادِقُ الْفِرَاسَةِ بِمَا فِي الصَّمَانِ كَانَ
كَشَفِ بِمَغْفِيَّاتِ الصُّدُورِ وَأَطْلَعَ عَلَى مَا كُنْ أُنْهَاءِ الضَّارِعِ . وَكَانَتْ
يَنْظُرُ إِلَى الْقَنِيبِ مِنْ سَفَرِ رَقِيقٍ . وَقَدْ فَجَّرَ اللَّهُ يَتَابِيعَ الْحِكْمَةِ عَلَى لِسَانِهِ
وَتَدَقَّقَتْ سُيُولُ الْبَلَاغَةِ عَلَى لِسَانِهِ . إِذَا أَقَاضَ فِي كَلَامِهِ مَلَكَ أَعْنَتُهُ
أَقْشَابُ وَرْدٍ شَارِدِ الْأَنْهَاءِ وَقَادَ حُرُونَ الشَّهَوَاتِ وَقَوْمٌ ذِيغِ النَّفُوسِ
وَحَشَمَتْ لَهُ الْأَبْصَارُ وَسَكَنَتْ الْجَوَارِحُ وَخَفَّتِ الْأَفئِدَةُ .

وَيُقَالُ : خَطَبَ فَلَانٌ فِي الْقَوْمِ وَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا . وَقَدْ ارْتَجَلَ الْخُطْبَةَ
وَأَقْتَضَبَهَا وَأَبْتَدَهَهَا إِذَا قَالَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُهَيِّئَهَا
وَيُقَالُ : قَدْ أَطَالَ عِنَانَ الْقَوْلِ وَأَمْتَدَّ بِهِ نَفْسُ الْكَلَامِ .

وَيُقَالُ : صَعِدَ فُلَانٌ الْيَنْبَرَ فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ إِذَا اسْتَعْلَى عَلَيْهِ الْكَلَامُ
وَيُقَالُ فِي الذَّمِّ : فُلَانٌ مُتَشَدِّقٌ تَرَاوَى مَهْدَارُهُ غَثُ الْمَنْطِقِ تَقِيَهُ الْكَلَامُ
وَلِأَنَّهُ لَيْسَ أَفَاهُ بِالْهَذَرِ وَيَتَطَّعُ بِفُضُولِ الْقَوْلِ . إِذَا تَكَلَّمَ أَنْصَرَفَتْ عَنْهُ
الْوُجُوهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ الْقُلُوبُ وَأَنْعَبَضَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ وَسَمِنَتْهُ النَّفُوسُ

في الكتابة والانشاء

يُقَالُ : فُلَانٌ رَشِيقُ اللَّفْظِ مُنْتَقِ الْعِبَارَةِ بَدِيعُ الْإِنْشَاءِ صَحِيحُ
الْدِّيْبَاجَةِ حَسَنُ التَّخْيِيرِ سَسَنُ الْقُرْأَلِ
وَهُوَ مِنْ صَاعَةِ الْكَلَامِ وَلِأَنَّهُ لَيَجِدُ السَّبْكَ حَسَنَ الصِّيَاغَةِ مَصْقُولُ
الْعِبَارَةِ حُرُّ اللَّفْظِ سَهْلُ الْأَسْلُوبِ مُنْسَجِمُ الْأَكْسَابِ مُهَذَّبُ الْعِبَارَةِ مَطْبُوعُ
عَلَى الْيَاقِوتِ لَطِيفُ التَّدَاخِلِ وَالْمَخَارِجِ . قَدْ أَتَوَتِ الْقَصَاحَةُ عَلَى قَلْبِهِ
وَلِأَنَّهُ لَيْنٌ أَغْزَرَ الْكُتَّابَ مَادَّةً وَأَطْلَوْهُمْ بَاعاً وَأَوَسَّجَهُمْ مَجَالاً
وَأَسْرَجَهُمْ خَاطِراً

وَلِأَنَّهُ فُلَانٌ لَيْنٌ أَكْبَرَ الْكُتَّابِ وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْمُتَرَسِّلِينَ وَمِنْ نَجْمَةِ
الْكَتَّابِ الْمُجِيدِينَ . وَهُوَ مُجَلِّي هَذِهِ الْخَلَّةِ وَهُوَ مُحِيطٌ بِأَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ
مُتَبَيِّنٌ فِي ضُرُوبِ الْإِنْشَاءِ . لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ طَرَائِفِ الْكَلَامِ
وَلَطَائِفِ وَنَوَادِيرِهِ وَرِكَائِهِ . مُتَبَيِّنٌ فِي مَعْرِقَةِ مُفْرَدَاتِ اللَّغَةِ عَارِفٌ بِفَصِيحِيهَا
وَدَكِكِيهَا وَمَأْثُورِيهَا وَغَرِيبِيهَا

وَلِأَنَّهُ يَتَعَدَّى كَلَامَهُ وَيُبَالِغُ فِي تَنْجِيهِهِ وَتَضْيِيعِهِ وَتَخْيِيرِهِ وَتَحْيِيرِهِ
وَتَهْذِيبِهِ . لَا تَرَى فِي كَلَامِهِ رَكَاكَةً وَلَا غَائِثَةً وَلَا سَحَابَةً وَلَا قَلْبًا وَلَا
تَضَفًا وَلَا تَكَلُّفًا وَلَا مُنَاقَرَةً

وَيَقَالُ فِي الذَّمِّ : مُلَانٌ مِنْ ضَعْفِ الْكِتَابِ سَقِمُ الْبَيَارِقِ سَخِيفُ
الْكَلَامِ . مُتَطَلِّلٌ عَلَى مَوَائِدِ الْكُتُبِ مُنْحَطٌّ عَنْ طَبَقَةِ الْمُجِيدِينَ بَعِيدٌ
عَنْ مَذَاهِبِ الْبُلَاءِ . مُبْتَذَلُ الْفَلْظِ مُبْتَذَلُ الْفَرَائِصِ يَحُومُ حَوْلَ الْمَعَانِي
الْمَطْرُوقَةِ ضَمِيفُ التَّمْدِيدِ . لَمْ يَرْتَضِعْ أَخْلَافَ الْفَصَاحَةِ . وَقَدْ أَلِفَ مَضَاجِعَ
الرُّكَاسَةِ . جُلُّ بِضَاعَتِهِ مَا يَنْسَخُهُ مِنْ كَلَامِ الْفَصَحَاءِ وَيَنْسَعُهُ مِنَ الْفَاطِي
مُتَقَدِّمِي الْكُتُبِ يُثْرِغُهُ فِي قَالِبِهِ مِنْ أَسْلُوبِهِ تَتَاوَرَدُ الرُّكَاسَةُ وَيُسَوِّرُهُ
الْأَلْحَنُ وَلَا يَرْجِعُ إِلَى ذَوْقِهِ وَلَا يُتَحَصَّه نَفْسُهُ .

في الشعر

يُقَالُ : مُلَانٌ شَاعِرٌ مُتَمَتِّعٌ مُتَلَقٌّ بَلِيعٌ عَزِيزٌ الْمَذْهَبِ بَعِيدُ النَّيَابَةِ رَفِيعُ
الطَّبَقَةِ مُتَصَرِّفٌ فِي فُنُونِ الشِّعْرِ . وَهَرَأَشَرُ أَهْلُ عَصْرِهِ . وَهُوَ شَاعِرٌ
بِالطَّبْعِ وَشَاعِرٌ مَطْبُوعٌ رَصِينُ الشِّعْرِ جَيِّدُ النَّظْمِ جَيِّدُ الْخَبَرِ صَحِيحُ
السَّبَبِ مَلِيعُ الدِّيَابِجَةِ حَسَنُ الْوَشْيِ شَانِقُ الْفَلْظِ رَشِيقُ الْمَعْنَى دَقِيقُ
الْمَعْنَى دَقِيقُ الْفِكْرِ لَطِيفُ التَّحْيِيلِ نَبِيهُ الْأَغْرَاضِ سَرِيفُ الْمَعَانِي وَاضِعُ
الْمَتَهَجِّ سَدِيدُ الْمَسْلَكِ . لَيْسَ فِي شِعْرِهِ تَكَلُّفٌ وَلَا تَعَثُّلٌ وَلَا أَرْتِبَاكٌ
وَلَا تَعْقِيدٌ وَلَا عُغْوُضٌ وَلَا أَلْيَاسٌ . وَلَيْسَ فِيهِ حَشْوٌ وَلَا لَفْوٌ . وَلَا تَرَى
فِي قَوَائِمِهِ قَلَقًا وَلَا ضَعْفًا وَلَا نُفُورًا

وَمُلَانٌ مَنْ حَاكَا الشِّعْرَ وَصَاعَا الشِّعْرَ وَصَاعَا الْقَرِيضِ وَرَوَّاضُ
الْقَوَائِمِ . وَإِنَّ لَهُ شِعْرًا كَثِيرَ الطَّلَاوَةِ كَثِيرَ اللَّطَائِفِ وَالنَّاحِ وَالنَّكَتِ
وَالْبَدَائِعِ وَالطَّرْفِ . وَإِنْ شِعْرُهُ لَيَتَدَقَّقُ طَبْعًا وَسَلَاسَةً . حَسَنُ الْمَقَالِ
وَالْمَقَاطِعِ لَطِيفُ الْكِتَابَاتِ بَدِيعُ الْأَسْتِعَارَاتِ

وَلِإِنَّهُ لَيَرُوضُ الْقَوَارِي فِي الصَّعْبَةِ وَيَعُوضُ عَلَى التَّمَنَّى الْقَرِيبِ وَالْثَكْنَةِ
 الْتَادِرَةِ . وَلَا يَزَالُ يَأْتِي بِالْبَيْتِ الْتَادِرِ وَالْمَثَلِ السَّامِرِ وَالْحِكْمَةِ الْبَلِيغَةِ
 وَالْتَمَنَّى الْبَدِيعِ . وَلِإِنَّهُ لَيَتَكَبَّرُ الْمَعَانِي وَيَسْتَنْظِمُهَا وَيَخْتَرِعُهَا وَيَبْتَدِعُهَا
 وَهَذَا التَّمَنَّى مِنْ مُبْتَكِرَاتِ فُلَانٍ وَمِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ وَمِنْ أَبْكَارِ
 مُخْتَرَعَاتِهِ . وَهَذَا مَعْنَى لَمْ يُسَبِّحْ إِلَهِهُ وَلَمْ يَسْبُحْهُ إِلَّا هُوَ سَابِقُ وَلَمْ يَنَازِعْهُ فِيهِ
 مُنَازِعٌ وَلَمْ يَتَمَثَّلْ فِي لَوْحِ خَاطِرٍ وَلَمْ يَعْمَعْ عَلَيْهِ طَائِرٌ فِكْرٌ
 وَإِنْ فُلَانًا لَيَنْظُمُ الْآلَاءِ وَيَنْظِمُ الْعُودَ وَيُشْفِي الْأَسَاعَ وَيُسْكِرُ
 الْأَلْبَابَ وَيَسْعُرُ الْعُقُولَ وَيَخْطُبُ الْقُلُوبَ

وَلِإِنْ شِعْرُهُ لَهَوُ السَّهْلِ الْمُتَمَتِّعِ الْقَرِيبِ الْبَعِيدِ . وَإِنَّهُ لَشِعْرٌ حَرِيٌّ
 بِأَنْ يُكْتَبَ عَلَى جَنْبَةِ الدَّهْرِ وَيُعَلَّقَ فِي كَفَةِ الْقَمَرِ
 وَهَذَا شِعْرٌ مِنْ قَوَائِدِ فُلَانٍ وَمِنْ تَفَانِسِهِ وَغُرُوبِهِ . وَهُوَ مِنْ حَسَنَاتِهِ
 السَّعْدُودَةِ وَبَدَائِعِهِ الْمَشْهُورَةِ وَبَرَاعَاتِهِ الْمَأْثُورَةِ وَأَبْيَاتِهِ السَّائِرَةِ وَقَلَائِدِهِ
 الْتَرْوِيَّةِ .

وَيُقَالُ : تَبَعَ فُلَانٌ فِي الشِّعْرِ وَهُوَ نَابِقُهُ عَصْرِهِ . وَقَدْ جَاشَ الشِّعْرُ فِي
 خَاطِرِهِ وَجَاشَ فِي صَدْرِهِ . وَاسْتَشْأَتْهُ قَصِيدَةٌ فِي كَذَا فَأَنْشَأَهَا لِي
 وَلِإِنَّهُ لَيَرْجُلُ الشِّعْرَ وَيَبْتَدِعُهُ وَيَقُولُهُ عَلَى الْبَدِيعَةِ وَعَلَى الْبَدِيدِ . لَا
 يَسْهُرُ عَلَيْهِ جَفْنَاً وَلَا يَكْذُ فِيهِ طَبْعًا . وَقَدْ قَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِيَ مِنْ
 قِيَضِ الْأَخَاطِرِ وَقِيَضِ الْقَرِيعَةِ . وَإِنِّي لَمْ أَرِ أَحْضَرَ مِنْهُ ذَهَنًا وَلَا أَسْرَعَ
 خَاطِرًا وَلَا أَوْسَعَ خَاطِرًا

وَتَقُولُ فِي الذَّمِّ : شَاعِرٌ سَخِيفٌ اتَّظَمَ مُهْلَهُ الشِّعْرِ . وَهُوَ مِنْ سَاقَةِ
 أَهْلِ الشِّعْرِ . لَا مَلَكَ عِنْدَهُ لِلتَّظْمِ . وَلَيْسَ فِي سَلِيمَتِهِ الشِّعْرُ . وَلِإِنَّهُ سَقِيمٌ

الْحَاطِرِ مُضِبُ الْقَرِيحَةِ خَامِدُ الْبَدِيحَةِ رَثُ الْأَلْفَاظِ قَلْبُ الْأَسَالِبِ مُبْتَدَلُ
الْعَمَانِي مَشْوَشُ الْقَوَائِبِ ضَعِيفُ النَّقْدِ كَثِيرُ التَّكْلِيفِ شَدِيدُ التَّعَثُّلِ .
وَإِنَّمَا هُوَ وَرَّانٌ لَا شَاعِرٌ .

في النقد

يُقَالُ : نَقَدْتُ الْكَلَامَ وَانْتَقَدْتُهُ وَنَظَرْتُ فِيهِ وَتَبَيَّنْتُ فِيهِ وَأَعْلَمْتُ
فِيهِ أَنْظَرُ وَقَلْبْتُ فِيهِ أَنْظَرُ وَأَنْعَمْتُ فِيهِ أَنْظَرُ
وَقُلَانُ نَقَادٌ بَصِيرٌ حَيِيٌّ يَهْدُ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ النَّقْدِ وَمِنْ جِهَادَةِ
أَهْلِ الْعِلْمِ وَمِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ النَّافِذَةِ . صَحِيحُ النَّقْدِ صَائِبُ الْفِكْرِ
ثَابِتُ الْفِكْرِ ثَابِتُ الرُّوْيَةِ ثَابِتُ النَّظَرِ دَقِيقُ النَّظَرِ صَادِقُ النَّظَرِ بَعِيدُ مَوْسَمِ
النَّظَرِ ، مَدَقُّ شَدِيدُ التَّنْقِيبِ دَقِيقُ الْبَحْثِ بَعِيدُ التَّوَرُّعِ ، يَفُوصُ عَلَى الْخَطَائِقِ
وَيُثِيرُ الدَّفَائِقَ وَيَكْشِفُ عَنِ الْقَوَائِمِ . عَارِفٌ بِمَوَارِدِ الْكَلَامِ وَمَصَادِيرِهِ
حَيِيٌّ بِمَحَاسِنِهِ وَمَسَاوِيهِ عَليمٌ بِصَحِيحِهِ وَقَاسِدِهِ

وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ لَا يَثْبُتُ عَلَى النَّقْدِ . وَإِنَّ فِيهِ لَطَمًا وَمَغْتَرًا
وَمَنْقَطًا وَمَأْخَذًا . وَإِنَّهُ بِحَالٍ نَظَرٍ وَمَعْلُ نَظَرٍ ، وَفِيهِ نَظَرٌ وَفِيهِ مَوْضِعٌ
لِلْقَوْلِ وَمَوْضِعٌ لِلنَّقْدِ وَمَوْضِعٌ لِلنَّكِيرِ

وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ لَا يُرْزَقُ حَظَّهُ مِنْ التَّنْقِيبِ وَلَمْ يَصْذَرْ مِنْ عِلْمٍ
دَاسِخٍ وَلَمْ يُخْلَعْ عِلْمٌ صَحِيحٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ ضَرْبٌ مِنْ التَّخَوُّصِ وَضَرْبٌ مِنْ
الْخَبْطِ . بَعِيدٌ عَنْ مَرْمَى السَّدَادِ . وَقَدْ كَانَ الْوَجْهَ أَنْ يُقَالَ كَذَا . وَلَوْ
قِيلَ فِي مَوْضِعِهِ كَذَا لَكَانَ أَسْلَمَ وَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ وَكَانَ هُوَ
الْوَجْهَ وَهُوَ الصَّوَابُ

وَتَقُولُ : هَذَا كَلَامٌ لَا نَبَرَ عَلَيْهِ وَلَا نَكِيرَ فِيهِ وَلَا وَجْهَ فِيهِ إِلَّا عَرِاضٌ

وَلَا شُبْهَةٌ فِيهِ لِتَأْطِرٍ وَلَا مَطْمَنٌ فِيهِ لِتَأْمِنٍ وَلَا سَبِيلٌ عَلَيْهِ لِإِخْلَادٍ وَلَا عَانِبٌ
وَلَا مُنْكَرٌ وَلَا مُقَرَّرٌ وَلَا مُتَعَقِبٌ وَلَا مُنَاقِشٌ وَلَا مُزَيِّفٌ وَلَا مُفْتَدٍ
وَلَا مُتَدِدٌ وَلَا مُسَوِّىٌّ وَلَا مُمَطَّلَعٌ وَلَا طَائِنٌ وَلَا قَادِحٌ .

في الجدال

يُقَالُ : فُلَانٌ مَتِينُ الْحُجَّةِ قَوِيُّ الْحُجَّةِ سَدِيدُ الْبُرْهَانِ نَاصِعُ الْبُرْهَانِ
حَاضِرُ الدَّلِيلِ حَسَنُ الِاسْتِدْلَالِ بَصِيرٌ بِمَوَاضِعِ الْخَلْقِ بَصِيرٌ بِاسْتِنْبَاطِ الْأَدِلَّةِ .
وَمِنْهُ لَيْنٌ مَشَاهِيرُ الْجَدَلَيْنِ وَجِلَّةٌ أَهْلُ النَّظَرِ .

وَيُقَالُ : قَدْ أَذْلَى بِحُجَّتِهِ وَصَدَعَ بِحُجَّتِهِ وَأَحْتَجَّ عَلَى خُصْمِهِ بِحُجَّةٍ شَهَاءٍ
وَحُجَّةٍ دَائِمَةٍ . وَجَاءَ بِالْأَدِلِّ الْمُنْجِمِ ، وَأَيَّدَ قَوْلَهُ بِالْحُجَجِ الْقَوَاطِعِ
وَالْبَيِّنَاتِ النَّوَاصِعِ وَالْأَدِلَّةِ الْوَامِعِ وَالْبَرَاهِينِ السَّوَاطِعِ . وَاثْبَتَ رَأْيَهُ
بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ وَالْحُجَجِ الْإِلَاحَةِ وَالْبَيِّنَاتِ الْمُسَلِّمَةِ وَالْحُجَجِ الْمُلْزِمَةِ .
وَأَيَّدَ مَذْهَبَهُ بِشَوَاهِدِ الْمَقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَأَوْرَدَ عَلَى قَوْلِهِ التُّصُوصَ الصَّرِيحَةَ ،
وَخَرَجَ مِنْ عَهْدَةٍ مَاقَالَةً وَخَرَجَ مِنْ عَهْدَةٍ مَا أَخَذَ عَلَيْهِ (١) . وَقَدْ أَبْكَمَ
خُصْمَهُ وَأَفْعَمَهُ وَقَطَعَهُ وَحَجَّهُ وَقَرَعَهُ بِالْخَلْقِ وَدَحَضَ حُجَّتَهُ وَدَفَعَ قَوْلَهُ
وَزَيَّفَ بُرْهَانَهُ وَرَدَّ حُجَّتَهُ عَلَيْهِ

وَمِنْهُ شَدِيدُ الْمَارِضَةِ طَوِيلُ النَّفْسِ فِي الْبَحْثِ بَعِيدُ غَوْرِ الْحُجَّةِ
وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : فُلَانٌ ضَعِيفُ الْحُجَّةِ سَقِيمُ الْبُرْهَانِ رَكِيكُ
الْبُرْهَانِ وَاهِنُ الدَّلِيلِ ضَعِيفُ الْبَصِيرَةِ بَائِدُ الْفِكْرِ خَامِدُ الذَّهْنِ . وَهَذَا
قَوْلٌ مَدْفُوعٌ وَقَوْلٌ مَرْدُودٌ . وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَتَوَصَّلُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَلَا تُؤَيِّدُهُ حُجَّةٌ
وَلَا يَثْبُتُ عَلَى النَّظَرِ

وَهَذِهِ حُجَّةٌ وَاهِيَةٌ وَوَاهِتَةٌ وَإِنْ حُجَّتُهُ لَا وَهَى مِنْ بَيْتِ التَّنَكُّبُوتِ .

الباب الرابع عشر

في المقالات

﴿ وصايا صحية ﴾

— بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي —

كلام في البصر

الانسان يدرك بالحواس الظاهرة ما في العالم من الكائنات ويهتدي بها الى معرفة ما ينفعه وما يضره من الموجودات . وذلك يستلزم ان تكون الاعضاء التي تقوم بها هذه الحواس سليمة . ولما كان البصر اكثرها استعمالاً واوفرها نفعاً واشدها تأثراً وانفعالاً احببنا ان نورد في هذه النبذة الوجيزة اهم الاحكام الصحية المتعلقة به فنقول

لا يخفى ان البصر الذي ندرك به صور المراتب وقاديرها وسائر كيفياتها انما يقوم بالعين التي هي ابداع ما ركب الله تعالى في الانسان وذلك بان تنكسر اشعة النور عن سطوح المراتب وتدخل العين من القرنية الشفافة فتترسم صورها في الطبقة المعروفة بالشبكية جريباً على احكام مقررة في الفلسفة الطبيعية وفي علم منافع الاعضاء (الفسيولوجيا) . ليس من غرضنا ان نتعرض لها هنا ولكننا نقتصر على بيان فعل النور والالوان بالعين ثم نستطرد الى ذكر القواعد الصحية على قدر ما يقتضيه المقام

اذا تعرض الانسان للنور القوي مدةً اصابته اعراض متفاوتة في الخفة والشدة تبعاً للعمر والاستعداد المرضي وحالة الصحة والمرض والتهمة والمادة وغيرها . وتختلف بحسب المادة التي يصدر النور عنها فتنبه الشبكية تنبهاً قوياً

وتتقبض الحدة ويتقلص الجفنان وينطبقان وتظهر على الوجه علامت الانتقباض والاشمزاز كما يظهر فيمن نظر الى قرص الشمس او انعكست على عينيه الاشعة عن مرآة او غشيه سنى البرق ليلاً غساً بصره . وكثيراً ما يحدث من ذلك سدرٌ وضف في البصريين حيناً من الدهر . فاذا كان ذلك حادثاً من النظر الى قرص الشمس انطبعت في العين صورة حمراء مستديرة يراها الراي في جميع الاشياء حواله ، وقد يكف البصر تماماً اذا اكثرت تحديقته في النور القوي اضطراباً او جهلاً كما حدث غير مرة

وقد تحدث اعراض من هذا القبيل لبعض اصحاب الحرف ممن يستعملون النار القوية لصهر المعادن كالصاغة والحدادين ويسبق حدوثها فيهم غالباً التهابات في ملتحمه العين والقزحية والشبكية . وقال بوشردا انهم كثيراً ما يصابون بعملة ازدواج البصر والكمته والتزف في الشبكية وان النور المستمر يبعث الرمد على انواعه كما يرى في الزجاجين والطباخين . واذا استقصيت احوال الذين يحدقون ببصرهم كثيراً كطلبة العلم والكتبة والمؤلفين والمصورين والنقاشين والجوهريين وصانعي الساعات وسائر الذين يدمنون النظر في الاشياء الدقيقة وجدتهم حمر الابصار من قبل زيادة الانكباب وادمان التحديق فيما تقتضيه صنائعهم من العمل ولا سيما في الليل

وترى امراض العين كثيرة في البلاد الحارة الكثيرة الوهج البيضاء التربة او الرمليتها كداخلية افريقيا ومصر وفي البلاد التي لا ينقطع عنها الثلج وذلك لقوة انكسار النور عنها وشدة الحرارة الواصلة الى العين بالاشعة المنكسرة . وبخلاف ذلك ترى الظلام الدامس يزيد في حس العين ولكنه يضر بها فتتسع حدقتها فاذا فوجئت بالنور حيثئذ خسأت ونبت . واذا منع النور عن العين منعاً تاماً اصابها حالة تعرف بالجر من شأنها تقوية الشعور بالمرئيات في الظلام حتى يصير المصاب بها قادراً على تمييز الاشياء الدقيقة في ظلمة الليل البهيم كما يميزها الصحيح البصر في الضوء الواضح ، ويظهر ذلك في الذين طال حبسهم في

السجون المظلمة وربما آل بهم الامر الى الحسر والكمته وتعدد الحدة تعدداً مستمراً
اما تأثير الالوان في العين فلا يكون مضرّاً على الاطلاق ولكن بعضها
نافع في الناية كالأزرق والأخضر وهما أكثر الالوان شيوعاً في الطبيعة واحسن
ما ترتاح اليه وتقر به الابصار قال ابن سينا

وانفع الالوان للابصار ما اسودّ او ما كان ذا اخضرار
والبيض والصفّر اذا ما تشرق ضوءاً فان نورها يفرّق
على ان سائر الالوان ولا سيما الحمراء والبنفسجية مضرّة بالبصر ولا سيما اذا
كانت العين ضعيفة

والعين نفسها لا تكون على قياس واحد من جهة البصر في جميع الافراد
فان بعضهم يتأثرون بالضوء ولو كان قليلاً ولا يطيقون النظر الى الاشياء الدقيقة .
وهذا الخلل يصلح بالزجاجات المسطحة الملونة باللون الأزرق او الأخضر وهي
تسائم الناقين من امراض العين . وبعضهم يكون بصرهم قصيراً لزيادة
تحدب الجليدية (البؤرية) وهي احدى الرطوبات المكسرة للنور في العين
فيكون مجتمع الاشعة فيها اقرب مما ينبغي ولذلك لا يبصر اصحاب هذه العلة
الاشياء الا من قرب وهذا الخلل يسمى بالحسر وهو يصلح بالزجاجات المقعرة
وبعضهم لا يبصرون الاشياء الا من بعد لان الجليدية فيهم مسطحة فيقع مجتمع
الاشعة ابعد مما يلزم في الحالة الصحية وهذا الخلل يصلح بالزجاجات المحدبة وهو
من الخصائص المتعلقة بالعمر فاكثراً ما يرى في الشيخوخة

ويتأثر الصغار بالنور تأثراً زائداً فاذا كان قوياً احسوا بالحم شديد يستدل
عليه بالبكاء والاضطراب وقد تهيج ادمغتهم به فيصابون بالحمى والتشنجات
الثقيلة . وهذه الاعراض ترى بالخصوص في اولاد ذوي الثروة الذين يتربون في
حجر الترف والنعمة ويتمرضون للسهر في البيوت النسيجة الكثيرة الانوار .
وكثيراً ما يكف بصر الاطفال الذين يعرضون على النور القوي فجأة . وقد
يصيهم القبل اي الحول الجاني اذا كانت اسرّتهم موضوعة تجاه نافذة يدخل

منها الضوء فتتجه ابصارهم اليه فيكون ذلك سبباً لحدوث الخلل المذكور .
وفي كثير من العلل كالالتهابات والحميات وامراض الدماغ يرتاح المريض الى
الظلام فيجب ان يمنع عنه النور القوي ما امكن اجتناباً لما يحدث عنه من
التهيج . على ان بعضاً من العلل الضعيفة كالانيسيا والختازير يلائها التعرض لنور
الشمس تعرضاً لطيفاً محتملاً

ويجب على طبيب الصحة ان لا يتغافل عن تأثير المزاج في العين فانها تكون
كثيرة الانفعال في اصحاب الامزجة العصية وضعيفة سهلة التهيج في اصحاب
الامزجة البلغمية (اللمفاوية) ومائلة للاحتقانات في اصحاب الامزجة الدموية
ولا ينكر فعل العادة فيسن اعتاد تثبيت نظره في الاشياء الدقيقة وادمان
التحديق اليها بدون اذية كما يرى في الكتبة والتقاشين وغيرهم ممن يتوددون
اعمال البصر منذ صغرهم فيتقوى به تدريجاً حتى يصير قادراً على احتمال ما لا
يحمّله غير المعتاد الا بمشقة وخطر وبذلك يتأثر الواحد من الآخر من اصحاب
الصنعة الواحدة ويظهر فضل المجتهد المواظب على العمل
اما القواعد الصحية التي آثرنا تقريرها فهي :

اولاً - لا يجوز اعمال العينين بعد الاكل قوياً وادمان التحديق بهما ولا سياً
في النور الصناعي الخفيف الذي تكل فيه العين ويفضي الى شلل الشبكة
وكف البصر . وينبغي لمن يارس الاشغال البصرية ان ينقطع عنها طلباً للراحة
كل ساعتين مرة مسرّحاً نظره في الفضاء الفسيح مشرفاً على مناظر النبات
الاخضر والحو الازرق وغير ذلك من المناظر الطبيعية النافعة . وينبغي لطلبة
العلم ان لا ينكبوا على المطاوعة في الضوء الضعيف وان يتجنبوا وضع الكتاب
وراء ضوء المصباح حذراً من انعكاس اشعته بقوة الى العين وان لا يقربوه من
اعينهم كثيراً بحيث تكون مسافة بعده عنها اقل من ٣٥ او ٣٠ سنتيمتراً

ثانياً - لا يجوز استعمال الآلات التي يقوى بها البصر في النور الصناعي
القوي حذراً من تجمع الاشعة بواسطتها على هيئة مخروط ينغذ العين فيحدث

ضعف البصر على التآدي . ولا يجوز النظر في الازوقة والعرف التي ينفذها النور منمكساً عن الزجاج الملون بالالوان الصناعية ولا سيما الاحمر والابيض ويستحب ان يلفظ ضوء المصابيح باغشية زرق او خضر تركب عليها فتشع وصول اشعتها الى العين رأساً . ويستحسن تلطيف النور بالستائر الخضر توضع تجاه نوافذ العرف الكثيرة النور ويقيد فرش هذه العرف ايضاً ببسط خضر

ثالثاً - كثيراً ما يلعب الهواء بنور المصباح فيضطرب ويرقص وهذا يضر بالبصر كثيراً فيجب ان يمنع بقدر الامكان ويحجب الشغل فيه . ومجاري الهواء اذا اصاب العين فقد تشبه بها الملتحمة فيحدث فيها زكام فيجب ان يتحاشى الجلوس تجاه النوافذ في مجاري الهواء وكذلك النوم وهي مفتوحة في ليالي الصيف كما يفعله كثيرون . ولا يحسن الجلوس بقرب ضوء المصباح لان طبقات الهواء القريبة منه تسخن به كثيراً ولا سيما اذا كان الضوء قوياً فتشبه به العين تهيجاً يفضي الى حدوث الرمد

رابعاً - لا يجوز ان يعرض الاطفال بعد ولادتهم للنور فجأة ولا ان يوضعوا في العرف الكثيرة النور حذراً من حدوث الاعراض المذكورة آنفاً وينبغي ان لا يعرضوا على نور المصابيح القوية وان يعودوا الضوء اللطيف شيئاً فشيئاً

خامساً - لا يجوز غسل بالماء البارد والعيان مفتوحتان كما يفعله بعض الناس لئلا تشبه به الملتحمة . فاذا غسل الوجه صباحاً بالماء البارد وكلت العيان صحيحتين يجب اغماض الحفون واذا كانتا متهيجتين لسبب ما او اذا كانتا مطبقتين بالرّص يستحسن غسلهما بالماء الفاتر مضافاً اليه قطرات قليلة من خلاصة زحل . ولا يجوز ترطيبهما باللعاب عند القيام من النوم كما يفعل البعض لئلا يحدث من ذلك علة في القناة الدمعية . وكذلك لا يجوز فركهما بالاصابع حذراً من دخول بعض الاهداب الساقطة اليهما فتحدث فيهما تهيجاً اما استعمال الزجاج اذا كان البصر احمر او ضعيفاً فلا بأس به ولا سيما اذا

كان هناك هباء يتحامي سقوطه في العين ولكن ينبغي ان تتدخل استعماله فتراد
تستريح بها العين حين لا يكون لاستعماله داع فتركه اولى وانفع

٢

مجاورة النبات

لا ينبغي ان التنفس هو من اعظم اسباب الحياة في الحيوان والنبات جميعاً
لانه به يتبأ تبادل الغازات ودفع السم منها المضر بالنبات واستنشاق الصالح
النافع لقيامها وبقائها . وهو يتم بالحيوان بواسطة الرئتين فانها تدفعان الحامض
الكربونيك وهو مادة سامة تنشأ في الجسم من احتراق الجواهر الآلية بفعل
الحرارة الحيوية وتستمدان الاكسجين الذي به يتطهر الدم ويصير صالحاً لبناء
الاعضاء وتعويض ماهلك منها بفعل الحياة . ويتم في النبات بواسطة الاوراق التي
هي بمثابة الرئتين في الحيوان فتحله الى عنصريه الكربون والاكسجين اما
الكربون فتمثله اعضاؤه غذاء لها واما الاكسجين فتطلقه لانه يضر بها مع انه
العنصر المنوقف عليه تطهير الدم في الحيوان كما سبق

وهذا التحليل انما يتم بفعل اشعة الشمس وبه تحفظ الموازنة في هذا التبادل
الذي هو علة الحياة النباتية والحيوانية ولذلك اذا غابت الشمس يبطل التحليل
المذكور فتطلق عامة النبات حامض الكربونيك ويطلق المائي منه الاكسجين
والحامض الكربونيك واكسيد الكربون الذي هو اسم من الحامض الكربونيك
يفسد الهواء بالغازين المذكورين فساداً محدوداً يؤدي الى الصداع والدوار
والاغماء . واذا اشتد فساد الهواء بهما اورث الاختناق كما يحدث في اعماق الآبار
وفي الاماكن التي يوقد فيها الفحم وتعلق منافذها على من فيها . ولذلك لا يجوز
المكث والنوم ليلاً في الاماكن الكثيرة النبات او في الغرف التي يوضع فيها
النبات والازهار للزينة ولا سيما ان الازهار مع امتصاصها الاكسجين واطلاقها
الحامض الكربونيك تفوح بالروائح العطرية التي تؤثر في الجهاز العصبي

تأثيراً شديداً فيكون ضررها اشد فينبغي ان يجنب وضعها في غرف النوم البتة

ومن النبات ما يفسد الهواء بمجاورته كالتين والصبر وسائر الاشجار العريضة الورق ، ومنه ما يصلح الهواء كالارز والصنوبر واليو كالبتس لانها تكسب الهواء رائحة عطرية مفرحة . وقال بعضهم ان اليو كالبتس يطلق الاوزون وهو ضرب من الاكسيجين ، قيل انه يمنع تولد المواد البيلة وسنذكره في غير هذا الموضع ان شاء الله ، فيمنع تولد الامراض الناتجة عن المتصاعدات الفمقية . وذكر المحققون من علماء الصحة ان هذا الشجر بما هو عليه من سرعة النمو يتخص من الماء في كل ٢٤ ساعة ما يعادل ثقله عشر مرات فيترج ما المستنقعات ويحفظها وانه يطلق في الهواء رائحة عطرية كافورية مضادة للعفونة وعلى الحملة فان استنشاق الهواء بجوار هذه الاشجار ينقي الدم وينفع المصدورين والضعفاء المصابين بالحميات المزمنة وغير ذلك

اما الروائح المتضوعة عن الازهار والياحين وسائر انواع الطيوب فتؤثر في الدماغ والاعصاب تأثيراً طليفاً نافعاً بشرط ان لا تكون قوية كثيرة الفوحان والا فهي مضرّة ولا سيما باصحاب الامزجة العصبية . على ان للعادة والاستعداد الشخصي تأثيراً في ذلك فن الناس من يألف الروائح الكريهة المضرة كالجزارين والمشرحين فلا يعود يبالي بها ولا يرتاح الى الروائح العطرية . ومنهم من يألف التضمخ بالطيوب فلا يشعر بقوتها كما يشعر غير المعتاد لها . ومن الناس من يتأذى ببعض الروائح الطيبة فقد شهد من يصاب بصداع اذا شم المضعف ونحوه . من ازهار الفصيلة الزنبقية . وذكروا ان فتاة كانت تتأذى من رائحة المسك حتى ينقطع صوتها عند شمه ، وان امرأة كان يتنى عليها من شم بعض الروائح التي لا تضر عادة كرائحة نقيع بزر الكتان ، واخرى كان يصيبها مثل ذلك اذا شمت رائحة الورد حتى قيل انها في احد الايام زارتها صديقة لها وكان في وسطها زهرة ورد صناعية فلما رأتها سقطت منهشة عليها بمجرد الوم .

والحكايات من مثل ذلك كثيرة وهي غير بعيدة عن الصحة وان كان بعضها لا يظهر عن مباشرة كما لا يخفى
(عن مجلة الطبيب)

الجنون فنون

« له ايضاً »

من المعلوم ان الانسان متى اصابه اختلال في العقل كان مجنوناً لا يدرك العواقب ولا يميز بين الامور الحسنة والقيحة ، فلذلك يعتبر الشخص اما عاقلاً او مجنوناً مع انك اذا دقت النظر وجدت بين العقل والجنون مسافة واسعة الاكتاف بعيدة الاطراف يظنها الناظر اليها في بادئ الرأي قفراً وهي في الحقيقة مقر الوف من الحالات المتوسطة بين هذين الطرفين مما تتفاوت بحسبه مراتب الناس في اعمالهم وطرق معاشهم وكيفية سلوكهم . ومن نظر بعين البصيرة في احوال الناس يوجه السوم من حيث اختلاف العقول ليميز بين صحيحها وفاسدها وقف من دونها حائر الطرف لا يجد للحكم مساعاً ولا للرأي سيلاً بل لو شاء المتبصر اللبيب ان يضع حداً بين العقل والجنون لاصابه العجز والقصور . لانك كثيراً ما ترى من هم بحسب الظاهر اصحاء العقول فاذا تعمقت في معاشرتهم وسبرت غور اطوارهم لم تكدر تجد فيهم خالياً من جنة والجنون كما قيل فنون
ومما يحسن سوقه هنا ما جاء في امثال بعض الحكماء قال : ان احد الامراء اضاع عقله فاستاء لذلك صديق له واهتم بارجاعه اليه ، فبينما كان في احد الايام غائصاً في بحار التأمل هبطت عليه الرويا منبئة بان عقل الامير موجود ضمن قارورة موضوعة في غار بعيد بموضع كذا . فنهض الرجل لساعته وجد في طلب النار حتى ادركه فوجد على بابه حارساً مهيباً طاعناً في السن فاستأذنه في دخول الغار للبحث عن عقل صديقه فاذن له ، وكان في الغار قوارير كثيرة لا يطم عددها الا الله وهي مصفوفة صفوفاً على الترتيب وعلى كل منها عنوان الشخص المختصة به ، فأخذ الرجل يبحث عن القارورة المختصة بالامير وبيتنا هو يتلب طرفه بين

التواريخ وجد واحدة منها مختصة به وقد كتب عليها اسمهُ فاخذته لذلك الحيرة والدesh لانه وجد نفسه في عداد المجانين ولم يتالك ان رجع الى جبة الشيخ وقال له يا مولاي ارى احدى هذه التواريخ معنونة باسمي وما كنت بحزناً قط فلم كان ذلك . فقال له الشيخ : رويدك يا هذا فقد ساعدك المقدور افتح القارورة واستنشق ما فيها فاطاح الرجل وحينئذ عاد اليه عقله فتبين له ان اكثر اعماله السابقة لم يكن الا جنوناً

ولا يخفى ان كثيراً من اعمال الناس بالنظر اليها من حيث الاداب لا تنطبق على مقياس علم الاخلاق فاحلل المتعلق بها خارج عن . ووضوع كلامنا الآتي كما ان كثيراً من اعمال بعضهم بادية الاختلال واضحة الخطاء في الصواب فهم لذلك معروفون بالجنون مفروزون عن هيئة الاجتماع غير . مكافين بشي . مما يوجبه الشرع على سائر اعضاء المجتمع البشري وليسوا في شي . من غرضنا في هذا الموضوع . ونفا كلامنا في ذوي الاحتلال ممن بقي اختلالهم خافياً على اعين الناظرين لوقوفهم على ذروة عالية من المجد او وراء نور ساطع من العلم فلم تنلهم ابصار الناقدين . ومن هؤلاء اكثر الذين رفعوا متار الانسانية وسنوا الاحكام العادلة ووضعوا نظام الممالك وجاهدوا في سبيل العدل ورفعوا بناء العلم واحكموا تدبير السياسة باختلال هؤلاء قاما يظهر في اقوالهم ولكنه قد يظهر في بعض أفعالهم ولا يعرف الا بعد طول الاختبار وامعان النظر

واول انواع الاختلال المترب اليه الوسواس وهو حالة يكون بحسبها الشخص مصاباً بخلل في ارادته قد يفضي به الى ركوب المنكرات مع انه لا يحظى في الحكم ولا يعترف بحجة الصواب في القول . وهو اما ان يكون صادراً عن تصورات صيدانية لا تفضي الى الضرر . ومنه ما يحكى عن الدكتور جانسن الانكليزي وهو من مشاهير كُتّاب القرن الاخير انه كان لا يمر مرة في اسواق لندن الا يحس كل علم من اعلام الطريق فان اغفل واحداً منها سهواً رجع على واته حتى يحسه . وقريب من هذا النوع ما يحدث لكثير من ارباب

الكياسة والادب فان منهم من ينطق بالكلام القبيح عن غير روية وانتباه كما ان بعضاً من الاتقياء تجري على ألسنتهم الشتائم وهم يغفرون منها وينهون عنها وقد كان الاسقف بطر الموثف الانكليزي الشهير مصاباً بهذا الخلل فلم يكن يستطيع ان يضبط نفسه الا ببناء عظيم . وقد تكون الوسواس من هذا النوع جالبة للضرر مفضية الى الخطر على حياة الشخص وغيره . فمن ذلك ان شاباً من الادباء ذوي الواجهة خطب فتاة بديعة الجال كثيرة الغنى وكان لا يستطيع ركوب سكة الحديد لوسواس عرض له ، وكانت الفتاة ساكنة في داخلية البلاد فلما حان زمن الاقتران اضطرب بال الرجل لانه لا يستطيع الذهاب الى خطيبته على عادتهم فاستشار طبيبه في ذلك فاجتهد الطبيب في اقناعه بان لا خطر عليه من السفر في سكة الحديد وبعد المنا . وطول المراجعة اجاب . ألا انه بقي طول سفرته مضطرباً ومضطرباً ان يتوقف في بعض المحطات ، وكثيراً ما حاول ان يرمي بنفسه من باب القطار خوفاً من الخطر ولم يكن الخطر الا في وسواسه . والامثلة على الوسواس من هذا النوع كثيرة جداً وهي قد تكون تارة دامية الى الانتحار وان لم يحصل منها اختلاط في العقل فتدفع صاحبها الى اهلاك نفسه لاسباب لا طائل تحتها لانه يفقد الميل الى حب البقاء .

ومن انواع الجنون الخفي ما يسمى بجنون السرقة وهو يظهر غالباً على هيئة الدناءة والحسة في ذوي المراتب العليا بمن يزهون عن الحساسات بطول المقام وشرف السؤدد . فقد ذكر ان رجلاً من مشاهير رجال السياسة كان يتناول طعام الظهر في فنادق المدينة فكان كلما دخل فندقاً يسرق ما وصلت اليه يده من الآنية الفضية ويدفعه الى خادمه ليحمله الى بيته . على ان كثيراً من المصابين بهذه العلة لا يسرقون الا اشياء وقع عليها اختيارهم مما لا حاجة لهم به فيستدل بذلك على جنونهم . ومن ذلك ان رجلاً مشهوداً له بالثقي كان من عادته سرقة التوراة فأغضى عنه مراراً ولما نادى على ذلك وضع تحت المعاكفة وشهر . وذكر ان رجلاً من المصابين بهذه العلة اعتاد سرقة مراكن التعلقات فكان يجمعها

عنده وهو لا يدري لها منفعة

ومن انواع اختلال العقل المخاطلة وهي حالة يظهر فيها الاختلال بوساوس تعرض للمخاطل فتقوى عليه الاوهام وتدفعه الى تكرار الكلام الذي وقع من سمعه موقفاً منكراً وتكثر عليه الاخيلة المخيفة . فمن ذلك ان فتى من طلبه العلم سمع بعض اصحابه يتأزحون في دعوى الشوم المنسوب الى العدد الثالث عشر غفولاً من ساعته واخذ يردد في عقله هذا اللفظ حتى اضطرت له الحال الى الانقطاع عن الدرس . وذكر عن رجل انه لم يكن يدخل غرفة الا اخذ في عد كل ما رآه فيها حتى تنتهي به الحال الى عد ازرار صدره مخاطباً . ولهذا النوع من الاختلال اتصال بما يعرف بجنون الشك ، ومن امثله ان شاباً مهذباً كان مستخدماً عند احد الصيارف وكنت اعماله واحواله تدل على صحة عقل وسلامة فكر الا انه كان مع ذلك قد داخله الشك في وجوده وفي حقائق الاشياء الخارجية حتى افضى به ذلك الى عذاب اليم وهم بدخول المستشفى طالباً للعلاج وهذا دليل على انه كان عالماً باختلاله

ومن الانواع المشار اليها الجبال وهو يشتمل على كثير من الحالات التي يصاب فيها المختل باضطراب وحيرة وخوف من اشياء وهمية ، ومن امثله ما ذكره الدكتور قباداي عن رجل معروف بالخلق والذكاء وسعة العقل وطول الباع في ادارة مصالحه الكثيرة والكياسة في محاضراته . وجد يوماً غير قادر على الاضطلاع ببعض الاعمال التي كان يتعاطاها فصار اذا وقف في عتبة الباب لا يتخطاها ان لم يدفعه آخر من ورائه ، ولا ينهض عن كرسيه ان لم يسكه آخر بذراعه واذا مر في السوق تصور ما يصده عن التقدم فيحجم ثم يقدم مراراً كثيرة . على انه كان متى احس بوجود من ينتقد ذلك عليه اجتهد في اخفائه بتلطف وحذر كأن يتظاهر بأنه يطلب شيئاً وقع منه . قيل انه طلب مرة للمسكربة فسأل طبيبه ان يريجه منها فسعى طبيبه في ذلك لدى اطباء المسكربة ودعاهم لتناول الطعام عنده مع الرجل المذكور فرأوا من حذقه وكياسته ما رفع مثله في اعينهم .

وعند انصرافه انكروا على طيبه ما اخبرهم من امره فدعاهم الى نافذة تنسرف على الطريق التي يمر فيها فشاهدوه في حالة الاضطراب التريب بين اجسام واقدام خوفاً من ظل الاجبار والاشجار والبيوت . ولا يخفى ان هذه الحالة تقرب من السوداء التي تنضي في اكثر الاحيان الى الجنون المطبق

وبقيت هناك ضروب أخرى من الاختلال اضربتنا عن ذكرها من نحو النخل والحرف والهيام والتوله وغيرها مما يطول الكلام عليه وكلها تعتبر من الجنون لولا ما يسترها من سائر احوال اربابها التي تدخاها في عداد العقلاء وهي على الغالب تكون معقولة عند المصابين بها اي انهم يشعرون من انفسهم بانهم يخرجون بها عن طور العقل ولكنهم لا يستطيعون مخالفتها وهذا هو الحد بين اصحاب هذه الاحوال والمجانين حقيقة لان من استولى عليه الجنون المطبق يفقد الحكم ولا يعود ينكر على نفسه شيئاً . وعلى ذلك فاذا اشتدت احدى هذه الاحوال بصاحبها حتى يعتقد ما يدخل عليه من الاوهام دخل حينئذ في طور الجنون . ولا يظن ان اصحاب الاحوال المشار اليها هم عدد يسير من الخلق وانما هم السواد الكبير بين الناس واكثرهم من ذوي المراتب العليا والعقول الحاذقة بل العقول الواقعة عند حدود الجنون هي اكثر مضاء واوفر حذفاً من العقول التي لا يتخالطها شيء من ذلك لسرعة تهيجها وكثرة عملها والله اعلم (عن مجلة الطبيب)

الكوخ والقصر

« بقلم مصطفى لطفي المنفلوطي »

أنا إن كنت حاسداً احداً على نعمة فاني أحسد صاحب الكوخ على كوخه قبل أن أحسد صاحب القصر على قصره . ولولا ان للاوهام سلطاناً على النفوس لما سجد الفقراء بين ايدي الاغنياء ، ولا ورم انف الاغنياء ان يتخذهم الفقراء ارباباً من دون الله

انا لا اغبط الفنى على غناه الا في موطن واحد من موطنه . فاغبطه ان رأيت
يشبع الجائع ويواسي الفقير ويعود بالفضل من ماله على اليتيم الذي سلبه الدهر
اباه والارملة التي فجها القدر في عائلها ويمسح بيده دمة البائس والمحرزون . ثم اري
له بعد ذلك في جميع موطنه الاخرى . اري له ان رأيت يتربص بالفقير وقوع
الضائقة به ليدخل عليه مدخل الشيطان فيمتص الثألة الباقية له من ماله ليسد في
وجهه باب الامل . واري له ان رأيت يمتد ان المال هو منتهى الكمال الانساني
فيرغب عن الفضائل والكمالات لانه يظن انه قد كفي مؤونة السعي اليها .
واري له وابكي على عقله ان مشى الخيلاء وطاول بعقته السماء وسلم بايام الطرف
واشارة الكف ومشى على طريقه ينخر عينه خزراً يرى هل سجد الناس لمشيته
او صعدوا من هيئته . وارحمه الرحمة كلها ان عاش شحيحاً مقتراً على نفسه وعياله
بفيضاً الى قومه واهله يتقنون عليه حياته ويستبطون أجله

اما الفقير فهو عندي اسعد الناس عيشاً واروحهم مالا الا اذا كان جاهلاً
ضعيفاً فاني اراه وقد ملك الوهم عليه مشاعره فظن ان الفنى اسعد منه خطأ وارعد
عيشاً واثلج صدره خسده على تلك السعادة التي يزعمها له فجلس في كسر بيته
جلسة الكئيب المحزون يصعد الزفرة والزفرة ويرسل الدفعة اثر الدفعة . ولولا
جهله وضعف قلبه اعلم ان رب قصر يمتنى صاحبه كوخ الفقير وعيشه ويرى ان
ذلك السراج من الزيت اسطع ذبالاً واكثر لألاء من انوار الشموع والقات
الكهرباء التي تأتلى بين يديه وان تلك الحسية من الاديم او الوير انعم . لمسأ
وأين مضجعا من وسائد اخرير : تضائد الدياج

لقد بلغ التسفل وضعف النفس بكثير من الناس انهم يحفلون بشأن الاغنياء
لانهم اعني . وان كانوا لا ينالون منهم ما يبيل علة اريسغ غصة . وبيت شعري
ان كان لا بد لهم من اجلال المال واعظامه لذاته فالهم لا يقارن ايدي الصيارفة
ولا ينهضون اجلالاً لأكواب المطوقة اعناقها بالذهب وهم يعلمون ألا فرق
بين هؤلاء . هؤلاء .

لو حامل الفقراء . بجلاء الاغنياء بما يجب ان يعاملوا به لوجدوا انفسهم في وحشة من انفسهم واموالهم . ولشعروا ان بدرات الذهب اُدارهم ملتفة على ارجلهم واغلال آخذة باعناقهم . ولعلموا ان الشرف في كمال الادب لا في رنين الذهب وفي جلائل الاعمال لا في اجمال المال

الكأس الاولى

« له ايضاً »

كان لي صديق احبه واحب منه سلامة قلبه وصفاً سريره وصدقه ووفاءه في حليّ بعده وقربه ، وغضبه وحلمه ، وسخطه ورضاه . ففرق الدهر بيني وبينه فراق حياة لا فراق ممات . فانا اليوم ابكيه حياً اكثر مما كنت ابكيه لو مات ميتاً . بل انا لا ابكي إلا حياته . ولا أتقي الاماته . فهل سمعت بأعجب من هذه الحكمة الغريبة في طبائع النفوس

علقت حبالي بجباله برهة من الزمان عرفته فيها وعرفني ، ثم سلك سبيلاً غير سبيله فأنكرته وأنكرني حتى ما أمر بباله لأن الكأس التي طلق بها لم تدع في قلبه فراغاً يسم غيرها وغير العائنين بها . وربما كان يدفعني عن مخيلته دفعاً اذا حاولت المرور بها لأنه اذا ذكرني ذكر ممي تلك الكلمات المرة التي كنت ألقاه بها في فاتحة حياته الجديدة . وما كان له وهو يهيم في فضاء سعادته التي يتخيّلها ان يكدر على نفسه ، بمثل هذه الذكرى ، صفاً هذا الخيال

ثم لم أعد أعلم من أمره بعد ذلك شيئاً جديداً ، لأن حياة المدمنين حياة متشابهة متألّه لا فرق بين صباحها ومساءنها ، وأمسها وغدها . ذهاب الى الحانات فشراب ، فخمارة^(١) فنوم فذهاب . كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها . والمنظر المتكرر لا يلفت النظر ولا يشغل الذهن ، حتى أن بعض من ينسام على دورة الرحي يستيقظ عند سكونها ، وكان أخرى أن يوقظه دورانها

لذلك لم يَشْغَلْ هذا المسكين محلاً من قلبي إلا بعد ان سكنت دورته
وهذأت حركته ، فلم أعد اراه معربداً في الحانات ولا مطرّحاً في مدارج الطرق
ولا معتكلاً في أيدي الشرط^(١) هناك سألت عنه فقيل لي انه مريض ، فلم أعجب
من شي . كنت أعدّ له الايام والاعوام ، كما يعد الفلكي الساعات والدقائق
لكسوف الشمس واصطدام الكواكب

دخلت عليه أعوده فلم أجد عنده طبيباً ولا عائداً لانه فقير والاطباء يظهرون
الرحمة بالفقراء ، ويبطنون حب الصغراء والبيضاء . والاصدقاء يخافون عدوى
المرض وعدوى الفقر . فلا يوردون المريض ولا يزورون الفقير

دخلت منزله فلم أجد المنزل ولا صاحبه ، لأنني لم أجد فيه ذلك الروح العالي
الذي كان يرفرف بأجنحته في غرفه وقاعاته . ولم أر دخان المطبخ ، ولم أسمع
ضوضاء الخدم ، ولا بكاء الاطفال ، ولا رنين الاجراس . فكأنني دخلت القبر
أزور الميت ، لا المنزل أعود الحي !

ثم تقدمت الى سرير المريض فكشفت أستاره البالية عن خيال لم يبق منه
الا إهاب^(٢) لاصق بعظم ناعل . فقلت أيها الخيال الشاخص ببصره الى السماء قد
كان لي في إهابك هذا صديق محبوب فهل لك أن تدلّني عليه ؟ . فبعد لأي^(٣) ما
حرك شفتيه وقال : هل أسمع صوت فلان . قلت نعم ، ممّ تشكو ؟ . فزفر
زفرة كادت تنساقط لها أضلاعه وأجاب : أشكو الكأس الاولى . قلت أي
كأس تريد . قال أريد الكأس التي أودعتها مالي وعقلي وصحتي وشرفي ، وها
انا ذا اليوم أودعها حياتي . قلت ، قد كنت نصحتك ووعظتك وأنذرتك بهذا
المصير الذي انت فيه اليوم فما أجديت عليك شيئاً . قال ما كنت تعلم حين نصحتني
من غوائل هذا العيش التكديك أكثر مما كنت أعلم ، واكتنفي كنت شربت الكأس
الاولى فخرج الامر من يدي . كل كأس شربتها جثتها على الكأس الاولى .

(١) الشرط أعوان الامير ومفرده شرطلي (٢) الإهاب احلد (٣) يقال قتله بد

لاي أي بد ابطاء وما زائدة

أما هي فلم يجنبها علي غير ضمني وقصور عقلي عن ادراك خداع الاصدقاء . والخطأ .
 لم تكن شهوة الشراب مركبة في الانسان كبقية الشهوات فيعذر في الانتقاد
 اليها كما يعذر في الانتقاد الى غيرها من الشهوات العريضة ، فلا سلطان لها عليه
 إلا بعد أن يتناول الكأس الاولى ، فلم يتناولها ؟ يتناولها لأن الخونة الكاذبين
 من نخلائه وعشرائه خدعوه عن نفسه في امرها ليستكملوا بانضمامه اليهم لذتهم
 التي لا تتم إلا بقراع الكؤوس وضوضاء الاجتماع . ولو علمت كيف خدعوه
 وزينوا له الخروج عن طبعه ومألوفه . وأي ذريعة تذرعوها بها الى ذلك لتحقت
 انه أبله الى النهاية من البلاء . وضعيف الى اتعاية التي ليس وراءها غاية
 انا ذلك الابله وذلك الضعيف فاسمع كيف خدعني الاصدقاء . وزينوا لي ما
 يزينه الشيطان للانسان

قالوا ان حياتك حياة هموم واكدار . ولا دواء لهذه الادواء الا الشراب .
 وقالوا ان الشراب يزيد رونق الجسم ويبعث نشاطه وانه يفتق اللسان . ويعلم
 الانسان البيان . وانه يشجع الجبان ويبعث في القلب الجرأة والاقدام . . . هذا
 ما سمعته فصدقته وخدعت به . صدقت ان في الشراب أربع مزايا : السعادة
 والصحة والنفاحة والاقدام . فوجدت فيه اربع رزايا : الفقر والمرض والسقوط
 والجنون . . .

غرهم من الصحة ذلك اللون الاحمر الذي يتركه الشراب وراءه في الاعضاء .
 وهو يتغلغل في الاحشاء . ومن النفاحة المهدر والهذيان . ومجر " القول وبذاءة
 اللسان . ومن الاقدام العريضة التي لا تسكن الا في عرفة السجن . ومن السعادة
 اللحظات القليلة التي يغشى فيها على عقل الشارب ميعى عز رؤية ما يحيط به
 من الاشياء . كما هي فتعكس في نظره الحقائق حتى يتحول السقم طرمة^(٢) والصفع
 تحية فيضحكه من ذلك ما يضحك الاطفال والمرورين^(٣)

(١) احمر الفحش (٢) الصرورة الملهة المستحسنة (٣) المرور الذي ها .

أي سرور لمن يعيش في منزل لا يزور الانتسام ثغراً من ثغور ساكنيه ؟ أي سرور لمن يودعه اهله كل يوم في صباحه بالحشرات ، ويستقبلونه في مساكنه بالزفرات . أي سعادة لمن يعيش دائماً في طريقه متلوياً متسججاً يتسرب في المعاطف والازقة ويعود بالأواز^(١) الجدر والاسوار قراراً من نظرات الجزار ، وتهكمات المطأر ، وصرخات الحمار

وقد كنت ارى هؤلاء الاشقياء في فاتحة حياتي التمسعة فكان ير بخاطري ما ير بخاطر امثالي أن هؤلاء قتلى الادماء لا قتلى الشراب . وكنت اقدر لنفسي التصدّ فيه إن قُدر لي في امره شيء . حتى لا ابلغ مبلغهم ولا اتزل منزلتهم فلما شربت خطأ العدّ وضاع الحساب ، وفقد التدبير ، واختلف التقدير . وغلبت على أمري كما يغلب على امره كل مخدوع . مثلي بمنزل ما خدعت به . ولولا الكأس الاولى ما هلكت . ولا شكوت الذي شكوت . ولولاها ما عافني الاصدقاء ، ولا زهد في الاقرباء . فكأن انت وحدك صديق السراء والضراء . فمأهده على ذلك ثم تركته في حالة :

تُصم السميع وتعمي البصير ويُسأل من مثابا العافيه

اهذا ام عزاء

« له ايضاً »

فارق مصر على أثر الدستور الهائل كثير من فضلاء السوريين بعد ما عمرو هذه البلاد بفنائهم ومآثرهم وصيورها حنسة زاخرة بالعلوم والآداب وتقنوا المصريين تلك الدروس العالية في الصحافة والذئب والترجمة . وبعدهم كانوا فينا سفراء خير بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية ، يأخذون من كمال الاولى لينتسبوا ما ننقص من الاخرى . وبعد ما عمّرنا المصري كيف ينشأ العمل وكيف يجد

(١) يقال اعتصم بآواز الخبل أي بما به والجمع ابواز

ويجتهد في سبيل العيش وكيف يثبت ويتجدد في معركة الحياة

قَضُوا بَيْنَنَا تِلْكَ الْبَرْهَةَ مِنَ الزَّمَانِ يُحْسِنُونَ الْبِنَاءَ فَنَسِيهِم ، وَيُعْطِفُونَ
حُلِينَا فَنَسِيهِمْ ثَلَاثَةَ دَخْلَاءَ . وَآخَرَى ثَقْلَاءَ . كُلَّمَا كُنَّا نَحْسِبُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ سُدَّاذِ
الْأَفَاقِ أَوْ نَفَايَاتِ الْأُمَمِ جَاءُوا الْبِنَاءَ يَصَادِقُونَنَا فِي أَرْزَاقِنَا ، وَيَتَطَفَّلُونَ عَلَيَّ
مَوَائِدِنَا . وَلَوْ أَنْصَفْتَاهُمْ لَمَرَقْنَاهُمْ وَعَرَفْنَاهُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ مِنْ بَيُوتَاتِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ
وَإِنَّمَا ضَاقَتْ بِهِمْ حُكُومَةُ الْإِسْتِبْدَادِ ذُرْعاً وَكَذَلِكَ شَأْنُ كُلِّ حُكُومَةٍ مُسْتَبِدَّةٍ
مَعَ إِحْرَارِ النَّفُوسِ وَأُبَاهَةِ الضَّمِيمِ فَأُخْرِجَتْ صُدُورُهُمْ ، وَضَيِقَتْ عَلَيْهِمْ مَذَاهِبُهُمْ .
فَقَرُّوا مِنَ الظُّلْمِ تَارِكِينَ وَرَاءَهُمْ شُرَفَاءَ يَنْعِمُهُمْ ، وَبِحَدِّ الْيَسْكِي عَلَيْهِمْ . وَتَوَلَّوْا بَيْنَنَا
ضِيُوفاً كِرَاماً ، وَاسَاتَذَةً كِبَاراً . فَمَا أَحْسَنُ ضِيَافَتِهِمْ وَلَا شُكْرُنَا لَهُمْ نِعْمَتَهُمْ

وبعد فقد مضى ذلك الزمن مجيئه أو شره وأصبحنا اليوم كلما ذكرناهم
خفقت أفئدتنا مخافة أن يلحق بأقيهم بأضيقهم فلا نعلم أنشكر للدستور أن فرج
عنهم كربتهم ، وأمَّنهم على أنفسهم ورددهم إلى أوطانهم . أم ننتقم منه أن كان
سيئاً في حرماننا منهم بعد أنسنا بهم ، واعتباطنا بحسن عشرتهم ، وجميل مودتهم
ولا ندري هل نحن بين يدي هذا النظام العثماني الجديد في ههنا أم في عزاء

فيا أيها القوم المودعون والكرام الكاتبون

اذكرونا مثل ذكرنا لكم ربّ ذكرى قرّبت من ترحا
واذكروا صبأً اذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدما

زيد وعمرو

« له ايضاً »

اراد داود باشا احد الوزراء السابقين في الدولة العثمانية ان يتعلم اللغة العربية
فأحضر احد علمائها وانشأ يتلقى عليه دروساً عهداً طويلاً فكانت نتيجة علمه
ما ستراه :

سأل شيخه يوماً ما الذي جناه عمرو من الذنوب حتى استحق ان يضربه زيد

كل يوم ويقتله تقبيلًا ويُدْرَح به هذا التبريح المولم . وهل بلغ عمرو من الذل والعجز منزلة من يضغ عن الانتقام لنفسه ، وضرب ضاربه ضربة تقضي عليه القضا . الاخير

سأل شيخه هذا السؤال وهو يتعرق غيظًا وحنقًا ويضرب الارض باقدامه فأجابه الشيخ ليس هناك ضارب ولا مضروب وانما هي امثلة يأتي بها النحاة لتقريب القواعد من اذهان المتعلمين . فلم يعجبه هذا الجواب واكبر ان يعجز مثل هذا الشيخ عن معرفة الحقيقة في هذه القضية فغضب عليه وامر بسجنه . ثم اوسل الى محوي آخر فسأله كما سأل الاول فأجابه بنحو جوابه فسجنه كذلك . ثم ما زال يأتي بهم واحداً بعد واحد حتى امتلأت السجون وأقمرت المدارس واصبحت هذه القضية المشوومة الشغل الشاغل له عن جميع قضايا الدولة ومصالحها . ثم بدا له ان يستوفد علماء بغداد فأمر باحضارهم لحضروا وقد علموا قبل الوصول اليه ماذا يُراد بهم . وكان رئيس هؤلاء العلماء بمكانة من الفضل والحدق والبصر بوارد الامور ومصادرها . فلما اجتمعوا في حضرة الوزير أعاد عليهم ذلك السؤال بعينه فأجابه الرئيس : إن الجناية التي جناها عمرو يا مولاي يستحق ان ينال لاجلها من العقوبة اكثر مما قال . فانبسطت نفسه قليلاً وبرت اسارير وجهه واقبل على محدثه يسأله ما هي جنايته . فقال له إنه هجم على اسم مولانا الوزير واغتصب منه الواو فسلط النعويون عليه زيداً يضربه كل يوم جزاء وقاحته وفضوله « يشير الى زيادة واو عمرو واسقاط الواو الثانية من داود في الرسم » فأعجب الوزير بهذا الجواب كل الاعجاب . وقال لرئيس العلماء انت أعلم من أقلت القبراء وأظلمت الحضراء فاقترح عليّ ما تشاء . فلم يقترح عليه الا اطلاق سبيل العلماء المسجونين . فأمر باطلاقهم وانعم عليهم وعلى علماء بغداد بالجواز والصلوات

احسن داود في الاولى واساء في الاخرى . ولو كنت مكانه لما اطلقت سبيل هؤلاء النحاة من سجنهم حتى آخذ عليهم عهداً وثيقاً ان يتركوا هذه الامثلة البالية الى امثلة جديدة مستطرفة تؤنس نفوس المتعلمين وتذهب بوحشتهم

وتحول بينهم وبين النفوس من منظر هذه الجوارث الدموية بين زيد وعمرو ،
وخالد وبكر .

لا ينال المتعلم حظه من العلم الا اذا استطاع . مطابقتها على العمل والانتفاع
به في مواطنه . وواقفه التي وضع لاجلها . ولن يستطيع ذلك الا اذا استكثر له
معلمه من الامثلة والشواهد الملائمة لقواعد ذلك العلم وافتن له في ايادها افتناناً
يقرب الى ذهنه تلك الصلة بين العلم والعمل ويسهل له الوصول الى القدرة على تلك
المطابقة . وان اكثر المتعلمين في مدرسة الازهر ابعد الناس عن القدرة على المطابقة
لما حال بينهم وبين ذلك من الوقوف عند المثل الواحد لكل قاعدة من قواعد
العلم . فلو انك اردت احدهم على ان يخرج في المنطق عن الحيوانية والناطقة ،
وفي النحو عن ضرب زيد عمراً وقتل خالد بكراً ، وفي البيان عن تشبيه زيد
بالسدر واستعارة الاظافر للحنية ، وفي الصرف عن فعل وفاعل . لو وجدت في
نفسه الجهد والمثقة وفي لسانه من التي والحصر ما يحزنك على اعوام طوال قضاها
بين المحابر والدفاتر ثم لم يحصل من بعدها على طائل

علام يتعلم الطالب النحو والصرف ان عجز عن ان يقرأ صحيحاً في كل
كتاب وكل صحيفة . وعلام يتعلم علوم البلاغة ان عجز عن معرفة اسرار الكلام
واوجه بلاغته وفهم المراد من . مختلفات اساليبه وعن البيان بياناً فصيحاً يضمتنه
ما يشاء من اغراضه ومقاصده . وعلام يتعلم المنطق ان عجز عن التمييز بين فاسد
القضايا وصحيح . في كل متاعيه . وذهابه . وإن لم يكن الموضوع الانسان ولا
المحمول الحيوان الناطق

عجيب جداً ان يفهم الصانع الاتي ان العلم للعمل فلا يتعلم التجارة الا
ليصنع الابواب والصناديق . ولا الحداثة الا ليصنع الانتقال والمفاتيح . وان
يجعل المتعلم هذه القضية الضرورية فلا يفهم . من ان العلم الا الاستكثار من المعلومات
والقواعد وان عجز بعد ذلك عن التصرف فيها والانتفاع بها في مواطنها
ما دامت مدرسة الازهر على هذه الحال من اسلوب التعليم العقيم فليس يتقدم

لها في مستقبل الايام ان يُبَغَّ منها العلماء الذين تستطيع ان تستنفع بهم الامة
انتفاع امثالها بأمثالهم في مشارق الارض ومغاربها . فويل للعلم من العلماء

العصامي خيرٌ من العظامي

« للخوري بطرس البستاني »

« من كتابه السنايل »

اذا نشأت في بيت خيم عليه الحمل وأحدقت به النافذة من جميع جنباته فلا
تحملنك ضعةً نسبك على الونية والفتور ، ولا تدعن اليأس ينشب فيك مخالبه
الحادة حتى يترع من صدرك الهمة ومن فؤادك النشاط والمضاء ، بل انظر الى
الذين نبغوا في الدنيا من قبلك ، فان اكثرهم قد نشأوا مثلك في الاكواخ الوضيعة
لا ينتسبون الى جدٍ أثيل ولا الى أب اصيل ، ولا يتدهون بالعمومة والحوالة بل
عولوا على ما آثرهم به الله من توفد الذهن وشهامة خاطر وحدة العزيمة ، فسابقوا
العظاميين في حَلَبَات المعارف وكانوا من المبرزين

نحن لا ننكر أن المرء اذا كان من أرومة عريقة في النبل والثراء والشرف
والإباء تتوفر لديه ذرائع النبوغ ويكون اقرب الى النجاح ممن يتفرع عن اصل
وضيع خامل ، ولكن اكثر الموسرين يعتمدون في الغالب على مالمهم التليد فلا
ينصبون على اقتباس العلوم وحذق الفنون ليزيدوا أسرهم سنى ونباهة ، فتظل
واممهم العقلية مدفونة فيهم ، فلا هم ينتفعون بها ولا يتفهمون ، شأن من يملك
كثرة من الذهب ولا تنهض به همته الى استخراجه من معدنه ، فتضيع فوائده
عليه وعلى سواه

وأما ابناء الاكواخ فلا تتع عيونهم . نذ يبعثون النور الا على الشقاء فاغراً
فاه لا زدرادهم . فاذا أرادوا المجوع لا يرون لهم سوى الحضيض . منجأ ، ولولا
أن يتخاب عليهم سلطان الكرى لبنت جنوبهم عن مراقبهم الحشنة وأحيوا
يا عليهم سهداً . واذا برح بهم الجوع لا يظفرون إلا بجذ قفر فاذا اكلوه مرة

مأدوماً حسبوه قرصَ شَهد وسُئل مدخله في حلقهم كآذنه ماء ورد . وإذا نظروا
الى اجسامهم لا يرون عليها إلا اسعلاً . وأما أقداثهم فكما برأها الله لم تألف
الخفاف ولم تتعلم إلا الارض . وبعد هذا أقتسريون أن ينشط بنو الحفاصة الى
العمل للإفلات من برائن التمس ومناسير الإعدام والإتراب ، وان تكون أطباء
البشرية المتألمة من الطبقة التي هي أشعر بالألم وأدري بالنكبات !

لاتيأسن ايها المدم من إدمار الدنيا عنك ولا يُنجلكك أنك من ابوين غاملين
مُتريين ، بل جرد ما فيك من قوة وعزم واتزل الى معترك الجهاد معتمداً على
ساعديك المفتولين ، متكلاً على ما اختصك به المولى من نضارة العافية ، وهي
من أسنى الآلاء ، ثم تاجر بما جاد به عليك سبحانه وتعالى من مواهب الذكاء
والفطانة والثقافة ، وتحمل بالصدق والاستقامة والامانة والاخلاص ، حتى اذا
عرفك الناس بهذه الحلال الفريدة وثقوا بك كل الثقة ، وكان لك من هذه الثقة
أكبر رأس مال يبل خير وسيلة للتقدم والشهرة

وما أبهج يوماً تستوي فيه على عرش البقرية وفي يدك صولجان العمل الذهبي
ومن حولك نطق من ابصار المعجبين بتفوقك وشهرتك . وما أسعد يوماً ترى
فيه العزَّ ضارباً قبابه فوق ربك ، والمجد رافعاً اعلامه الحفاقة على مشارف صرحك .
وما امجد ساعة تنشر فيها ثواقب العلاه وشهب الشرف في سماء أسرتك ، مبدداً
بانوارك الثاقبة شقاءها المكفهر وذلم المذلهم وخمولها الداس . وما أعزَّ أنا تقف
فيه الى جانب العظامي وقد بذر ثروة آتاهه بإسرافه ، ودك معالم مجده بطارق
تهتكه واستهتاره ، وأفسد سمعة أسرته بما اقتطفه من الفواحش وما اجتريه من
المغازي والندايا ، حتى ألبسها من العار ثوباً صفيقاً وأرخصى على محياها . ان الهوان
سدلاً كثيفاً

ايها العظامي السابح في مجار ملاذه ، المنهك في اهوائه ، المطلق الاعتة
لنفسه الهوجاء ، اربأ بنفسك ان تلطخه في ردعات النذالة ، وبشرفك ان
تدكسه باقذار الحفاصة . واياك ان تردري بن حرمهم الله ما اسبغ عليك من

نعم الثراء والملاء ، قربٌ بانس هو اشرف منك حُلَقاً وارفع نفساً وأثقب ذهناً .
والانسان إما هو انسان بأصغريه ، لا بغزارة نسيبه ولا بشرف نسبه . فاذا رأيت
ولداً ضرب عليه الفقر مضاربته وتفرست فيه خيراً فأنفق على تعليمه من بعض
ريمتك تنعم أجره وتقدم لوطئك عضواً ينفعه ، فيكتب اسمك في عداد المحسنين
الى قومك المتوفرين على إتهاض بلادك ، الدائنين في نشر المعارف بين فئة منكودة
الحظ ، ألقى الله على عواتق المئين امر الاهتمام بها ، وإثارة بصائرهم المتسكمة
في دياجير الضلالة والجهالة . ولكم يكون مبلغ سعدك اذا نهضت بهذا المقترض
المقدس بدلاً من ان تنفق اموالك بما يهبط ظهرك من أعباء التبعات ، ويطلق
اللسنة في ذمك وهجوك

ولكم تقر عيتك وينبسط فؤادك يوم يشبُّ هذا الولد البائس ، وهو
حامل ثمرات العلم الشبيهة متعلِّج بجلى الآداب الرائمة ، ويوم يزىُّ المحافل بخطبه
البديعة ويدبج الصحف بمقالاته الاثيرة ، واذا يُصبح حصيف الرأي لطيف التدبير
دامم الحجة بعيد النظر ، بحيث يرجع اليه في معضلات المشاكل ومفصلات المسائل
فينادي القوم اذ ذاك أنه من غراس عيتك ومن نشأوا على مهاد عوارفك وغرفوا
من بحر فضلك ، وتفتأوا عنايتك ورعايتك ، فيرمون لك اكبر جميل وينظرون
اليك بعين الاعجاب ، وينتوّهون بفضلك في كل متدى

واما ذلك البائس الذي اقتلته عثرته وانهضته من هاوية الضعة والحول فانه
اعلم ما يكون من عرفانه لاحسانك وشعوره بحسن صيتك بعد اذ ابلغته هذا
المدى من السعادة ، وكحلت عينيه بانوار الهدى والسداد ، ورصت صدره بقرائد
المعارف ، وجعلته رجلاً اي رجل بين ابناء موطنه الذين اصبحوا يتباهون به في
محاضرم ويتفاخرون بآثره وعامده . . . كذلك يفعل ابناء اليسر والسعة في
البلاء التي يتنافس فيها المحسنون في البرّات . . . واذا امسك احدهم يده عن
بذل شيء من ماله في سبيل البر اغارت عليه الصحف عارات شعواء واندفعت
اللسنة في ميدان هجائه ، وثلمت سمعته وحطت من قدره ، وشدد قومه عليه

التكبر وسوأوا عليه بخله وعيروه أذع تمييز . حتى يضرطوه الى ان يجود بقسم مما تملكه يدها على من هم في حاجة الى الامداد ، او يحطوه على الاقل عبدة من بعدهم للاغنياء الاشعفاء فيتحاشون من ان يقعوا في وهنته او يوصوا بوصته

على ان اغنياءنا المسكين يحمدون الله على انهم في بلاد لا يسمعون فيها الا عبارات الاطراء الكذاب من كل ثم ملأق خداع ، فلا يخشون مذمة ولا يحذرون ان يشدخ مسامعهم تنديد جارح او انتقاد أليم لداع ، ولذلك يعضون مضاهم في مسالك الاستئثار وينطلقون في مضمار الاهواء بدون ان يوجسوا خيفة او يتوقوا محذوراً . وانما يشجعهم على الاستهتار كون اولاد الميسرة والآثراء مقدوراً قدرهم في هذه الانحاء الشقية بأهلها بحيث تريد قيمة المرء ما زادت امواله ومي الضلالة بعينها . فلو كان الاهلون هنا ينظرون الى المرء من جهة ما يعمل لا من جهة ما يملك من حطام الدنيا وزخارفها الوهمية لكانت قيمته ما يحسنه من الاعمال لا ما يجمعه من الاموال بطرق ربما كانت محظورة او مشوبة بشيء . بل ناشياء من الطمع والغبن ، وكان اهل الثراء يقومون ويقعدون كلما اذقلب عليهم الجمهور وسلطهم بلواذع لسانه وقوارص كلامه ، وأجأتهم الحال الى ان يتدعوا على أندية البر يتسم بما اكتسبوه طمعاً في حسن الاحدوثة او فراراً من الطعن والتثريب

وأخلاق بالحكومة اذا شأنت ان تتدارك حشاشات المملقين وتصلح من شرؤون المدققين وتحفف جيش المتسولين ان ترصد في كل سنة مبلغاً من المال تبذله في سبيل تعليمهم مهناً تغنيهم عن النسل والتكفف والتكدية والاستجداء ، فلا يبقون عالة عليها ولا على الرعية . واذا رأيت فيهم ذا عقل ناقب يبشر بمستقبل سعيد فلتدفعه الى المعاهد العلمية لعله يقتبس من العلوم والفنون ما يجعله في مصاف الاعضاء المفيدون لبلادهم . واذا لم يكن في بيت مالها ما يعينها على الاتفاق في هذه الوجوه المحمودة فلتضرب على الموسرين الذين اترفهم المال وابطرهم ، وهم حراس كل الحرص على اذخاره ، ضرائب تتقاضاهم اياها سنة فسنة مراعية فيها

مقدار ريعهم ومبلغ مكسبهم . فاذا فعلت رأينا كيف ينشأ من اليتامى وابناء
الاكواخ نوابغ يفيدون البشرية ويسئون باوطانهم الى المستوى الاعلى
وما اكثر الاذكيا . الالباء في الطبقة المعوزة ، وما اوفر استعدادهم للتصصيل .
فلقد روى لس التاريخ في كل عصر وافادنا الاختبار ان اكثر الاختراعات
والاكتشافات كان اربابها من العصاميين الفقراء . لامن العظاميين الاعنياء . فلتصعد
اذًا الامة على مناكبهم القوية الى روالي العز ومراتب المجد ادا تحلف النظاميون
من ان يقضوا بها الى الامل المرصود في ساحات الرغد والسعد . وحرام أي حرام
ان تبقى الارض الميراث مواتاً والميراث المخصص مجدداً ضناً ببعض دريهمات
تنفق في سبيل استنباتها واستثمارها

التسامح والمحالفة

« له ايضاً »

أشقى ما يكون عليه المرء ان يحيا بين قومه وحيداً لا أنيس له في عزله ،
ولا مؤسّي في نكبته ، ولا معزّي في محنته ، ولا ممرض في علته . واشقى الناس
من ناصبه ابنا : وطئه العداء وكفوا في ملهاته أعواناً عليه ، بحيث اذا نابته بلية
اعرضوا عنه ووأوه ظهورهم

وانما يعاني المرء هذه الجفوة من ابنا . لانه اذا كان شرس الخُصام عظيم
المعاشرة ساقط الهمة زمن المروءة وضع النفس بذني . الانسان دغل الصدد ، أشهى
الامور اليه ان يتقلب على المهاد الوئيرة ولو تملل قومه على أحد من شرك التتاد ،
وأن تنصب له وحده قباب العز والمجد ولو كان رطنه على حضيض الذل والفضة
والمهانة . وهى استحكم الاستئثار في المرء حتى اصبح لا يود الخير الا لنفسه ،
ولا يطيب له الا ان يكون في غبطة ورقاهية وهناء ، وسواء عنده أشقى خواته
في البشرية ام سعدوا ، فلا تعجب للناس أن يتظاهروا عليه ويتألبوا ، وأن
جواهر الكلك ١٨

يسوموه ما هو حقيق^ه به من ضروب الخسف والخذلان ويضعوا في وجهه الحواجز
ومن حويله العراقيل حتى لا ينجح له مسمى ولا يستقيم له امر

فاذا راقك يا صاح أن يكثر نصراؤك وأودأوك فامل الناس بالحسنى
وتودد لهم ما استطعت ، وجاملمهم جهلك واصطنع اليهم من المعروف ما يتد^د
اليه ذرعك ، وكن لهم من صنوف السعادة ماتمتناه لنفسك ، وكن سلس الطباع
لطيف المعشر انيس المحضر رحيب الصدر بعيد الهمة سريع النجدة ، اذا
استصرحك صارخ خفقت اليه دفعا للبلاء عنه ، واذا قصد اليك احد لسد^د لبانة
او قضاء ارب اهترزت لاجابة سؤله اهتراز الاريجي للتبرعات والمجودات للمبرات .
وليك ان تحذله وانت قادر على إسعافه بمالك او رأيك او جاهك او شفاعتك ،
واحذر ان تحيب له املا مع ثقته بأنك موضع امله وحسن ظنه . على انه اذا
تمعد عليك ان تؤازره بما يصلح حاله ويرأب صدعه فلا اقل من أن تسمعه كلمة
مستعذبة تحي فيه ميت الامل وتعينه على التجميل . وتحوز من أن ترجره او
تصرفه يائسا ذليلا فانك بهذه الجفوة تنكأ قروحه وتهيض عظامه وتحنقه يائسا
ان التسامح من اوطد دعائم التألف وادعى الاسباب الى التعاطب والتضام ،
ما انتشر في امة وتوثق حتى اصبحت اوثق من البناء المرصوص وامنع من المعامل
اسوارا ، وباتت افرادها في مأمن من ان يتقها سوس العداء او تندلع اليها نيران
البغضاء ، فيتساقون في اعيادهم كوئوس الصفاء ويتهادون عبارات الولاء ، وهم آمنون
مطمثون لا يخشون عدوا صورا ولا فاتكأ قهرا

واذا راقك ان تستشف الضلوع وتحترق حبات القلوب وجوانح الصدور
لتعرف مبلغها من التساهل فامد اليها مسبارك ، فاذا لم تر في اغوارها اثر اللتعصب
الذميم ، وكانت مكارم الاخلاق مستوية هناك على عروشها الرفيعة ، فقل إنه
التسامح في أمتك راسخ القواعد متين المباني ، لا خوف عليه من عاصفة ترزعزع
اركانه ومن زوبعة تجتاح بوانيه ودعائمه . ولكن اذا بدا لك ان الصدور ليست
على شيء من الرحب حتى لتغطي فيها مراحل الاحقاد لاقل هفوة وادنى بادرة ،

وأن القلوب تنقبض لاساءة وقص على غير عمد ، والالسة تنطلق في ميدان
البذاءة والمجبر والمجاء . لكلمة فرطت على سلامة نية وتزاهة قصد ، ثم رأيت
الناس بعد وقوع من مثل هذه المفورات التافهة وقد تحزبوا احزاباً وتشيعوا اشياءاً ،
فالتفت كل فريق تحت لواء زعيم يأتمر اوامرهِ ويتبهي بنواهيهِ ، واخذ يُصلي
خصومه احمى نار ، قتل ان التسامح ليتبرأ من أمة قائدها التعصب الاعمى وهي
ليست من رحابة الصدر وكرم الاخلاق في شيء .

ومعلوم ان كل امة مها تكثر عدد حكمائها لا يزال الجبال النواء فيها
أوفر عددًا من عقلائها ، وهم في الغالب مقطودون على الثمر متحفزون له ، يطهرون
اليه لاول نفخة ينفعها نافع في اوراق الفتنة . فاذا لم يكن في الامة المتساعون
المتساهلون لم يردع اولئك الطغام عن المنكرات رادع ، ولم يزعمهم عن اينفار
الصدور وهرق الدماء . وازع ، وهناك الطامة الكبرى

ونحن من اشد الامم افتقاراً الى التسامح نظراً لكثرة المال فينا وتفرق
كل ملة الى فرق في تزعاتها ومطامعها واغراضها ومطامعها . فاذا كما لا نتساهل
ولا نزي ناشتنا على روح التسامح تعذر علينا ان نعزز فيما بيننا روابط الوتام
والوفاق ، ونترع من صدورنا أصول النفاق والشقاق . واضمن ذريعة البوارغ هذه
الغاية المرصودة أن يجتمع قادة الافكار من كل ملة ومذهب في هذه البلاد
ويؤلفوا جامعة وطنية للتوفيق بين القلوب المتنازدة والصدور المتنازعة ، واستدراك
ما يقع من الخلاف بين ملة وملة . ومداواة كل نزاع بالادواء الشافية ، تفادياً
من ان يتسع الحرق ويتباين الصدع

وليجهد الخطباء والصحافيون والائمة والاساتذة جهدهم كله في ان يغرسوا
فضيلة التساهل في قلوب الناشئة وصدور العامة ، ملقين عليهم في هذا الموضوع
الخطير دروساً تلقنهم كيف يجب ان يتساعوا لدى وقوع الطوارئ وكيف ينبغي
لهم ان يراعوا سنة المحاللة وحسن المعاشرة ، حتى لا ينتقض فيما بينهم حبل
الولاء . ولا تعكر كأس الصفاء . فاذا نشأوا هذه النشأة المباركة وسلكوا هذا

المسلك المحمود لا تنطوي بضع سنوات على هذه البلاد المنكوبة بكثرة المذاهب حتى تصبح كتلة واحدة ، فتسرد فينا الوطنية الصحيحة سيادتها في البلاد المتآخية الراقية ، حيث لا يعرف المرء ابن دينه الا في معبده ، واما خارجه فكلهم اخوان في الوطنية ، وما اجمل هذه الاخوة وما احوجتنا اليها

شرف المحراث

« له ايضاً »

اذا ملئت الحضر وسمت من المدر ، وكهرت ضوضاء الدن وجلبة سكانها ، فهياً الى المزارع والحقول وروح صدرك بنفحاتها اللطيفة ونفحاتها الذكية ، وفكه عينيك بتلك البسط الخضراء التي نسجت يد الطبيعة ويد الزراع معاً . هنالك ترى السنابل تتأيل طرباً وترقص جذلاً كأنها نشوى بما في قلبها من البر الذي بدونه لا يحيا الانسان ، او كأنها هائمة بمداعبة النسيم وخير الماء وثغاء الشاء ، او كأنها تريد أن تشكر لمبدعها الذي انبتا والافلاح الذي تعدها ورباًها منذ كانت بذرة الى ان صارت سنبلة

وأني مشهد اطيب للنفس واقر للعين وأدعى الى الانس من ان ترى القرويين يتسائلون عند انبثاق الفجر الى حقولهم زرافات زرافات ، وعلى منكب كل منهم سكتة ومعوله ، وفي يديه همزته ومزادته وخريطته ومزمارة وقيثارته ، وامامه قطعانه وثيرانه ، وفي صدره همه شاة للدأب في العمل ، وفي فؤاده امل كبير بان موسمه سيكون مقبلاً كل الاقبال بعد اتمكاله على مولاه الجراد وتعويله هو على نشاطه وجده . وحينئذ يقوى على عيالة اهله الذين يعينونه صفاراً وكباراً على حراثة ارضه وزرعها ..

ير النهار ولا شاعل يشغله عن عمله ولا هم يقلق باله ، وضيقه مطمئن لم يلوث بدنية ولا بال حرام ، ونفسه ساكنة شريفة لا تطمح الى المناصب

والمراتب العالية ، ولا تحدّثه الا بأن يعمل في حقّه حتى يستغني عن الناس ، واكره الاشياء اليه ان يطمع في مال غيره ، او يحسده على نعمته ، او يزاحمه على رقبته ، او يغيبه في بيع مزروعاته ، او يبيعه الحليب مشوباً بـ ١٠ ملاء ، وابتغى الرذائل الى قلبه ان يثلم عرض قريبه ، او يبطن له المقت ، او يضر له الشر ، او يحتمل عليه ، او يكرهه الى ما هنالك من المفاصد التي يتآذ عنها ، وربما لا يعرفها ، لانها من مقترحات المدنية ولا اثر لها في العيشة الحقلية .

هذه هي السعادة بعينها ، وما اقلّ المتمتعين بها ، ولا ميا في المدن حيث تسود المطاعم وتجول المخابث وتكثر الافتراءات وتتنوّل الحيلانات ، وحيث ترى الضائر ساجدة في بحر المنكرات والمغزيات على غير مبالاة ، وحيث تنازع البقاء محقود غبار ، والحد مشوبة نيرانه والاثار هائج يركلته ، والجور موطدة اركلته ، وحيث لا يطيب للتاجر الا الخداع والغبن ، وللمستخدم الا الخيانة والمكر ، وللحاكم الا الحيف والضغط ، وللقاضي الا الرشوة والظلم ، وحيث لا يحلو للزوج الا ان يخرق حرمة الزوج ، وللشاب الا ان يتسرغ في الحماة ، ويسبح في بحر الشهوات ، وللقناة ألا ان تذهب في ميدان التهلك كل مذهب خالعة ازار الحياء ، وموارية العفاف في نعث القحة بعد ان نسجت له كفنا صفيقاً من الاستهتار

فبئس الحياة المدنية ونعم العيشة البدوية ، فاذا راقك ان ينعم عيشك ويهنؤ طعامك وتطيب حياتك ويطول عمرك ، وان تغطوي ايامك باشراف والزهارة والاباء والاستقامة ، فملك بالحياة الحقلية فهي تزهة عن شوائب المجتمع وغالبية من العيوب اللاصقة بنفوس اهل الحضار

وما اهل الذين ينظرون الى المعراث نظارة ازدهار ، حتى كأن الزراعة مهنة وضيفة زرية وكأنّ الفلاح هو من نفاية الدس ودعاح الدوم . ولا ريب ان الذين يذهبون هذا المذهب هم جديرون بالامتحان ، بسبلهم من تقصّر الدس نظراً وأسئمتهم رأياً ، فلا ينظرون الى الجوعر ، ولا الى النع احقيتي ، بل

تصبي بصائرهم الظواهر الخداعة فينتون حكمهم على الرخايف الختالة والمطاسن
 التراوة ويعلقون بالاوهام . كيف لا وهم يزعمون ان المرء قائم شرفه بمنصب
 رفيع يسند اليه ، او برتبة سامية ينالها ، او بثروة طائلة يرثها من ابويه او يفوز
 بها بجده ، او بحسن طالعهِ الى ما هنالك من المزاعم التي لا تنطبق على الحقيقة .
 والذي زاه وراء كل عاقل ان اجدر الناس بالاحترام من كان انفعهم لبلاده .
 والزرع هو في نظر الحكماء اجدى من السياسي والتاجر والمثري ، لان يده
 العاملة تنزل على البلاد الخيرات ، ومجرائه الحديدية الذي يعزق به قلب الارض
 يلقي بين يديها الكنوز الذهبية . فلولا الزراعة لثلت يد الصناعة وكسدت سوق
 التجارة . ولله درُّ من قال ، وهو من اكبر فلاسفة هذا العصر « ان اداة النفي
 الحقيقية هي المحراث ، والبلاد التي تعتمد على ذهبها بدون ان تعتني بحراث
 ارضها وزرعها وإغناغ اغراسها ، يتعذر عليها ان تطعم سكانها » وقال احد علماء
 الفرنسيين من امد غير بعيد « يجب على الحكومة ان تمد الفلاحين بجميع ما
 لديها من الذرائع حتى يتسنى لهم ان يستخرجوا من ارضنا ما نحن في أمس الحاجة
 اليه ، فنستغني عن استيراده من البلاد الاجنبية . وما من واسطة انجح من هذه
 الواسطة لرفع ثقلنا المالية وتحسين حالتنا الاقتصادية ومقاومة اعدائنا الذين
 يجدون ايُّ جد في ان ينقصوا من قدر اوراقنا النقدية حتى يزعموا دعائم ثروتنا
 ويضعفوا ثقة الاعيار بنا »

وان روكفلر ذلك المثري الاميركاني الشهير بعد ان ساح في اوربا بضعة اشهر
 عاد الى بلاده ، فسأله اصداقاه عما رأى في رحلته من المشاهد الجديدة بالعجب
 والاعجاب فقال على الفور : « ان اعظم مشهد رأيته عيني هو رؤيتي القرويين
 الفرنسيين يعملون من الشفق الى المسق يجد لايعرف الملل حتى يصلحوا اراضيهم
 ويرموا مآزلهم التي خربتها الحرب الكونية . ولا جرم ان هذا العزم المعروف
 به الشعب الفرنسي هو الذي جعل فرنسا في المقام الذي زاهاه فيه »

فلو زار روكفلر او غيره من الشياح هذه البلاد وقد قد بيوتها التي لا تزال

حتى الان خربة ، ورأى حقولها الجرداء ، وارضيا الجلعا ، وانقاضها البالية ،
 واطلالها الباكية ، ودمنها الدامية ، لرثى حالاتنا ، ورق لجمودنا ونحولنا ، وعاد
 الى وطنه وفي نفسه اسوأ اثر . فأين الصبر الذي عرف به الشعب اللبناني ، واين
 الهمة التي رافقت آباءنا واجدادنا حتى نقروا الصخور ، وحفروا الجبال ، وجعلوا
 من تلك الاراضي الصلدة حقولاً خصبة ، ومن تلك الآكام القامرة قرى عامرة ،
 ومن تلك المتنوعات حدائق غناء . فكان السواعد القوية في وطننا العزيز قد
 اعتراها الشلل حتى تركت الشيبة ارزاقها يواراً ، وتزحت عن هذه الديار الى
 المهاجر حيث تذوق المرائر ، وهنا الضربة القاضية والطامة الكبرى

ألا الثغاة الى هذه البلاد المنكودة ، فان الحراب يتهددها من كل جانب .
 أو ما كفاها ما قاسته من البلايا الفادحات في تلك الحرب الظالمة القاسية حتى
 تنكأوا اليوم قرحتها بجلائكم عنها . تأملوا ايها الشبان الاجباء بسوء مصيركم
 وأقلعوا عن مهاجرة اراضيكم كما كان شأنكم قبل الحرب . واحرقوا بقاعكم
 حتى تعود الى حالها الاولى ، فتكفيكم مؤونة الهجرة المرة ، والا جنيتكم عليها
 وعلى نفوسكم جناية لا يغفرها لكم حقدكم . وانتم ايها الاغنياء ساعدوا
 الزراعيين على احياء املاككم وأنجدوهم بالمال واعطفوا عليهم حتى تحبوا بقية
 الامل الضئيلة الباقية في صدورهم . فيقتوا من حوائكم يعملون في سبيل مصلحتهم
 ومصلحتكم معاً . فانتم لا تستفنون عنهم وهم لا يستفنون عنكم ، والنجاح
 مضمون بالتضافر والتناصر ، والفشل واقع مع التواكل والتخاذل . وما سعد
 الزراع الذي يعمل على زرعه وضرعه ، ويعتمد في معاشه على امولى الزقاق ثم على
 عرق حبيته ومثانة ساعده ونضارة عافيته ، ولا يتكل الا على رأس موله ونفاذ
 عمرائه وقوة فدائه

المالِك بصناعاتها «لأَمِين البستاني»

متى كثرت الصناعات في بلد قل هو بلد العلم والثروة والرفي اذ لا تجتمع الصناعة والجل ولا تجتمع والفقر ، وانما هي بنت العلم وأم الغنى واليسار ، وربما اغنت الصناعة عن الزراعة اذا راجت سوقها وقامت تجارتها ولم تكن الزراعة عنها وان أدركت الحيد وانبتت لاهلها البركات . هذه بلاد الانكليز مثلاً أي حزاؤهم البريطانية قد ضاقت عليهم مع نسبة عددهم الكثير ومع ذلك كفتها صناعاتها التي تصدر الى انحاء العالم محمولة على آلاف من سفنها التجارية ترسل نسبياً وماعوناً أو نحاساً وحديدًا وتعود ذهباً كريمة وفضة بيضاء حتى أصبحوا أثرى أمم الارض . وشلهم الفرنسيون الذين جمعوا اليهم الزراعة والصناعة معاً . وكذا الالمان فقد صاروا ، على حدائث امبراطوريتهم المتحدة ، من الغنى بمكان قبل هذه الحرب التي راحهم امبراطورهم برزاياها وعرضهم بها على الهلاك والدمار . وكأنّ ما اعطاهم بيد سابهم إياه بأخرى ، حسنة بسينة وقد تكافأتا .

وللصناعات فوائد جلائل للامة فهي اذا أصدرتها الى البلدان الاجنبية اصابته منها المكاسب الكبرى ، واذا باعها طي بلادها باعها لا بتانها بالثمن السهل اللين وهي تشغل طبقات كثيرة من فتيان الامة وفتياتها لولاها لضاق بهم العيش ولتكدت عليهم الحياة ، ولا يظهر اثر ذلك الا يوم تقع حرب أو يقوم اعتصاب وشغب تبطل معها الاشغال الصناعية ، وتسمي عشرات الالوف من الناس ولا عمل لهم ويصبحون عالة على كاهل الامة ، وما اكثر الشواهد والبر التي قربنا في هذه الايام أيام الحرب والاعتصابات . وبعد هذا كله اذا شئت ان تعرف فضل الصناعة وانها أنهض دلائل على مدنية الامة وثروتها وعلو كعبها في الالوم والسنون فانظر الى آثار مصر لعهد قراعتها وبطالستها . والى آثار اثينا ورومية . والى آثار سوريند

لهد فينيقيا ورومانها والى ماديت اشور وبابل تجدها كلها ايات صادقات على تقدم الصناعة في تلك الدول والاجيال وفي ذلك غر مغلها يدل على ان الصناعة هي حياة الامم ما بقيت هذه الامم ثم هي حياتها ايضاً اذا هلكت تدرج عن سابق مجدها وتحدث عن ماضي عزها .

وأحق الحكومات باحيا الصناعة وترقيتها إنما هي حكومة مصر خليفة دولها العتيقة التي أعجزت الدنيا بمجال صناعاتها حتى كان ما خلفت من الآثار زينة الدهر وحلية كل بلد عظيم مثل باريس ولوندا ونيويورك وغيرهن من المدائن التي أوتيت حظاً بامتلاك شيء من نفائس قدام المصريين واتزاله ساحاتها وباحاتها كما تذلل الاقراط والعقود في الآذان والاجياد . وقد تنهت الحكومة المصرية للعلم بعد ان أفادت من السر والقروض التي انقلتها فشادت المدارس واكثر منها حتى أعطت كل مكان حقه ثم التفت للصناعة فأنشأت لها بعض المدارس ثم جرت على اثرها مجالس المديرية فأقامت شيئاً من مدارس الصناعة ، إلا ان كل هذا لا يعني ولا بد من المزيد وبذل المقادير الكثيرة من المال مما يمكن الحكومة معه تجديد المدارس الصناعية واتقانها بان تجلب اليها قوماً من حذاق اهل الصناعات حتى تجتمع لمصر مزيتا الزراعة والصناعة وحتى يتدفق الخير في واديا وينساب في أباطعها كما انساب نيلها . أترى عيوننا أم عيون ابنائنا وحفدتنا قطنتا البديع الفاخر يغزل على معاملنا وتنسج منه اثوابنا ومفترشات بيوتنا شأنه في بلاد اوربا . اقد بدأنا بصنع الطربوش في معمل « قها » لنكسو رأسا فهل لنا ان نكسو سائر الجسم من صنع أيدينا كما تكسى الامم والشعوب الراقية . وقتنا الله لادراك هذه الالمنية وأمثالها من حاجياتنا وكالياتنا حتى نغني عن محالوبات الغرب بقدر ما نستطيع وأولها الابرة وخيطها ومعلقة الاكل وسرواك الاسنان ، وهذه الاشياء أهون ما نجلبه من اوربا ، وانما لاعناء لنا عنه . فلتجد الحكومة في خدمة الصناعات لأنها تؤيدنا الى الحياة الصحيحة التي هي ألبق بالنوع الانساني وهي ترفع الناس جملة عن خشونة المهمجية وتذهب بهم الى نعيم العيش على جهة ملابسهم ومآكلهم .

ومجامهم وسائر حالاتهم المدنية . فاذا نظرت الى المجمع الذين خلوا منها ، والى الامم التي حصلت عليها رأيت الفرق بينهم يكاد يكون كالفرق بين الوحشي والادمي ، والفضل عائد للصناعات التي هي زبدة المدنية وخلاصتها .

الامم في معاملاتها

اصدقوا فيها تفلحوا

« له ايضاً »

اذا صدقت الامة في معاملاتها فبشرها بالصلاح واليمن . حكمة تصدق في الامة جملة وفي أحادها ايضاً . فاذا علاك دين فاقضه عند اول الميسرة تخلص منه فهو صديقك عند الحاجة اليه وعدوك عند المطلب فيه ، وليس العار في الاستدانة فهي من لوازم المدنية والمعاملات ، بل العار والضرر واردان من المطلب في اداء الدين وتعاظم فوائده عليك حتى تبرج عن اداء أصله وغراته . وما ضر مصر في ديونها الدولية وهوى بها غير المطلب في ادائها أو العجز عنه ، وعن هذا العجز تفرع كل ما نحن ناظروه اليوم . من استدان فليستد على قدر طاقته فان جاوزها وطرع عنها ضاع في الضائعات . قلنا ان الدين ليس بعار على الامة ، وهو على ضد ذلك فرج لها ونجدة عند الحاجة اليه ، وأية أمة خلت من الدين الذي وجد في الدنيا منذ تمدن الانسان وتحضر ، بل من عهد كان الانسان على فطرته الاولى وانما تطورت صور الديون وطرقها واوصافها مع تطور مدنيته فقد كُتبت في مستهل أمرها استمارات من غير مراعاة وكُتبت قبل ضرب النقود اعياناً باعيان . فلما كثرت المعاملات وترقت الحضارة وضرب للنقدان الكريمان (الذهب والفضة) وغيرهما صار معظم الدين عن نقد ، وما زال الناس يتفتنون فيه كما فشت معاملاتهم وعظمت تجارتهم حتى بلغوا به صنوفة الحضارة فمن دين مدني الى دين تجاري ومن دين . طلاق الى دين . قيد مأخوذ على رهن أو . ملق على كفالة او تضامن وما شاكل واصبح يدور في الامم بحكم الضرورة القصوى كما يدور الدم في

العروق فاذا وقف هذا مات صاحبه واذا وقف الدين في المعاملات ماتت هذه ،
وانما يشترط فيه الصدق في المعاملة حتى يتنفع منه الدائن وتنفرج به أزمة المدين
والا انقلب شراً عليهما كليهما . ذاك لعدم حصوله عليه عند عدم الاستيثاق من
وهن او كفالة وهذا لتراكم الفوائد على عتقه الى ان يضيق بها ذرعاً وتستوعب
كل ملكه . واكثر دين جمهورنا من هذا النوع . عرفت كثيراً من الاقوام بدأوا
دينهم بمسدة دينار وانتهوا به الى الخمسائة . وعرفت شخصاً في الشرقية استلف
من مرابو ٤٠ ديناراً فبلغ دينه بعد زمن غير طويل ثلثمائة . وانك لتجد الفلاح
يعاني كل بلاء في زرع قطعه وفي تهده له بالثبثة والتثنية ، والري تضره أمواهه
الى أعلى تخذه ويبيت على الطوى ليالي في غيطه حتى اذا اقبل ذلك الزرع المبارك
أي صار قطعاً جاء المرابي فأخذ القطن بما تحته من اعواد شجراته والفلاح يدعو
عليه وعلى نفسه ما

ولم تجب هذه البليات الا من سوء المعاملة وتجافي المدين عن قضاء مدائنه
حقه الذي له عليه فيقطع هذا بكل ماتك يده ويزيد في الربا . فلو أدى المدين
اليه عند ميسرته لزال الضرر عنه او أدى اليه بعضه تخف عنه واحتمله بقليل فائدة
لا أن يتركه اعواماً والدائن يضم فائدة الى أخرى ثم يركبها تركيباً حتى يعجز
المدين عن السداد فيترع ملكه كله بدينه وقد قضى الامر ولا اظن بلداً تناول
فيه الدين كل طبقاته مثل قطرنا ولا اظن بلداً كذلك تناقل مدينوه عن قضاء
ديونهم مثلاً . لقد اصبح عدم الوفاء خلقاً فينا وربما بذل الانسان منا ٢٠ ديناراً
على مأدبة او على احياء ليلة طرب وأنس ولا تطيب نفسه عن اداء مائة قرش
هي عليه لدائن حتى اجتمع فينا داءان قتالان داء المطلق في الدين وداء المرأاة
الغيا في تسليمه ، ووراء هذين الداءين قتل الثروة العامة واثرء المرابين الذين لا
تفيد ثروتهم البلاد شيئاً ، اذ قد غلب عليهم الشح وقبض اليد عن اصطناع
المروءات ومواساة ذوي الفاقة ، فانما حب كثر المال داء عضال أعيا كل طيب
وصرف صاحبه عن كل عمل . شكور . ثم لو تأملت قليلاً لوجدت السبب الاكبر

في عسر الفلاح وفي تراكم الديون عليه انما هو الجهل الذي يضلّه عن طريق الصواب ويفسد عليه تدبيره فيلعب المرايى بعقله فيقع في حائله ومعظم هذه الحائل غير وطنية ومنها ما هو وطني واشد من تلك اضراراً بالفلاح لان المرايى الوطني اكثر حيلة وادري بمواقع السلب والنهب من الاجنبي . وقد سبق لي في المقالة التي كتبته على تقرير المستشار القضائي في الاسبوع الفائت ان قلت انه لا منجاة للمحاکم من كثرة القضايا ولا للفلاح من المخاصمات والمنازعات القضائية التي تكدر عليه صفوه الا بالعلم ووجوب جعله الزامياً بعد الحرب شأن سائر الممالك الراقية وأعيد هنا هذا القول واستبعد بتلك الوسيلة عنها فأقول ان العلم وحده هو الذي يرفع طبقة الفلاحين عما هي عليه من الحق ويدفع المرايين عن قيادها واذا قيل ان في كل بلد فلاحين أجتكت ان الفلاح الاوربي له من العلم حظ يورثه فكراً ورأياً يقبانه الاستسلام للسلاطين والخطأفين ، أما والامر ما وصفنا فلم يبق للقطر من دواء شافٍ له من جميع ادوائه الاجتماعية الا تعمم العلم ونشر ألويته والاجبار عليه كما يغير الوطني على الخدمة العسكرية ولا بدل عسكري في التعليم . ولا يشترط في كل تعليم ان يبلغ به صاحبه مرتبة عالمية فان العالمية ليست بلازمة للعامة وانما العلم كيفما كان مقداره هو اللازم الذي لا تغني عامتنا عنه الا اذا غنيت أبصارها من النور ، ومن له من ذلك ، ثم متى يستوي النور والظلمة

دير القمر

« بقلم بطرس البستاني صاحب البيان »

انطلقت بنا السيارة على طريق الشويفات مجتازة صحراء الزيتون الخالدة فكأنما هي وقد اطلت عن بعد ، بحيرة خضراء خفاقة الامواج بين ايدي النسيم متلاثة تحت اشعة الشمس تلقي الانوار من اوراقها عقوداً ذهبية وما كدنا نجتاز هذه البحيرة القاتمة حتى انفرج امامنا البحر اللامع والازوردي ببساطه السندسي المفض الاطراف تتكسره واجهه على الصخور الشاحبة فيسمع

لما انين المتيم المهجور او تلساب منتشرة على الرمال فتتلاشى انفسها شيئاً فشيئاً
وتابعنا السير يرافقتنا شاطئ البحر بنفسه الليل حتى بلغنا الدامور ، وقد
اشرفت معلقتها على سهل التوت القسيح كما يشرف الحارث الامين على خرافه
وهي سارحة في المرعى . والداموريون في الصيف يجرون منازلهم في المدينة ،
هرباً من لوافح الحر ، مبتدئين بياحه بكرة وعشياً
ولما اقتربنا من نهر الدامور اخذت السيارة تسير بنا صعوداً في طريق الدير ،
وهذا الطريق وعر المسالك يحتاج الى الاصلاح وانشاء المؤنسات على مشارفه ،
وهو كثير المنطفات والتماريح تكتنفه الصخور الكدراء من جهة والودية
من جهة اخرى . فبينما ترى الى شالك حجارة جرداء ، تلقى على يمينك في وهاد
بين جبلين ارضاً ظليلة خضراء تلسع مياهها كأنها صفائح من لجن . وكأن الشاعر
ارادها بقوله :

وقانا لفحة الرضاء واد سقاء مضاعف الغيث العسيم
تزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
يود الشمس ألى واجهتنا فيحببها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وكان سائق سيارتنا لحسن الحظ من دير القمر فلم نزعج في توقلنا هذه
الجبال الشام ، لان سواقي الدير خيرون بتلك الارض فيستطيع المسافر ان
يذهب معهم مطمئن البال مرتاح الفؤاد

وبعد سير ساعة ونصف الساعة تعرضت لنا من عل «منشية» دير القمر ، وهي
حديقة كبيرة خارج البلديونها الديريون للترهه وارتشاف الاقداح بين الحضرة
والماء . وهي تطل على البحر من الغرب ، ومن الجنوب والشرق على بلدة بعقلين
وقرية بتدين وما جاورهما من الضيع والمزارع وتبسط تحتها قرى الوادي
ودردوريت وبكرزیه

ودخلنا الدير عند الهجيرة وهي بلدة قائمة في السفح من الجبل تعلو عن سطح

البحر زهاء ٨٨٥ متراً ، وتكثف عليها من الشمال غابة شربين ظليلة الاشجار ،
وتكتنفها من الغرب غابة من الصنوبر

ولا ريب بان وجود هاتين الغابتين كان له فضل كبير على الحالة الصحية في
البلد الديري لذلك قلما انتشرت الامراض هناك او كان لها تأثير كبير

وموقع الدير من طبيعته صحي نافع . فالهواء ناسف عليل وبيوت المدينة
غير ملزوز بعضها ببعض ، وماؤها بارد عذب ، وهي غير مفتوحة للرياح الشمالية
فلا تجد امراض الصدر اليها سيلاً

والدير بلد تاريخي قديم لامع الصفحات من عهد المنين الى عهد الشهابيين
الى عهد المتصرفين العثمانيين

ولم تتأخر الدير يوماً تأخرها على عهد الافرنسيين وهي البلدة التي اشتهرت
باخلاصها لقرنسا الدولة المنتدبة . وكانت الدير قديماً عامرة ببناياتها آهلة بابنائها
زاهرة بصناعتها وتجارها ، فيها سوق للحريم معروفة بالقصرية واسواق اخرى
للصباغين والاساكفة والعمامين والحدادين والتجارين والدباغين ما عدا سوقين
كبيرتين احدهما سوق الميدان ، وفي الجهة الجنوبية منها دار الحكومة ، والاخرى
سوق الشالوط وفيها يتدفق النبع الشهير وتقوم على اطرافها الساحة النكدية التي
كانت في الزمن الحالي ميداناً لمشايخ الدروز من آل نكد

اما قيصرية الحرير فقد اصبحت بعد حوادث السنة الستين خراباً وبقرب
منها سطوح الخرج التاريخية . وفيها دهليز طويل يدخل منه الى كنيس قديم
اليهود اصبح اليوم اثرًا بعد عين

اما بقية الاسواق فقد اقلعت اكثر مخازنها ودكاكينها لان السواد الاعظم
من سكان دير القمر هاجر مسقط رأسه ومتى علمنا ان في بيروت وحدها ما
يزيد على خمسة آلاف ديوي ما عدا الذين هم في مصر والاميركتين وافريقيا
وغيرها من البلاد ، متى علمنا ذلك تبين لنا الفرق العظيم بين دير القمر بالامس
ودير القمر اليوم . ويقدر عدد المهاجرين الديريين باكثر من عشرين الف نفس

ولم يتخلف فيها الى اليوم سوى ثلاثة آلاف او اقل ، والديريون رجال علم وعمل .
وقد ضاقت عليهم ارضهم فهبوا الى المهاجرة طلباً للرزق ولكن الديري بها طال
بعده عن بلدته فهو لا ينفك يحزن اليها ويستكف ان ينتسب الى سواها
وفي الدير جامع قديم يرجع عهده الى ايام المعينين . ولا تزال مآذنته تتناطح
برأسها السحاب . والديريون يعتنون به كثيراً فارضه ابداً نظيفة وسطوحه
مرصوفة واذا تزل عليها الثلج في الشتاء ارسلوا من يحرقه عنها
وكانت الحكومة قبل الحرب مخصصة لهذا الجامع شيخاً يقيم فيه الصلوات
كل نهار جمعة ولا يزال الديري يذكر بلده عندهما كان يستيقظ في الصباح على
صوت المؤذن الجميل وهو يصيح : الله اكبر ! الله اكبر ! . .
وموقع الدير الطبيعي يجعلها في الصف الاول من المصايف اللبنانية سواء
في طيب مناخها وعذوبة مائها او في تنسيق شوارعها وترتيب فنادقها وسائر
بناياتها اضاف الى ذلك ما يحيط بها من المناظر الخلابة والمتنزهات الشائقة
وقد نظرت اليها الحكومة اخيراً فأقرتها مركزاً رسمياً للاصطياف .
واخذ المصطافون يقبلون عليها افواجا من مصر والعراق بعد ما تبينوا ما فيها من
رخص المعيشة ، وراقتهم اخلاق اهاليها وحسن وفادتهم واكرامهم للضيف
ومن المتوقع ان يزدهر موسم الاصطياف في الدير فتبلغ مستواها الحقيقي
بين مصايف لبنان الممتازة

الانشاء

« بقلم الشيخ خليل اليازجي »

الانشاء ملكة راسخة في النفس يعين عليها سلامة الذوق وطول المزاولة
والناس فيها طبقات متفاوتة مرجعها في الاكثر الى بداهة الخاطر وذكا البصرة
وغزارة السادة . وله احكام اذا راعاها المجيد نبغ فيه واذا راعاها الضيف
استأنس بها فاعانته على الجوي فيه . وقبل البحث في تلك الاحكام يحسن ان

نجد لها بما تجمل به مفصلاتها او لشرح متونها فنقول :

لا ينبغي ان كل مجموع انما يتألف من مفردات . وان بين كل مفرد وآخر في ذلك المجموع نسبة ما ، وتلك النسبة لا بد ان تكون اما موافقة او مخالفة وعلى هاتين النسبتين ترتب حالة المجموع من حيث حسنه وقبحه وتلاوّمه وتنافره ونحو ذلك من حالاته . واطهر ما يمثل به على ذلك الالوان فانه قد يكون بين يديك رقتان ملونتان بالوان واحدة فتستحسن احدهما على الاخرى وليس ثم من سبب الا التلاوّم بين الوان الاولى والتنافر بين الوان الثانية . وبين ترى رقعة اخرى فتقول لو وضع مكان هذا اللون منها اللون الثلاني لكان أليق او لزال عيبها . وقس على ذلك الاصوات الموسيقية والطعوم وسائر المركبات على الاطلاق . اذن فآية الاحكام في كل مركب انما هي الملاءمة بين مفرداتها وانما ذلك من قبيل وضع الشيء في محله

ثم ان لكل مفرد في المركب فضلاً عما له من الاعتبار النسبي اعتباراً آخر ذاتياً من حيث حسنه وقبحه ينظر فيه اليه مجرداً . ففي استوى المفرد حسنه الذاتي ثم قرن بما يتلاءم واياه فهناك غاية الكمال في المركب وتقام الاحكام اذا عرفت هذا وعرفت ان العبارة انما هي مجموع مفردات الكلمات عرفت ان حسن العبارة وطلاوتها مترتبان على التلاوّم بين كلماتها بعد اسنياف تلك الكلمات حقها من الفصاحة على ما هو مقرر في علم البيان وتبين لك وجه الانشاء من اين يتأتى وهان عليك ان تعرف سبب ضعفه وقوته وصحته وفساده . ولكن بقي عليك ان تعرف موضع الحسن والتبجح منه وتعيين محل الصحة والفساد فيه وما يتلاءم وما يتنافر من الكلمات . وهي عاية حيدة المثال صعبة المسلك موكولة الى الذوق . واحسن وسيلة لاقتباس هذه المعرفة دراسة اسفار الكتبة المجيدين ومطالعة انفاس البلغاء والاقتهاد بهم والتحدي لهم على ما سيأتي ذكره

فاذا وضع الكاتب نفسه من الكتابة موضع المصور من التصوير علم ان اول ما ينبغي له ان يراعيه في كلامه انما هو حسن اختيار المفردات على ما رسمه

علماء البيان بان تكون سلسة على السمع سهلة على اللسان مستوفية احكامها
 المقوية والنحوية والبيانية وغيرها . وان لا ينحو نحو الكلم المهجورة الغريبة
 الا اذا اضطر الى ذلك للافتقار اليها ويتقرب عليه حينئذ ان يضعها موضعاً
 لا يشكل جملها فيه بالمعنى ولا يقف دونه . وذلك يتم بان تشفع بمرادف لها
 او تنصب قرينة في العبارة تدل عليها او تكون كالفكرة لها . وهو استعمال
 يتخيره بعض الكتبة يقصده ادراج كلمة ضمن الكلام المستعمل للاحتياج
 اليها او لحسن وقعها فيشفعها بما ذكرنا من الدلائل على معاشها فلا يحتاج قارئها الى
 التفتيش عنها لتفسيرها فيستفيد منها في اثناء العبارة غنية باردة ويكون في المقالة
 المدرجة تلك الكلمات فيها فائدة اخرى لغوية غير المقصود من المقالة وردت عفواً
 في عرض الكلام . وهي طريقة حسنة في الكتابة وسيلة قوية لتقل مفردات
 اللغة المتقنة اليها من بطون الصحف الى رؤوس الاقلام واطراف الالسنه تومياً
 لتطابق اللغة المستعملة عند الكتاب وتحسيناً للكلام وتزييناً له بما في تلك الالفاظ
 من الطلاوة التي اقلها طلاوة الحديد وترفعاً عن الرطانة بالكلم الاعجية لمعان
 ومسميات حديثة او قديمة يظن ان اللغة قد خلت عن الفاظها وهي مشحونة بها
 كالبحر يقذف بالرمال وانما أبقى اللآلئ ضمنه للفائض
 ومتى أعد الكاتب ليه من المفردات ما يعدّه الباقي من الحجارة المنتقاة
 للبناء مما استوفى هذه الشرائط اخذ في الجمع بين تلك المفردات والملائمة لها بحيث
 لا يقع بينها ما يقع بين حروف في الكلمة من التنافر او غيره مما مرّ لان منزلة
 الكلمات من العبارة منزلة الحروف من الكلمة فلا بد ان يراعى هنا ما
 يراعى هناك

ومتى انتهى الى العبارات عمد لها فتدبرها تدبر المفردات بان يزين ضعيفها
 وقويها ومبتذلها وغريبها فلم يتخير الوجوه المربوطة من التراكيب ولا الضعيفة
 من الاساليب وتجنب اعادة الكلمة المفردة بعينها في العبارات المتجاورة الا
 لنكتة كالتأكيد . وتكرار صورة واحدة من التعبير في اثناء الكلام على ماسر
 جواهر الثالث ١٩

فلا بد له حينئذ من حفظ كثير من مترادفات التبعيرات ومتشابهات الصور مع تناثر اللفظ والتركيب نظير حفظه من المفردات ولكي يستخدمها فضلاً عن ذلك فيما تقتضيه بعض مقاماته عند الاطئاب والاسباب وتعزيز الكلام وتقويته

ومن الاحكام اللفظية ان يعتمد الكاتب السهولة في التعبير ولا يميل فيه الى جهة الاغراب والتعقيد اعتقاداً انه انما يترفع بنفسه عن اتباع الوجوه المألوفة والاساليب المتعارفة ارادةً ان يتتبع طرقاً من الكلام يحشد بها لنفسه لان السهولة مع الاجادة خير من الاغراب وبينه وبين الاحسان مراحل . وافضل طريقة لتسهيل العبارات واسلوب الكلام ان يتصور الكاتب نفسه يتحدث بما يريد ان يكتبه ويتبع نسق حديثه الطبيعي واسلوبه لا يحيد عنه الا عندما تدعو الى ذلك آداب اللغة الفصحى . فيأتي الكلام حينئذ طبيعياً مألوفاً لا تتبعه الاسماع ولا تنفر منه الطباع . وهذا الامر شديد الاهمية كثير الوقوع ، فاناً كثيراً ما نقرأ لبعض الكتبة قصة او حديثاً نكون قد سمعناه منه يتحدث به فتشنى لو كتبه كما نطق به ولو كان باللغة العامية طمعاً في حسن اسلوبه وطلاوته وفراراً من التعقيد والتشويش حتى يحاول ذلك بعض الاحيان دون فهم المعنى

ولا بد للكاتب قبل بري قلمه وإلقاء دواته من ان يترشع للكتابة زمناً طويلاً يصرفه في مطالعة كتب المنشئين البلاء كالحافظ وابن المقفع والبدیع والحوارزمي وابن خلدون وغيرهم ، ويكثر من هذه المطالعات وامثالها حتى تنطبع فيه ملكتهم ويقوى على تقديمهم ومحاكمتهم فيعتمد حفظ اساليبهم في ضروب التعبير ارادةً ان يستخدم نسق عباراتهم فيما لديه من الكلام لا ان يستخدمها هي بعينها كما يترجم البعض . ولا يحسب ان في ذلك وضاً منه او خطأ لمقامه فان الكاتب مهما ارتفعت منزلته من البلاغة واتسع صدره في مجال الكلام ليعجز عن اختلاق التراكيب الجديدة واستنباط الاساليب المتكررة آتياً بغير ما اتى به الاولون من ارباب الاقلام الذين قناهوا البلاغة وضروها والبراعة وطرقها فلم يفادروا ثم من متردم . ولا يعد أتباعهم في هذا والانتقام

بهم سرقة والا كان اكثر الكثرة لصوحاً خطافين لان الكلام كاللباس للمعاني والصور منها كثرت لا تزال قليلة بازا. المعاني . ولا بد للكاتب ايضاً من حفظ الكثير من الشعر ولا سيما ما يجري منه مجرى المثل وما يحتاج اليه في مواطن الكلام فان لذلك منافع جمّة للكاتب من تزيين كلامه وتقويته حتى لقد بقي الكلام ناقصاً ضعيفاً مهما اجتهدت في اتمامه وتقويته حتى تشفعه بيت من الشعر يحمل به مفصله او يفصل مجمله او يضرب مثلاً عليه او شاهداً له ونحو ذلك . ومن الكتاب من كان اذا بلغ من الكلام الى حيث يحتاج فيه الى ايراد شيء من الشعر على سبيل الاستشهاد او غيره مما مر ولم يجد في محفوظه ما يناسب المقام ينظم له من عنده ما يتشبه به مخرجاً اياه اخراج كلام مقول . ولذلك فائدة اخرى وهي ما يسمى عندهم بحل المظوم وهو ان يعتمد الكاتب الى البيت من الشعر فيحمله الى نثر ويدججه في كلامه تفتناً في الكلام وتزييناً له . وهي طريقة كثير من كبراء قول الكتاب كابن زيدون والبديع وغيرها

وبقي امر ينظر فيه الى الكلام على العموم وهو ان يكون طباق قولهم لكل مقام مقال . فمن المعلوم ان الكلام طبقات بعضها فوق بعض فينبغي ان يخاطب كل بالطبقة التي تليق به وان يختار لكل معنى من الكلام طبقة كذلك . فتنى خطوب العلماء من اهل العربية والمتأنفون من ارباب الترسل وفحول الانشاء . وجب ان يختار في خطابهم الكلام الجزل والاساليب البليغة والفاظ المنسق بالاستعارات والكنايات وسائر فنون المجاز . وكذلك اذا كان الكلام في معنى شريف يقصد فيه المبالغة والتزيين كالمدح والتأبين ووصف العظمة والابهة والنصر وغير ذلك مما يذهب فيه مذهب الشعر . ومن هذا القبيل الخطب التي تصدر بها بعض التصانيف الانيقة وانشاء المقامات واشباهها . ومتى خطوب عامة الناس والاميون منهم خاصة وجب ان تختار الالفاظ المألوسة والاساليب السهلة والتراكيب المشهورة وذلك كما في المواظ والخطب العمومية والاخبار السياسية واشباهها ، ولا بد في مثل هذا من اجتناب الاليجاز والتعقيد والالتزام الحقيقة دون المجاز

والاستعارة الا في ما اشتهر امره وصار بديهي الفهم . واذا لم يكن الافهام الا
باللفظ المبثذل فهو خير في مثل هذه الحال من الفصيح والا فالفصيح اولى
وبما يلحق بذلك ان يطابق الكتاب بين المعاني والالفاظ من حيث الالطاب
والايجاز والحقيقة والمجاز ويتخير الالفاظ الرقيقة والجزلة فيعطى لكل معنى ما
يصلح له من ذلك على ما نص عليه علماء البيان وجرت عليه فحول الكلام الى
غير ذلك مما لا تحيط به قاعدة ولا يقع تحت قانون لتشعب مسالكه وتفاوت
وجوهه . ومرجعه اخيراً الى الذوق السليم وهو الحاكم في اكثر القضايا
والله اعلم
(عن مجلة الطبيب)

احكام الترجمة

« لجرجي شاهين عليه »

قد يظن البعض من المشتغلين بالآداب ان الترجمة ليست بالشيء الكبير اذ ليس
للمجد فيها فضيلة ابداع ولا مزية اختراع وانما مما يقوى عليه كل من عرف شيئاً
من لغات الاجانب وطالع جانباً من قواعد لغته وأصولها . وليس لهذا القول حظ
من الصواب ولا يقوله الا كل من يأخذ الامور بظواهرها ولا يتدبر الفرق بين
جيدها وقبيحها . بل ان من تصر في ترجمات فحول المعربين وفي غيرها مما يجي . به
المطفالون على هذه الصناعة ثم قابل كل فرع منها باصله ونظر مقام الفروع من
الاصول عرف ان المسألة ذات بال وفهم ان التأليف هو اسهل مركباً وادنى مطلباً
في كثير من المواضع من التقريب الذي يلزم معانيه ان يجي . بكلامه مطابقاً
للاصل في اللغة المنقول عنها . وواقعاً لذوق اهل اللغة المنقول اليها . فان اكل
قوم مذاهب في النول واذواقاً في الانتشاء يختلفون بها عن سواهم . ومن هنا يتبين
البعد بين الامرين لان المؤلف اذا زلّ فزله له وعليه واما المعرب فزله يلطخ
بالجريرة من هو بريء منها

وقد كثّر المشتغلون بالترجمة في هذا العصر لشدة حاجتنا اليها ولكن المجيدين منهم نفر قليل وليس هذا الامر بغريب اذا اعتبرنا ان اكثر المترجمين قد تكون بضاعتهم من العربية وآدابها مزجأة . وما يزيد في الطين بلة تسرعهم وعدم تدقيتهم في كثير من الاحيان . ونحن الآن مفتقرون كل الافتقار الى ان نأخذ من الاجانب علومهم وادابهم ونترجم عن لغاتهم ما تنقص عنه لغتنا وليس في ذلك عار علينا بل العار كل العار اذا وقفنا على ما نحن عليه الان واستغنيا وما نحن في غنى . ولكنني رأيت كثيرين يشكون من اغلب الكتب المترجمة قائلين ان في بعضها من التعابير ما لا يفهم له معنى قطعاً وان كثيراً منها ركيك يفسد ملكة القارى . وعلى ذلك فالفائدة من نقل الشيء بعد اضاعه رونقه وتشويهه وامن هذا من شروط الامانة التي تقضي بالمحافظة على المنقول واتزاله بمثل المترلة التي له عند اهله . وللترجمة احكام ينبغي مراعاتها والجري عليها وعلى المشتغل بها ان يكون مطلعاً على قواعد اللغة بارعاً في الانشاء والا فيكون مثله مثل التردد الذي اراد ان يري البهايم الفانوس السحري فأنى بالصور وكل ما يلزم من الادوات ولكنه نسي اهم شيء . وهو ائارة فانوسه

وقد ذهب كثيرون وفي جملتهم سعيد بن بطريق (وهو البطريرك الاسكندري افثيشيوس) الى ان الترجمة يجب ان تكون بالحرف ورأى غيرهم ان وجوب التقديم والتأخير فيها والتصرف بحسب ما يقتضيه المقام . والاحسن ان لا يبيح لنفسه التصرف بشركات افكار غيره لانه ليس بتمام المؤلف ولا ان يقتيد نفسه بالاصل بمعنى انه يبقى التعابير على ما هي اولاً بل عليه ان يحافظ على الافكار المقصودة ويبرزها في قوالب عربية وذلك ما نقرأ العبارة الاجنبية ويفهم معناها ثم يأخذ المعنى ويكتبه بعبارة فصيحة من عنده وعلى هذه الطريقة يأتي الكلام وليس عليه اثر للجمجمة . وقد جمعت عدة ملاحظات تنقيد مراعاتها في الترجمة واني اسردها هنا حياً بالفائدة :

١- ان كثيراً من التشابه والاستعارات والكتابات مما يكون في انتمه

بليغاً اذا عربته بلفظه جاء بارداً مستهجنًا فعليك ان تبدله بغيره من تشبيه او استعارة او كناية يتوب منابه في تأدية المغزى المراد

٢- ان الاجانب لقلّة المترادفات عندهم يضطرون الى اعادة الكلمة مراراً كثيرة فتجنب متابعتهم في هذا الطريق وعلى الخصوص لان استعمال الضائر مباح عندنا اكثر مما هو مباح عندهم ولان عندنا للكلمة الواحدة من المترادفات ما لا تراه في لغة اخرى

٣- استعمل القيود في مواضعها وان خلت من مثلها اللغات الاجنبية فانهم يقولون مثلاً مجلس يمتلي ١ وكأس ممتلئة وطرف يمتلي الخ . ونحن نقول مجلس خاص وكأس دهاق وطرف مفروق بتخصيص كلمة لكل باب

٤- اذا كنت في مقام قصص وسرد وقائع واستنسبت حذف بعض الجمل او تقديم بعضها وتأخير الآخر فلا بأس من ذلك على شرط ألا يختل المعنى بل قد يمكن لك ايراد القصة بقلب غير قالبها الاصلي اذا رأيت في ذلك ما يكون اشدّ وقفاً في النفس

٥- ان كثيراً من الالفاظ تتغير مرادفاتها في العربية بتغير الموضع التي تقع فيها . مثلاً كلمة *Personne* الافرنية معناها شخص و *chose* معناها شيء . الا اننا اذا جمعنا الكلمتين فلا نقدر ان نترجمها بالاشخاص والاشياء كما فعل البعض (راجع القرامطيق الفرنساوي والعربي طبع الاما . اليسوعيين) وذلك لان كلمة *Personne* عندئذ يراد بها ما يعقل وكلمة *chose* ما لا يعقل . امّا الشخص فعناه اللحم الذي له مشخص او حسية (الكليات) فهو يعم ايضاً ما لا يعقل . وعلى ذلك قول المتنبي :

صائمٌ يابواب القباب حياهم واشخاصها في قلب خائفها تعدو

فاستعملها للحياد وهي مما لا يعقل . وبناء عليه لا تصح ترجمة *Personne* هنا بشخص . ومثلاً *chose* لا تصح ترجمتها بشيء لان الشيء هو ما يصح ان يعلم او يشهد عنه يشمل الوجود والمردوم ممكناً او محالاً قديماً او حديثاً « عاقلاً او

غير عاقل « فهو أعمم العام كما ان الله اخص الخاص ولذلك يقال في امثالهم انكر من شيء . فيجب ان تُترجم هاتان الكلمتان بالعاقل وغير العاقل . وامثال ذلك كثيرة في كلامهم فانتبه اليها

٦- ان كثيراً من العبارات تكون خاصة بلمة من اللغات اي انها تكون مما جرى فيها مثلاً او مما يؤخذ بمعنى المجاز ومثل هذه لا يمكن ترجمتها بالحرف بل يذكر المعنى المقصود بها ضمناً . وقرأت منذ مدة ترجمة قصة السنديانة وفيها ان الصفاة أذمنت لقوة الريح *et ne lui a nullement donné prise* (اي ولم تتعرض لصدماها) فوجدت الترجمة العربية هكذا : « ولم تعطها قبضاً عليها » وهي الترجمة الحرفية للمادة الفرنسية ولكنها لا يفهم المراد منها قطعياً والصحيح ان هذا التعبير مأخوذ بقول المجاز والمراد بها انها لم تتعرض لصدما الرياح كما ذكرنا فانظر الفرق بين هذا المعنى وتلك الترجمة . ويقرب من هذا ما نشاهده غالباً في بعض الجرائد مع انه يمكن المترجم اجتنابه بالتروي ومراجعة المعجم

٧- قد يكون لبعض الكلمات معانٍ كثيرة تختلف باختلاف المواضع فاحذر ان تضع المعنى الواحد منها مكان الآخر . فكثيراً ما يترجم الكتاب كاحه بمرادف لا يصلح لها في ذلك المقام فيختل المعنى وتضطرب سلسلة الانشاء . وقد قرأت منذ مدة غير بعيدة في احدى الجرائد تلغرافاً من شنغاي هذا هو بنصه « يزداد سكان الولايات الجنوبية بغضاً للجانب ويتنبأون هنا بمحدث انفجار عظيم في آخر هذا الشهر » اهـ . ولا معنى للانفجار هنا وان هو الا تمزق من الاتجاز وطلم من الطلسم . على ان الكلمة التي ترجمت بالانفجار تفيد ايضاً « الثورة والهاياج » فلو وضعت احدى هاتين الكلمتين لاستقام المعنى وصحت الترجمة

٨- لا تترجم شيئاً دون ان تكون على بينة من حقيقة معناه واذا التبس عليك فهم فقرة فلا تحاول ترجمتها بما يمكنك تأويلها به لانك بذلك قد ترتكب عاطلاً فاحشاً وتنسب الى الواضع ما هو براء من وصته . كما وقع في ترجمة بردة

العارف البوصيري الى اللغة الفرنسية في كثير من المواضع - منها ما جاء في ترجمة هذا البيت :

كالزهر في ترف والبدر في شرف . والبحر في كرم والدهر في همم
فان المترجم قال :

Comme . . . la lune dans son plein . la mer dans son immensité
et le siècle dans ses soucis

فجعل الشرف وقت تمام البدر . والكرم الاتساع . والهمم المهوم . وهو تفسير غريب في بابه

هذا قليل مما يمكن ايراده من الملاحظات في هذا الموضوع وبقي علينا انه لما كان المعنى الواحد يمكن ابرازه بصور وهيئات متعددة بعضها اوضح من بعض تعين على الكاتب ان يختار من تلك الصور ما كان ابلغها وقمًا واسدًا تركيبيًا ، فانك كثيرًا ما تقرأ فصلاً معرباً فتتفر منه نفسك لما تراه في عبارته من الركاكة ثم تراجع في اصله فتجد الفرق بين النسختين كالفرق بين الثريا والثرى . والافكار السامية اذا أبرزت بتعابير ركيكة ناقصة المدلول تفقد قيمتها وتضيع فائدتها وتكون كأمد يظهر باثواب رثة وهيئة زرية فتدول عنه دلائل رتبته ويصير مجلبة لاحتقار الناظرين اليه وهذا شأن كثير من الكتب الجليلة التي عريت تعريباً سقيفاً فأعرض عنها الناس وربما نسبوا عيبها الى مؤلفها يزعم ان المترجم نقلها كما هي وما كان عليه ان يصححها ويكسبها رونقاً من عنده . وأغرب من هذا كله ان جماعة من المشتغلين بالترجمة يدعون ان ما يلفقونه من التراكيب غير العربية لهو من محاسن الانشاء الافرنجي التي تفتقر اليه لغتنا ، ومن ثم صاروا يتزغون بها كلما كتبوا جملة وخاضوا في موضوع . وفاتهم ان اللغة فيها من اساليب التسيير ووجوه الكلام ماتضيق به على سعتها عن قبول ما يدخله فيها امثال هؤلاء «النيولوجيين» وان الفائدة انما تقوم بنقل علوم القوم وآدابهم الى لغتنا لا بتشويه محاسنها ببعض عبارات سخيغة تزيد ان نكمل بها نقص اصح اللغات ولا يخفى ان اكثر الكتب

المتداولة بين ايدي الناس في هذه الايام هي مما يعرّب عن الافرنج ناهيك عن الجرائد السياسية والمجلات العلمية والادبية التي اكثر ما فيها منقول عنهم وفي بعضها من التراكيب البعيدة عن مواطن الفصاحة ما ياباه الذوق بل هو مما يفسد ملكة القراء ويكون مزلّة لهم ، وربّ قرارة تسهتت قرارا ، فاذا لم ينتبه كتابنا الى هذا الامر فشا الخطأ وعمّ الخلل وصار من الصعب اصلاحه .

من خطاب الى السوريين في اميركا

« لداود افندي يرككت »

يا ايها السوري الذي هجر دني لبنان وارباضه ، وريوح سوريا ومراتمها ، الى بلد انزل الله عليه الخير والنعمة طلباً لتلك النعمة وذلك الخير ، وعلى قلوب اهله النشاط والحرية والهمة والعلم والمدنية تطلباً لتلك الصنات الجميلة والحلال الحميدة . يحبك اليوم من هاجر هجرتك واغترب غربتك ويعد اليك من فوق البحار يد الاخاء يحشها لمصالحك توقان اليك هو توقان الى نفسه ، وغيره عليك هي غيرته على ذاته ، وشغف بك هو شغف بجماله . يوقب في الرقي والنجاح خطواتك كما يوقب خطواته ، ويسير في مصر الهويتنا الى مراي آاله الكبار ومنازع نفسه ليل نهار . وعين منه الى طريق افلاحه واخرى الى منهج اخيه في العالم الجديد في سبيل نجاحه . فاذا كنا على صلة ما وعلاقة بالتجارة والصناعة والجمعيات والحياة المشتركة فان لنا في تلك الارض التي هجرناها والبلاد التي انبتتنا فاحببناها عروة وثقى تربط متفرقتنا وتجمع شملتنا بل مرحماً واحداً يجمع شتاتنا ويوحد امانيتنا ، فاذا تداعى منا عضو في بلد من بلاد الله او في قطر من اقطار اليابسة تداعت له سائر الاعضاء . فعين تدمع في اطراف اميركا تدمع لها كل عين في سوريا ومصر بل في كل قارة ويبس من العالم حيث يقيم السوري او يتول . وثغر يبسم في فيافي السودان تبسم اه تفرر اخوانه في كل مكان . فاذا ما اتيج لنا ان نتناجي على صفحات الصحف وليس لنا وسيلة للمناجاة

غيرها اطلقنا هذا القلم الضئيل يحدث اخواناً بما تكن الصدور وتسر النفوس
وتخفي الضائر

اخواننا المهاجرين تركتم بلاداً انبتكم الى بلاد آوتكم فاذا كان للثانية
فضل المضيف فان للاولى فضل المنبت الوالد والمربي المحب . ولقد كنتم برة
بتلك الام التي رضعتم افوايق اخلاقها وآدابها فتحتموها بشمرة ايديكم وجنى
نشاطكم واقدامكم فصارت سوريا على شيء من الثروة والغنى اذا لم تحسدها
سائر الاقطار فانها هي ذاتها تقبض نفسها بين جابت ارجلهم كل ارض تشرق
عليها الشمس بل ان الشمس لا تشرق الان على ارض ليس فيها سوري حتى صار
من حقوق سوريا اذا رأيت سحابة في الافق ان تقول لها امطري حيث شئت فان
لي من نتائج خيرك نصيباً بفضل ابنائي . لكن هذه البطة تشفق ان تكون ذات
يوم عصاة اذ تخضع قوة بلادنا المهاجرة ارضنا وتشكرنا سلاله تلك القوة ان لم
تعرفها ولم تعرفنا ومن لا يعرف شيئاً كيف يجب

اجل ان سوريا تشفق منذ الآن من ذلك اليوم العسير الذي يصيبها فهل
ترونها يا ابتاءها الذين تحبونها ان تكفوها مؤونة ذلك اليوم الذي تقف فيه
ناظرة الى مئات الالوف من خيرة ابتائها وقد هجروها بتاتاً ونسوها نسباً تاماً ولم
تعرفها سلاتهم

الا ان سوريا حقاً تطالبهم به منذ الآن . فاسمعوا صوتها الصارخ ولبوا
نداءها العالي ، وثقوا انه لا يجتمع الآن سوريان حتى يتعاهدتا باخوانهما المهاجرين
ومآلهم . فاذا كانت الصحافة بينكم قد خلقت لكم جامعة وذكركم بايام
الصبا ومراتقه وجمال لبنان وبهجة دمشق ورواء حلب وخصب حمص وكوم
الاهل ومحبة الاوطان فهل يكون ابناؤكم مثلكم وهم لم يتعلموا لغتكم ولم
يذوقوا لذة بلادكم ولم تنطبع على قلوبهم وادبهم محبة ارضكم . سائلوا ايها
الاخوان انفسكم معنا واحيروا الجواب الذي يرضينا ويرضيكم احيروا هذا
الجواب المرضي بانشاء المدارس التي تعلم ابناؤكم لغتكم وتاريخ بلادكم واحفظوا

لأولئك الأبناء تلك الجنسية الشينة لأنها لا تضر بكم في دار هجرتكم وهي
تفنعنا وتنفعكم لأنها تحفظكم لنا وتحفظنا لكم ، ولأن لبلادكم مستقبلاً
زاهراً كثر ثبُّ إليه الاعتاق منذ اليوم فأنتم أحق به من كل مهاجر ، لأن السكك
الحديدية بدأت بتقريب الأبعاد وتقصير المسافات وتعمير الأراضي الخصبة التي
لا نظير لها في الحصب والجودة في سائر المعمور . فقد باتت حلب على مسافة يوم
من بيروت ، وغداً تثبت الأناضول على مسيرة يوم منها ، وبعد غد تصير سهول
العراق ومعادن تدمر ومنابع الزيت في ديار بكر على مقربة من أطراف سوريا
بل إن سوريا ستكون غداً ما كانته قديماً طريق الشرق إلى الغرب وطريق الغرب إلى
الشرق . وهذا الغد غير بعيد نود أن نراكم فيه معنا بما نعرفه فيكم من النشاط وبما عندكم
من رؤوس الأموال فتعمرون أرضكم البائرة الجميلة حيث تجدون العزة التي
لا تجدونها في الغربة مهما علا شأنكم وكبرت ثروتكم لأن الغريب كالفرسة
تقلع من منبتها

اللغة والتوسع في الاستعمال

« من مقالة للشيخ محي الدين الحياط »

... ثم لا بد لنا هنا من التنبيه على امر ذي مال وهو ان اللغة العربية لا تحيا
الحياة الطيبة ولا تنتشر انتشاراً واسعاً في هذا العصر الا باستعمالها دون اعنات ولا
تضييق على الوجه الذي اتصل بنا من انتائها الاولين، تقبل الدخيل فتعربه وتعهده
منها وتتصرف به وتتوسع في المجاز والاستعمال كما توسع أبناؤها الاصليون بشرط
ان تكون خالصة من شين اللحن ورتاتة الاسلوب وان تتجافى عن التفرع في انتقاء
الاتفاظ الحوشية القلقة المهجورة وان تبتعد عن الاعراب او « المعازلة » على رأي
البيانين في التركيب وان لا يسرع المشتغلون بها الى اعتقاد الخطأ في ما يترأى
لهم انه مخالف لما تعلموه من الرسوم او القواعد التي وضعها الواضعون على حسب
ما اتصل بهم من كلام ابناء اللغة الاولين اذ الناقد البصير يعلم ان تلك الرسوم

او القواعد غير ضابطة وغير مستقصية لانه لم يتصل بوضعها الا القليل من كلام
أبناء اللغة الاولين كما حققه المحققون وما اتصل اليهم مما خالف تلك الرسوم سموه
شاذاً ثم لم يميزوا ان يقاس عليه .

الدخيل

ترى بعض الكتبة او الشعراء يأبى او يأنف من استعمال الدخيل الذي له
مرادف في العربية ولم يعلم ان القرآن الكريم نفسه استعمل الدخيل مع وجود
المرادف له وقد نسج على منواله جميع كتاب العربية وشعراتها بلا استثناء ، او
لعل اكثرهم يخفى عليه ما استعمله والا فأى لفظ دخيل يتعذر وضع مرادف له .
لكن التذرع الى المرادف قد يفضي بعض الاحيان الى الاعنات فضلاً عن ان
الدخيل مما يزيد في ثروة اللغة ولا يجعلها ضمن دائرة مفرعة الحلقات وان كانت
هي من اغنى اللغات . وذلك الآن هو شأن اللغات الحية التي تقبل كل دخيل ،
على انها ان لم تقبله اختياراً فقد قبلته وستقبله اضطراراً جرياً على الباموس
الطبيعي العام .

ولو بعث الله روح الشهاب الحفاجي (صاحب شفاء القليل فيما في كلام العرب
من الدخيل وصاحب الانتقاد على درة النواص) الى عالم الاحياء ورأى الالفاظ
العصرية التي أوجدها العلم المصري الحاضر واطلع على تطور أساليب الكتابة
وتوسع الكتبة في الاستعمال لضم الى كتابه الشفاء عدة كتب مؤلفة من ألقاظ
الفوتوغراف والفونوغراف والسفراف والتفراف والقاز والاقوميل والباليون
والوايود والوف من أسماء الآلات الميكانيكية وسائر ما اخترع في هذا العصر
وعد من ابتكار افكار ابنائه . ولزاد على انتقاده تلك الدرة درة النواص درراً
ناصعة بالمجاز لامة بالقياس والتوسع في الاستعمال .

اللغة العربية واللغات الاوروبية

« من مقالة لجبر ضومط »

اللغات الاوروبية لاول امرها

كانت مدارس الاندلس العربية في بان عزها بالنسبة الى بلدان اوربا كمدارس اوربا واميركا اليوم الى البلدان العربية في آسيا وافريقيا . وكانت اللغة العربية لغة العلم وعنها يترجون . ولكن لغات القوم حتى ارقاها لم تكن تقوى على ان يؤلف فيها ولذلك كان علماءهم وادباءهم يعتمدون على اللاتينية ويؤلفون فيها . والذي في ذهني ان العلامة نيوتن الانكليزي كتب كسبه العلمية في اللاتينية لاني الانكليزية في اواسط الجيل السادس عشر او في اوائله بدأت النهضة الاوروبية الحالية واخذ الكتاب الفرنسيون والانكليز والجرمان يضعون الكتب في لغاتهم او يترجون اليها ما في خزائن اللغتين اليونانية واللاتينية . فاخذت هذه تتدرج في اتساعها وغناها شيئاً فشيئاً حتى بلغت ما بلغت بعد نهضة استمرت في سيرها الى الآن من غير ان تقف نحواً من اربعمئة سنة ونيف اي منذ اكتشفت اميركا الى اليوم ولا تزال حركة هذه النهضة على مثل ما كانت عليه بل هي اليوم على اسرع ما بلغت من السرعة واطوع ما بلغت من الاتساع

قلت ان القوم اي علماءهم وادباءهم كانوا يكتبون ويؤلفون في اللغة اللاتينية حتى القرن السادس عشر ثم منذ حينئذ صارت مؤلفاتهم وكتاباتهم في لغاتهم الا ما قل منها فاخذت تلك اللغات تزداد توسعاً وارتقاء حتى بلغت ما بلغت الان . وكانت تنظر في بدء نهضتها تلك الى العربية وتحسدها على غناها وجمالها فاصبحت اليوم وقد انقلب بنا الحال فاصبح من كان حامداً محمداً ومن كان غنياً فقيراً وبالعكس

ولا بد لي من ان اشير الى ان النهضة الاوروبية الاخيرة كان سببها نهضة قبلها وهي

نهضة الاجيال المتوسطة وكان بدء هذه النهضة الاولى رجوع الملوك والامراء الصليبيين من الشرق ولا سيما من سوريا وفلسطين مغولين مقهورين والذي احب الاشارة اليه تلميحا هو ان الاوربيين منذ ايام الغزوات الصليبية الاولى وابتداء فشلهم فيها انتبهوا لانفسهم فرأوا ما هم فيه من الجهل والانحطاط بالنسبة الى الممالك الاسلامية في الشام ومصر وأخذوا في تلافي امرهم فبدأوا بإنشاء المدارس الكلية والجامعة ورجع عهد بعض تلك المدارس في فرنسا وجرمانيا الى اواخر ايام الحروب الصليبية . وكان الذين يرجعون الى اوطانهم الغربية من الشرق يحملون معهم افكاراً جديدة ومبادئ جديدة وبالأجمال يحملون مبدأ نهضة فكرية اجتماعية دينية كانت سبباً في زعزعة ثقتهم بالحالة التي كانوا فيها وبالعلم والآداب الدينية والاجتماعية التي كانوا يدونها كالوحي المتزل لا يجوز لهم الخروج عنها او تعديلها بوجه من الوجوه . فلم يأت الجيل السادس عشر حتى كانوا تشربوا افكار الشرقيين وعلوم الشرقيين أعني العرب في الشام ومصر وفي مستعمراتهم في اسانيا وفي العدو المقاتلة لها في افريقيا . وتم لهم في بدء ذلك القرن امران الاول غلبتهم على التفوق الشرقي العربي باستيلائهم على الاندلس كلها وإبعاد العرب عنها لم يبق فيها منهم الا من انتحل النصرانية . وهذا وان كان من الامة بمكان عظيم الا ان الامر الثاني وهو اكتشاف اميركا واكتشاف طريق رأس الرجا الصالح كان اهم من الغلبة على العرب في الاندلس وطردهم منها

سبب أهمية التغلب على الاندلس واكتشاف اميركا

وطريق رأس الرجا الصالح

الانقلاب كما لا يخفى ذل والقلبة عز . الانقلاب يدعو الى الخذل وقصر المطامع والرضا بالحاصل ، مهما كان ، خوفاً من الصيرورة الى ما هو ادنى وادهى والقلبة تدعو الى عكس ذلك كله . ان طرد العرب من الاندلس كان بمثابة احساس لاوربا بالثلب ، وأما اكتشاف اميركا فكان لاوربا غلباً ظاهراً فعلياً ،

وقد استمر لها هذا الثلب مدى ثلاثة سنة كانت في اثنائها تقايد غنى وجاهاً . وكذلك اكتشاف طريق رأس الرجا الصالح فانه ادى الى سلسلة انتصارات على شعوب افريقيا واسيا وغلبة على ممالك كان لها الثلب سياسة وتجارة وصناعة على ماسواها من الممالك . وكل هذا جعل نهضة اوربا على غر وقوة سنة بعد سنة وجيلاً بعد جيل الآن . وعلى ذلك كان الحال في الشام ومصر والعراقين وشبه جزيرة العرب قلت ما قلت لا ذكر العارفين بالتاريخ ان اوربا بدأت تستيقظ من جهلها على عقب الحروب الصليبية وامانها الضيقة فبدأت باكتشاف اميركا واكتشاف طريق رأس الرجا . واما مصر والشام والعراق فبدأ وجودها ونورها منذ ابتدأت اوربا تستيقظ واخذت بالتراجع منذ بدأت اوربا بالتقدم وقد ابتدأ تقدم اوربا وتاخرنا نحن منذ اكتشاف اميركا أي من اربع مئة سنة ونيف

اللغات تابعة ابدأ لاحوال المتكلمين بها فاذا تقدموا وسادوا تقدمت وسادت واذا تأخروا وذلوا تأخرت وذلك . بدأت اللغات الاوربية بالتقدم منذ ابتداء القرن الثالث عشر او ما قبله قليلاً فما بلغت اواخر القرن السادس عشر حتى كانت قد لصحت على مستوى لغتنا العربية في امان نهضتها وعزها او تكاد . ومنذ ذلك الحين ما زالت اللغات الاوربية في تزايد من غنى وارتقاء والعربية في تزايد كذلك ، لكن من فقر والمخطاط الى اواسط القرن الماضي فان العربية استيقظت حينئذ باستيقاظ الدولة المصرية المحمدية العلوية واستيقاظ الشاثر اللبنانية معها وساعدها في يقظتها هذه الارشاليات الكاثوليكية والروستانية بما شادته هذه الارشاليات من المدارس العالية وعن علوم فيها من نخبة ائنانها وابتاء السواحل السورية . وزاد في اتساع هذه النهضة ان اكتشافنا للمهاجرة طريق اميركا من جديد وطريق رأس الرجا الصالح ايضاً فلم نبلغ القرن العشرين حتى استردت لغتنا العربية ما كانت خسرت في زمن المخطاطها واستأنفت فوق ذلك كما اعتقد شيئاً من التقدم الذي تثبت فيه خطوات اللغات الاوربية

وها نحن الآن نحاول ان تصل العربية في قرن الى ما وصلت اليه لغات اوربا

في اربعة قرون ، على حين لا تزال اوربا سائدة ونحن مسودون ، وظافرة ونحن مظفودون (أي مظفود بنا) ومبتكرة ونحن مقلدون ، واتبوعة ونحن تابعون وعالمة بما تصنع ونحن جاهلون ، وفوق ذلك هي مطلقة ونحن مقيدون . وذلك مما لا يكون بل لا بد لنا من الزمن الكافي لتبلغ لغتنا العربية في العلوم والفنون ما بلغته الانكليزية والفرنساوية . ولولا اني أعتقد ان الاستعداد الفطري فينا وفي لغتنا العربية اقوى اجمالاً من استعداد الغربيين ولغات الغربيين قلقت انه يستحيل علينا اللحاق بهم بعد ان سبوتوا هذا السبق البين في اثناء المدة التي اشرفنا اليها الا اذا حدث من الحوادث ما أخرهم وقدمنا وفلاً من عزمهم وأرهف عزمنا وكل ذلك مما ليس في الحسبان بل ليس في أفق آمالنا ما يشير اليه .

النضال القديم بين الغرب والشرق

« بقلم انيس الحوري المقدسي »

مسألة الشرق والغرب قديمة جداً ترجع الى ما قبل التاريخ المدون . وأساسها تنازع متواصل بين شعوب اوربا وشعوب آسيا على السيادة والتجارة . فما اسفار الفينيقيين البحرية ، وما حروب الفرس واليونان والروم ، او غارات المسلمين والصليبيين وحملات الاتراك والاوربيين ، بل ما المسألة الشرقية المشهورة ، إلا حلقات من سلسلة واحدة هي ذلك النضال القديم الذي عرفته شواطئ البحر المتوسط منذ برزت من تحت المياه واصبحت صالحة للحياة

على انه لايعنى بالغرب في بحثنا الآن كل امم الغرب ولا بالشرق كل امصاره وعناصره بل يراد بالاول الشعوب السائدة المتسلطة اقتصادياً على سواها ويراد بالثاني الشرق الادنى اذ هو منشأ المدنية الروحية التي لبست دوراً مهماً في تاريخ العالم . ولكي يسهل البحث علينا في هذا الموضوع ويكون الحكم فيه اقرب الى الصواب رأينا ان نقسمه الى قسمين رئيسيين وهما :

المدنية الغربية

او المدنية الحديثة قائمة على ثلاثة اركان هي : العلم والنظام الاقتصادي وروح التعاون

فالعلم - وهو معرفة نوايس الطبيعة واستخدامها قد سهل على الانسان اسباب التقدم وفتح له ابواب النجاح . به اكتشفت مجاهل اليابسة وعرفت مسالك البحار وقبض على أعنة الكهرباء والبخار واختزلت احشاء الفضاء فاصبح الانسان سلطان الاكوان . ولا حاجة الى ذكر ما للعلم من الشأن في ترقية المجتمع البشري فذلك امر لا يحمله احد اليوم . على انه لا بد من كلمة تزيل بها بعض ما قد يعلق في اذهاننا نحن الشرقيين عند سماعنا لقطة علم . فانا لا تزال نطلقها على علانها فنقول علم الكلام وعلم اللاهوت وعلم الادب وعلم النحو كما نقول علم الهندسة وعلم الطب وعلم سلك البحار وعلم الآلات . وانما يواد بالعلم الذي هو دعامة المدنية الغربية العلم المبني على درس احوال الطبيعة وفهم نوايسها واستخدامها لفائدة الانسان . فان العلوم الكلامية مع سموها لا تحسب في المدنية الحديثة الا عوامل مساعدة لا اركان رئيسية . هذه الدول التي نراها تتعاضد وتتوسط شرقاً وغرباً قد جعلت معونها على العلم الطبيعي فاستخدمته في مصانعها ومساكنها وسخرته لجيوشها واساطيلها وجعلته عدتها في فتوحها وغزواتها . العلم الذي ينمي الثروة ويزيد قوة الانسان وياً . ل له القبات الطبيعية هو الذي يقوم عليه العمران الحديث

نعم لم تخلُ مدنية ما من شيء من العلم ولكن اية مدنية تقاس في ذلك بالمدنية الحديثة ؟ اي شعب استخدمه لسيادته ومجده وثروته كما تستخدمه الشعوب السائدة اليوم ؟ فهو مفتاح عظمتهم وبه تغلبوا على سواهم وبدونه لا تستطيع امة ان تتخلص من قبضتهم

النظام الاقتصادي - واهم اركانه المال . فهو بلا مرا - دم العمران ومجري

الحياة فيه . بل هو اهم مطلب في كل مجتمع واغزى على كل قوم . تثقل مع التاريخ في كل خطواته ورافق البشر في كل اطوارهم ، وكان العامل الاكبر في كل حركة سياسية او اجتماعية . ولكنه مع كل ذلك لم يبلغ في طور من الاطوار او في زمن من الازمان مبلغه الآن . عجل صغير من الذهب صنعه هارون لبني اسرائيل اناسهم اله موسى واسحق وابراهيم ، فما قولك بعجول الذهب المنصوبة اليوم امام الشعوب في كل مكان ! ان الهياكل التي شادها الفن قديماً للآلهة والابطال من الهياكل التي تشاد اليوم لجباية المال ! أرايت كرة صغيرة من الثلج تتدحرج على منحدر ثلجي كيف تبدأ صغيرة فلا تصل الى الحضيض حتى تكون قد اصبحت اضعاف اضعاف ما كانت عليه . هكذا المال بدأ مع التاريخ صغيراً ولكنه ما زال يتعاظم كلما تقدم نحو الاجيال المتأخرة حتى بلغ معظمه في بلاد الغرب . كل شيء الآن يقاس بالمال . كل شيء يتوقف قيمته على فائدته العملية . في اميركا اليوم نوع جديد من التلفون يفوق التسوع الاول ولكنه لم يستطع ان يحمل محله ولماذا ؟ لان النوع الاول في يد شركة قوية تقاوم النوع الجديد وتحاول القضاء عليه لئلا تخسر شيئاً من ارباحها . هكذا كل مشروع يبقى مهملاً حتى يستطيع اصحابه ان يبرهنوا لبعض ذوي المال فائدته المالية لهم . فالمال هو المرجع في المدنية الحديثة . قف في شوارع المدن الكبرى وانظر الى مجاري البشرية التي لا تنقطع وتأمل ألوف السيارات والمركبات والقطارات ذاهبة آتية في كل جهة تحت الارض وفوقها . من يرى حركة الملايين وهم يحدون في السير لا يلتفت احد الى الآخر ، من يرى هذا الزحام الهائل وهذا السعي المتواصل ولا يقف مذهولاً امام قوة المال دهشاً من شغف الناس به ؟

في الغرب كنائس غمة ومتاحف عظيمة وصحافة راقية ومدارس غنية وفتون عجيبة ولكن ما هذه امام صروح الاموال الشامخة ؟ ان القبة الرئيسية التي تتجه نحوها المدنية الحديثة ليست قبة روحية او اديية بل قبة مادية قباها من الذهب الوهاج والافلاذ هذه الصروح الشاهقة والمالم الفاخرة ، لماذا هذه الجيوش

الجرارة والاساطيل الضخمة ، ولماذا يزنون كل شيء بيزان الربح والمصلحة ؟
عرف الغربي اهمية المال فاهم به وكيّف حياته بمقتضاه فنشأ من ذلك النظام
الاقتصادي وهو عبارة عن اساليب علمية لاجل انماء الثروة والمحافظة عليها . وهذا
النظام الاقتصادي هو الناية التي ترمي اليها اليوم كل الحركات السياسية في العالم .
وما الحرب العالمية التي زعزعت الممالك وافقرت الشعوب إلا نتيجة طبيعية للتراحم
الاقتصادي الشديد الذي كان بين الممالك الكبرى

الغربي يجب النظام ويعيل الى المحافظة عليه وهو شديد الاهتمام باقتصادياته
واحواله المالية . دقيق جداً في كل ما ينمي ثروته ويزيده قوة وسطوة وسروراً .
ومن ميله الى النظام نشأت فيه روح الحياة المتضامنة اي حياة الاجتماع وهذا هو
الركن الثالث في المدنية الحديثة

روح التعاون والتضامن - وهي لسري من اهم مزاياهم واخطرها فائدة لهم .
كيفما وايضا حلت ترى القوم محافظين على النظام قائمين بطالب الشريعة او بكلمة
اخرى تراهم يتعاونون على الوصول الى الرغائب يتكاتفون على التقدم الى الامام
في كل هيئة عمومية وفي كل مشروع كبير ترى هذه الروح هي السائدة . ذلك لايحني
ان الامة خالية من كل تهویش حرّة من كل عامل مفسد بل ان روح التعاون
والتنظيم واحترام القانون مزينة عامة في الجمهور حتى حيث لا شريعة منصوصة
تراهم من تلقاء ذاتهم يميلون الى الترتيب والتنظيم لان التهویش والتخاذل يعدان
عندهم اسرافاً في الوقت وفي القوة . فلو اجتمع منهم مئة على باب دار للتشيل
مثلاً وكلهم يريد الدخول لما تلاكوا وتلاطموا وانفقوا الوقت جزافاً في الزحام
والضجيج بل اصطفوا حالاً السابق فالسابق ودخلوا بانتظام كل في دوره وهكذا
يقتصدون في وقتهم وقواهم ولا يتقصهم شيء من سرورهم

ولروح التعاون والتضامن مظاهر شتى في الامم الغربية منها :

١- العصية الوطنية : او ايسمونه حب الوطن وما هو عند التحليل المدقق
الا ميل عام في الامة الى التعاون وقوامه تنظيم القوى تحت امره شخص هو

الملك او الرئيس او تحت هيئة خاصة هي مجلس الامة لكي تسير في طريق التقدم والفلاح . فالامم المتخاذل افرادها لا ترى لها من رأي عام تحتزمه ولا شريعة تحافظ عليها رباً لتالي لا وطنية لها فهي مفككة العرى اذا اجتمعت على امر فالى حين ثم تعود الى التخاذل والتباعد . والتاريخ شاهد على ان الشعوب الغربية كانت ولا تزال اكثر اهتماماً بالعصية الوطنية من الامم الشرقية ولذلك قويت واشتد امرها وتفردت بالسلطة والجاه والثروة

٢ - الثقة بالنفس : وهي ايضاً من دلائل روح التعاون في الامم . تظهر في القيام بالمشاريع الكبيرة وتكريم ابطال الوطن ونوابه . فان المشروعات الكبيرة لا تقوم في امة من الامم ما لم يكن في افرادها ثقة متبادلة تسهل لديهم انشاء الشركات والجمعيات والمحافظة عليها . كذلك قل في تكريم الابطال والتواضع وتعظيم ما يقومون به من الاعمال فا ذلك الا ثقة الفرد بأمته وهذه الثقة تدفعه الى احترامها واحترام نفسه والمباهاة بوطنه وبذل نفسه لاجله . وما احوجتنا نحن الشرقيين الى هذه الروح روح احترام النفس والثقة بالمواطنين . بل ما احوجتنا الى ما للغربيين من الميل الى تكريم الظلماء وتقديس اعمالهم او قل الى ستر معايهم بدلاً من تشهيرها وبراها بحجة ليعون الآخرون . الثقة بالنفس دسة من نسمات الحياة القومية فهي لا تظهر الا في الشعوب الحية القوية ، وهي التي تدعم دستور البلاد وتقوي روح الشريعة ، هي التي تسهل انشاء الشركات والمجالس او هي التي تربط افراد الامة برباط الوطنية الحقة والمصالح المتبادلة فيستطيعون ان يسيروا معاً متكاتفين متضامنين

القرني يثق بنفسه ويثق بوطنه واهل بلاده وهذا هو السر فيما نراه من تضاول الشرقيين وتضاغرهم امامه حتى في عقر دارهم . فهم يوثرون كل ما هو غربي ويعظمون كل ما هو اجنبي ويمتقدون ان لا خير ولا صلاح الا فيما ينشأ من الغرباء . مرض سرى في عروق الشرقيين على اختلاف زعاتهم حتى اصبح من اعصر الامور لاسيا وان احوال الشرق الدينية وتشي الدعوات

الغربية فيه عن طريق المدارس « اللاتونية » اي المدارس التي تحاول قتل لغة البلاد وتاريخ رجالها لا تزال ترمي الى تقوية هذا المرض وتقسيم النفوس به ولا شك ان للامتيازات الاجنبية يداً قوية في تعميم هذا الداء . فهي اقرار من الشرقي انه اقل ثقة بنفسه منه بالغربي وتبؤ من الغربي بذلك . او هي صورة منصوبة امام الامم الشرقية لتريهم ضعف نفوسهم وتخالفهم ازاء الامم الغربية الغرب غير كامل وفيه كثير من العايب الفادحة التي لا زها في الشرق ، فيه روح الاثرة والطمع والشهوة ولكن فيه ايضاً كثير من المزايا الفاضلة التي يجب على الشرق ان يتحلى بها واهما ما قد مر معنا بيانه

المدنية الشرقية

ان حياة الشرق اليوم مزيج غريب من بعض مظاهر المدنية الغربية وبقايا المدنية الشرقية القديمة . واعني بالمدنية الشرقية تلك المدنية الروحانية التي لم تنشأ بالعلم ولم تشد على مبادئ المادة . بل ظهرت وامتدت وسمت بالعواطف وسادت على العالمين بالدين ، تلك المدنية التي انشأها الانبياء . على نواميس النفس محتقرين مطالب الجسد ورفضوها على دعائم الروح غير مكترئين للطبيعة ، من برية سيناء وصعراء العرب وعلى ضفاف الاردن وبحر الجليل ظهرت شرائع الحياة الشرقية التي امتدت غرباً وشرقاً فقوضت الحضارات القديمة وتجمست في قوتين كبيرتين واحدة تقلبت على الشرق الادنى وهي الاسلام والثانية تقلبت على الغرب وهي المسيحية

ومع ما بين هاتين القوتين من الاختلافات فانهما ترجعان الى مبدأ واحد او روح واحدة قوامها

١ - التسليم المطلق للعناية الالهية

٢ - تعظيم الآخرة واحتقار الحياة الحاضرة

وليس الغرض ان نتفرغ لشرح هذه المبادئ الالهية فتعدي على حقوق اللاهوتيين والفقهاء . انما الغرض ان نلفت النظر الى تأثيرها في حياة الشرقيين لما

لذلك من العلاقة الحيوية ببحثنا الحاضر

فالشرق كما ذكرنا آنفاً مزيج من عنصرين أحدهما اكتسبه بالتقليد وهو مظاهر المدنية الغربية والثاني ورثه بحق النبوة وهو مبادئ الحياة الروحية . فبينما نرى الغربي ذا المدنية العلمية الصناعية التجارية عزوماً فعلاً يبتغي بنفسه ويتكلم على ذراعه نرى الشرقي وارث المبادئ الروحية والنظريات السماوية قنوعاً عطوفاً راضياً بما قسم له . وبينما نرى الغربي خدوماً للمصلحة العمومية عاملاً على ترقية المجموع نرى الشرقي معنياً بالمصلحة الخاصة قليل الاكتراث للمصلحة العامة . ذلك يعيش في الدنيا كأنه خالد فيها فيعني بدرس أحوالها واستخدام نوااميسها والاشتراك مع سواء في تحسينها ، وهذا يعيش كأنه على سفر فلا يهتم بما حوله من أمور دنياه ولا يبالي بما يسعد آياه

الغربي العالمي يحب النظام ويحترم الدستور لمعرفته ان في ذلك صلاحه وراحته والشرقي « الاثري » ينظر ابداً الى ما وراء الوجود فيعيش على متون الاثري شريعته إلهية يراد بها في الاكثر حماية الضعيف والبائس لا خدمة الجمهور وتروية المجلس فهو لذلك لا يطيع شريعة بشرية أو نظاماً طبيعياً إلا اذا كان منفذ الشريعة والنظام مستنداً قوياً . ولقد صدق من قال لا يصلح للشرق إلا مستبد عادل . والمدقق في حالة الشرقي العقلية يجد انه كفرد شديد المواقف حاد الذهن كثير النباهة وربما فاق الغربي في هذه ولكنه ينتقص مزايا التعاون والاجتماع التي هي ضرورية جداً لارتقاء الشعوب

الخلاصة

والخلاصة ان الغربي يفوق الشرقي في الحياة العملية - في اهتمامه بالعلم الطبيعي وحماظته على النظام الانساني . على ان الشرقي يفوق الغربي في المواقف الروحية والخضوع للالتزامات السماوية . قال احد الكتبة الغربيين في مجلة اتلانتيك Atlantic « لايركية » : « باذا يحق الفخر لنا نحن الغربيين على سوانا ؟ أبقتوا العقلية وعواطفنا القلبية ؟ كلا فنحن دون الشرقيين في ذلك . ولاننا نفاخر شعوب الارض قاطبة

محياتنا العلمية ونظامنا الاقتصادي فيها قد سدا على الآخرين وبها ستبقى لنا
السيادة في كل حين . وهو لعمري كلام وجيه . نعم بذلك يفوق القرب على
الشرق وليس للشرقيين من أمل في الحياة والتقدم الا متى أضافوا الى مزاياهم المبزية
على المواطنين الروحية مبادئ العلم والعمل فيندفعون الى الامام وهم مرتبطون
مما يرباط التضامن والتعاون متحدون في سبيل المصلحة العامة والا فباطل كل سعي
لهم نحو الحرية وجبت كل ما يذلونه في سبيل الاستقلال .

الاصطياف

« يوسف غصوب »

من كتابه (اخلاق ومشاهد)

من المدينة وضواحيها ، والشوارع وغبارها ، والمكاتب وارقامها ،
والتجارة وهموها

الى رابية عالية هادئة صامتة ، متوجة بالصنوبر الغض يلتف من حول بيت
صغير معتم بالقرميد الاحمر يتفصح امامه الافق الواسع ويطوف به اريج الازهار
وتفرد له الاطيار في الاسفار . معلق بين الارض والسماء تكاد تنسى فيه متاعب
الحياة واوبئة المفاسد والاخلاق

الى النهوض في الصباح على نشيد البلبل وهيمة الاغصان . ترسل اليك
الشمس من النافذة خيوط نورها تلمسك في الجبين ، تقبل شعرك ، تقول لك
انهض وانظر ملكة البهاء صاعدة في حللها الذهبية من وراء صنين . ترافقها
القيوم البيضاء ساجدة كأجواق الملائكة من حولها . والجبل يوتدي معطفاً من
الالوان ، تنير من آن الى آن . والوهاد تنفث ما بقي فيها من ظلام الليل ،
والاجراس ترن بعيدة وقريبة تنادي الطبيعة أن هي من رقادك . والديك يتلو
صلاته امام صفحة الفجر

الى كتاب ادبي تتأبطه الى عين خراطة ، بين صخور قاعة ، في ظل سنديانة

هرمة . تقرأ تارة وتفتح تارة صدرك للنسيم العليل تتروى منه صحة وعافية وترسل طرفك الى قرى في سفح الجبل امامك كأنها قطيع الاغنام ، دهمها الذئب فهي متلازمت بعضها الى بعض ضمن إطار . من الاشجار الخضراء او من حقول القمح الذهبية الى بندية تقود بها الى الادغال الى الاودية العميقة والقمم العالية تتربط الطير وتتبعه . تتعلق اذيالك بالعوسج وتتسلق الحافات . وقد ترل بك القدم وقد تشب سدى فتصوب فوهة البندية الى هدف وتطلقها فيرن صداهها في الوادي ويمتد ويتجاوب من مكان الى مكان كأنه أفاق في بطنها طائفة من الجن فهي تتصايح وتتنادى وتتشاور على من نغص عايبها سكونها وسباتها . ثم تحلس بعد التعب وتتصفح الطبيعة وما فيها من جمال وجلال . او تهوي الى نبع ترتشف منه الزلال بجفنتي يديك وتبلل صدغيك بآائه البارد

الى جلسة على قمة الجبل عند المساء والشمس مائلة الى الغروب تتداني قليلاً قليلاً من الافق وامامها عيوم مختلفة الالوان والاشكال تارة تشبه حيشاً وطوراً تشبه مسمة فكانها صور متحركة على ملاءة اللانهاية والبحر كالصفحة الفضية بمتد واسع قد قسمته الشمس بصولحانها الذهبي فتتنازعه العيوم تزد عن البحر نور الشمس والشمس تنفذ فيها سهامها فتساكب الدماء فيتضرج الافق فتعوي الشمس مغلوبة على نفسها كأنها تنطق في عباب الماء ، وكأنها وهي تودع الطبيعة متألمة حزينة تغسل نوافذ بيوت لبسان وتقبل ثلج صين فتترك من نفسها شيئاً يبقى فيها بعد قضائها

الى مسرح النجوم الزاهرة والقمر يتهادى بينها كالفق القمر بين جماعة من المتظرفات ، ويبروت بمدة امامك تنعق الانوار تفصل منها من حين الى آخر نجوم السيارات فتخفي في منعطفات الطرق ثم تندو على اكتاف الروابي ثم تسمع دويها بين يديك

وانت طائر على ارجحة الحبال اذا بصوت رخم يمزق اسدال الطلام ويبحث في سكون الليل فتزحف احتواك وتظلل به مسجوراً

الى اللذة النفسانية والمشاهد الطبيعية والصحة والراحة والمناخ
لا الى مائدة خضراء تحف بها الوجوه الصفراء والاعين المتهبة والقلوب
المضطربة والايدي المنقبضة يجلس اليها الفتى غنياً سليماً ويقوم عنها فقيراً مريضاً
لا الى مراقص تفسد الاخلاق ، وتسلب العقول وتدور بالقلوب كما تدور
لا الى الكاس والطاس والتمرغ في حمات الحمر يسفر بك المارة ويكرهك
ذووك .

جمال الطبيعة

« بقلم كرم البستاني »

احد مثني (لسان الحال)

ان كل من يحب الطبيعة يراها جميلة في كل احوالها وفي مختلف هيئاتها
ومن تراه لا يجب تغلق ستار الليل عن مبسم الفجر وتدافع امواج الاشعة
على رؤوس الجبال تدافع الغمام في السماء ؟
ومن لا يحب ظهيرة الصيف عندما تبث سلطانة النهار بالحياة المشتعلة الى
قلب الارض ؟

أم ليل الشتاء عندما تلتقي الطبيعة على وجه البسيطة ، للاحف الثلوج البيضاء
تتلاّلاً في الليلة الصاحية تحت لمعات النجوم كأنها بحر من الماس ؟
أم لواء الخيب عند ما ينطوي عن منظر يأخذ بالقلوب ؟
أم لطف نسيم المساء الجميل ، أم زمارم الرعود ، وهدير العواصف وعويل
الرياح وتكسر الامواج - أم كل ما يبدو من العوامل الطبيعية التي نحس لها
وقفاً في نفوسنا ؟

بيد ان اجل مشاهد الطبيعة هو اليوم الماطر ، لا ذاك اليوم الذي يفاجئك
بسيله العرم ، بل الذي متى نهضت صباحاً من سريرك وأزحت ستائر نافذتك
رأيت فيه المطر ينهال على مهل انهيالاً متواصلاً كأن الدنيا لم تعرف منذ كانت

صحراً . ويبدو لك حينذاك جمال اليت ولذة الاجتماعات العائلية حول المواعد او
الموائد يتجلى فيها الحب الالهى ، وتبين لك في الافق الوان غريبة ، والاشجار
كانها أشباح تخفق فوقها الارواح ، قد أذرعها نحو السماء كأنها رهبان خضع ، وتحس
الارض تصلي ، والسماء شاحبة ولكنها مضيئة ضياء تخفي معه عظمة النهار الشامس
حتى اذا أمسى السماء خلتها كأنها اقتربت من الارض لتحتضنها وتحميا
ليست القطرات المتساقطة الا رسلاً سماوية تبشر بالخير والبركات . وما موسيقى
وقها على الارض الا أغرودة حياة تهبط على البساتين والحقول والبيوت والطرق
أجل ان لليوم الماطر ألحاناً خاصة ، وما أصوات الانسان والوحوش على اختلافها
ودممة الدوايب ووقع الخطى الا مجافاة تحت ستار المطر الحريري
ان اليوم الشامس يوم محبوب بمجاله وضيائه ، غير ان النفس اكثر اتحاداً
بكسدة الغمام وما يلبده في النفوس من غمام السويداء منها بصفاء السماء ، وما
يجلب معه من بهجة .

ايها الريح

« لجيران خليل جبران »

تمر أنا مترنماً فرحاً ، وآونة متأوهاً نادياً ، فنسحرك ولا نشاهدك ، ونشعر
بك ولا نراك . فكأنك بجزر من الحب يغمر ارواحنا ولا يغرقها ، ويتلاعب
بافتدنا وهي ساكنة

تتصاعد مع الروابي وتنخفض مع الاودية وتناسط مع السهول والروج .
فني تصاعدك عزم ، وفي انخاضك رقة ، وفي انبساطك رشاقة فكأنك مليك
روؤف يتساهل مع الضغائن الساقطين ويرفع مع الاقوياء المتشامخين
في الخريف تنوح في الاودية فتبكي لتواحك الاشجار ، وفي الشتاء تشور
بشدة فتشور ممك الطبيعة بأسرها ، وفي الربيع تملّ وتضعف ، ولضعفك تستفيق
الحقول ، وفي الصيف تتوارى وراء ثقلب السكون فتحالك ميتاً قتله سهام
الشمس ثم كفته بمجاراتها

لكن - أفادياً كنت ايام الحريف ام ضاحكاً من خجل الاشجار بعد ان
عريتها من ملابسها ؟ أغاضباً كنت ايام الشتاء ام راقصاً حول قبور الليالي المكسدة
بالتلوج ؟ أعليلاً كنت ايام الربيع ام محبباً اضواء البعاد فجاء يصعد بالتهديد أنفاسه
على وجه حبيته الطيبة لينبها من رقدها ؟ أميتاً كنت ايام الصيف ام هاجعاً في
قلوب الاثمار وبين جفئات الكروم وعلى يبادر القش ؟

انت تحمل من اذقة المدينة انفاس العلل ، ومن الروابي ارواح الزهور .
وهكذا تفعل النفوس الكبيرة التي تحمل اوجاع الحياة بسكينة ، وبسكينة
تلتقي بافراحها

انت تهمس في اذن الورد اسراراً غريبة تفهم مفادها فتضطرب تارة ،
وطوراً تبتم

انت تبطن هنا وتتسارع هناك وتتراكض هنالك ، ولكنك لاتقف ابداً .
وهكذا تفعل فكرة الانسان التي تحيا بالحركة وقوت بالسات
انت تكذب على وجه البعيدة اشعاراً ثم تمحوها ، وهكذا يفعل الشعراء
الترددون

من الجنوب تجمي حاراً كاللجة ، ومن الشمال تأتي بارداً كاللوت ، ومن
المشرق لطيفاً كلامس الارواح ، ومن المغرب تندفق شديداً كالبحضاء . أمقلب
انت كالدهر ، ام انت رسول الجهات تبلغ الينا ما تأتلك عليه ؟

تقر غضوباً في الصحاري فتدوس القوافل بقساوة ثم تلعبها بلطف الرمال .
فهل انت انت ذلك السيل الخفي المتسوج من اشعة النجم بين اوراق النصوص ،
المنسل كالاخلام في منعطفات الودية حيث تتمايل الزهور شغفاً بك وتتخاصر
الاعشاب سكرًا من انفاسك ؟

تشر ظلوماً في البحار فتحرك ساكن اعماقها ، حتى اذا ازبدت حنقاً عليك
فتحت فاهها لجة وقمتها من السفن والارواح لقياً مرة . فهل انت انت ذلك
الحب المتلاعب حنوًا بغدائر الاطفال المتراكضين حول المنازل ؟

الى اين تتسارع بارواحنا وتهداتنا وانفاسنا ؟ الى اين تحمل رسوم ابتساماتنا وماذا تفعل بشعلات قلوبنا المتطايرة اهل تذهب بها الى ما وراء الشفق - الى ما وراء هذه الحياة - ام تجرُّها فريسة الى المغاور البعيدة والكهوف المغيقة ، وهناك تقذفها عيناً وشمالاً حتى تضحل وتغتفي ؟

في سكونة الليل تيسح لك القلوب اسرارها . وعند الفجر تهيك الميون اهتزازات اجفانها . فهل انت ذا كرم ما شعرت به القلوب وما رأته الميون ؟

بين جنحيك يستودع التقدير صدى انسحاقه ، واليتم حرقته ، والخزينة تأوهاتما . وطبي اثوابك يضع الغريب حنينه ، والمتروك لهفته ، والساقطة عويل ، نفسها . فهل انت حافظ لهؤلاء الصغار ودائعهم . أم انت كهذه الارض لا نودعها شيئاً الا تحولها الى جسمها ؟

أسمع انت هذا النداء وهذا العويل ، وهذا الضجيج وهذا البكاء ، أم انت كالاقوياء من البشر تمتد اليهم الاكف فلا يلتفتون ، وتتصاعد نحوهم الاصوات فلا يسمعون ؟

أسمع انت يا حياة للسامع ؟

ايتها الارض

« من مقالة له ايضاً »

ما اجملك ايتها الارض وما ايهاك

ما أتم امتالك للتور وانبل خضوعك للشمس

ما اظرفك منشحة بالظل وما امنع وجهك مقعاً بالدجى

ما أعذب اعاني بجرك وما اهل تهايل مساذك

ما اكلك ايتها الارض وما استاك

لقد سرت في سهولك ، وصدت على جبالك ، هبطت الى اوديتك ، وتسلقت صخورك ، ودحات كهوفك ، غمرت حلمك في السهل ، وانفتك على

الجبل ، وهدوءك في الزادي ، وعزمك في الصخر ، وتكتمك في الكهف ،
فانت أنت المتبسطة بقوتها ، المتعالية بتواضعها ، المنخفضة بطولها ، اللينة بصلابتها
الواضحة بأسرارها ومكوناتها

لقد ركبت مجارك ، وخضت انهارك ، وتبعت جدالك فسمعت الابدية
تتكلم بكلمة جدك وجزرك ، والدهور تقدم بين هضابك وحزونك ، والحياة تناجي
الحياة في شعبك ومتعدراتك ، فانت انت لسان الابدية وشفاها ، وأوتار
الدهور واصابعها ، وفكرة الحياة وبيانها

لقد ايقظني ربيعك وسيرني الى عابالك حيث تتصاعد انفاسك بخوراً .
وأجلسني صيفك في حقولك حيث عقدت الازهار والثمار أكلةً على هام الاشجار .
وأوقظني خريفك في كرومك حيث يسيل دمك خمراً . وقادني شتاوك الى
مضجعك حيث يتناثر طهرك ثلجاً ، فأنت انت المطرة يربيعها الجوادة بصيفها
الفياضة بجريئها النقية بشتائها

في الليلة الصافية قد فتحت نوافذ نفسي وابوابها وخرجت اليك مثلاً بطلاً .
مكبلاً بقيود انانيتي فألقيت شاحصة بالكواكب وهي تبسم لك ، فزعت عني
قيودي وانتالي وعلمت ان منزل النفس فضاؤك ، ورغائبها في رءائبك ، وسلامتها
في سلامتك ، وسعادتها في النبار الذهبي الذي تنثره النجوم على جسدك

في الليلة المبطنة بالنجوم ، وقد مللت غفلي وجودي خرجت اليك فوجدتك
جارة هائلة مسلحة بالعاصفة ، تحاربين ماضيك بحاضرك . وتصرعين قديك
بجديك ، وتبعثرين ضيلك بضيلك . فلعلت ان نظام البشر نظامك ، وناموسهم
ناموسك ، وستهم ستك ، وان من لا يهصر بارياحه ما يبس من اغصانه يموت
مللاً ، ومن لا يمزق بشوراته ما يلي من اوراقه يفتي خمولاً ، ومن لا يكفن
بالنسيان ما مات من ماضيه كان هو كفناً لما لي الماضي

ما اكرمك ايها الارض وما اطول أناذك

ما اشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم ، الضائعين
 بين ما بلغوا اليه وما قصرُوا عنه
 نحن نضح وانت تضحكين
 نحن نذنب وانت تكفّرِين
 نحن نجذّف وانت تباركين
 نحن ننجس وأنت تقدسين
 نحن نهجع ولا نعلم وانت تحلّدين في سهرك السرمدى
 نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وانت تغمرين كلومنا بالزيت واللسم
 نحن نزرع راحاتك^(١) العظام والحماجم وانت تستنبئينها حوراً وصفصافاً
 نحن نستودعك الحيف وانت تغلّدين بيادرتنا بالاعمار ومعاصرنا بالعناقيد
 نحن نصبغ وجهك بالدم وانت تغسلين وجوهنا بالكوثر
 نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وانت تتناولين عناصرنا
 وتكونين منها الورود والزناابق
 ما اوسع صبرك ايها الارض وما اكثر انعطافك
 ما انت ايها الارض ومن انت ؟
 أطفلة انت في حضن الفضاء ، ام عجوز ترقب الايام والليالي وقد شبت من
 حكمة الليالي والايام
 ما أنت ايها الارض ومن أنت ؟
 أنت الجمال في عيني ، والشوق في قلبي ، والخلود في روحي
 أنت انا ايها الارض فلو لم اكن لما كنت

فهرس الكتاب

صفحة	
٢	مقدمة الكتاب
٣	الباب الاول في العلم والادب
٢٨	الثاني في الفضائل والنقائص
٨٨	الثالث في الحكم والمواعظ والنصائح
٩٧	الرابع في اللطائف
١١٧	الخامس في الحكايات والنوادر
١٥٣	السادس في الشعر الوصفي والقصصي
١٧٤	السابع في الفخر والحماة
١٨٢	الثامن في الحكم
١٩٠	التاسع في الشوق والفراق
١٩٥	العاشر في الشكوى والعتاب والاستعطاء
٢١٤	الحادي عشر في المدح والتهنئة
٢٢٦	الثاني عشر في التعازي والمرائي
٢٣٩	الثالث عشر في اللغة
٢٤٩	الرابع عشر في المقالات
==	كلام في البصر للشيخ ابراهيم البازجي
٢٥٠	مجاورة النبات « له ايضاً »

« له ايضاً »	لجونا فنون	٢٦٢
للمنفوطي	الخوخ والقصر	٢٦٩
« له ايضاً »	الكأس الاولى	٢٧٣
« له ايضاً »	أهنا أم عزاء	٢٧٦
« له ايضاً »	زيد وعمرو	٢٨٠
العصامي خير من العظامي	للخوري بطرس البستاني	٢٨٢
« له ايضاً »	التسامح والمخالقة	٢٨٤
« له ايضاً »	شرف المحراث	٢٨٧
الممالك بصناعاتها	لأمين البستاني	٢٩٢
« له ايضاً »	الامم في ماملاتها	٢٩٧
دير القمر	بقلم بطرس البستاني صاحب البيان	٢٩٩
الانشاء	بقلم الشيخ خليل اليازجي	٣٠٤
احكام الترجمة	لجرجي شاهين عطيه	٣١١
من خطاب الى السوريين في اميركا	لداود افندي بركات	٣١٣
اللغة والتوسع في الاستعمال	من مقالة للشيخ محي الدين الحياط	٣١٤
اللغة العربية واللغات الاوربية	لجبر ضومط	٣١٦
التضال القديم بين الشرق والغرب	بقلم انيس الخوري المقدسي	
الاصطيف	ليوسف غصون	
جمال الطبيعة	بقلم كرم البستاني	
ايها الريح	لجبران خليل جبران	
ايتها الارض	« له ايضاً »	

